


# الرسائل الجامعية

جامعة بغداد

كلية الآداب

# تطور مصطلح شيخ الإسلام في دولتي الأيوبيين والمماليك البحرية

رسالة تقدم بها

فيصل بجاش علي حميد

الى

مجلس كلية الآداب - جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب

١٤٢٣ هـ                ٢٠٠٢م

**University of Baghdad**

**College of Arts**

# The Evolution of Shaykh Al-Islam Under the Ayyubids and the Bahri Mamluks

By

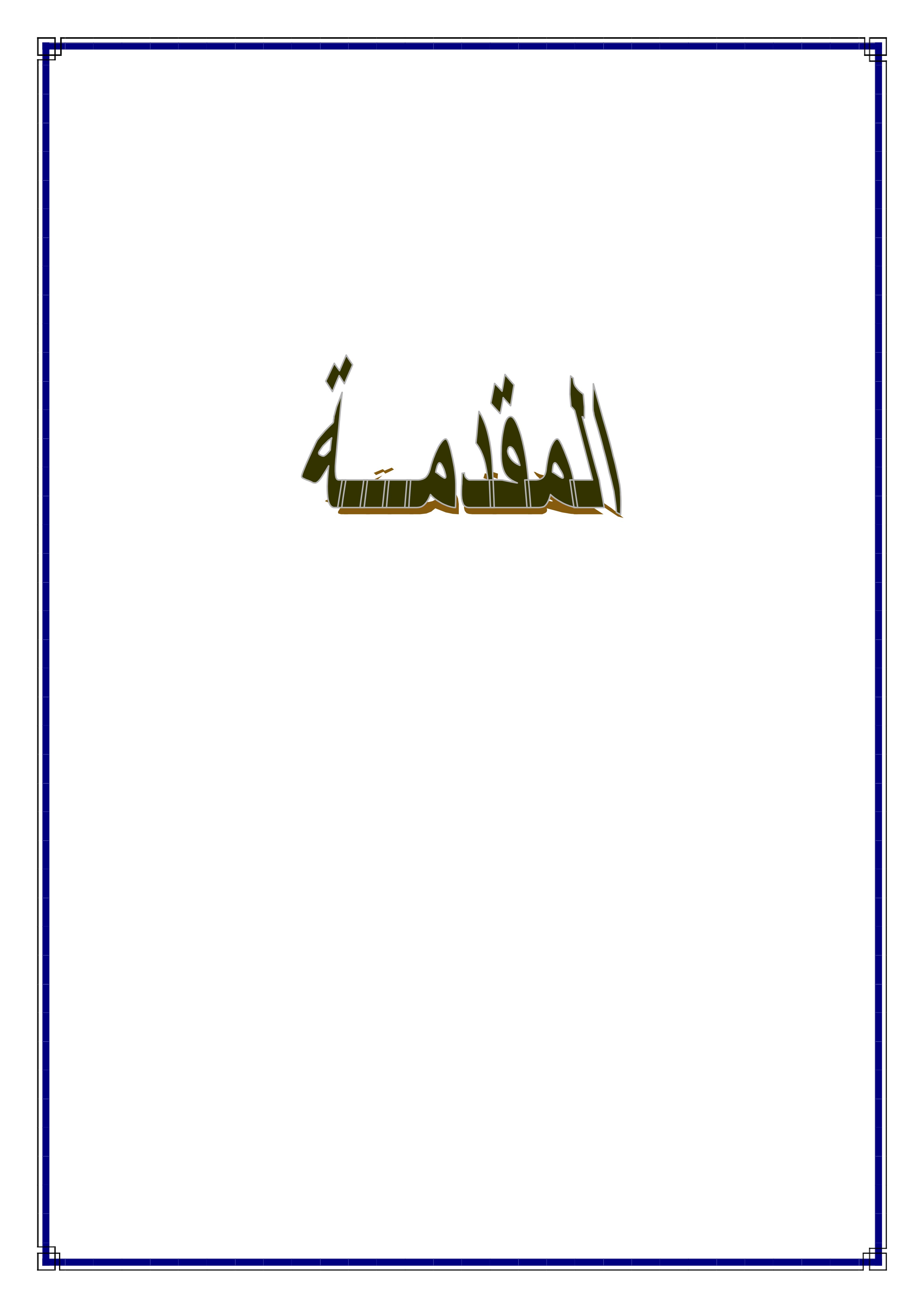
Faysal Bajjash Ali

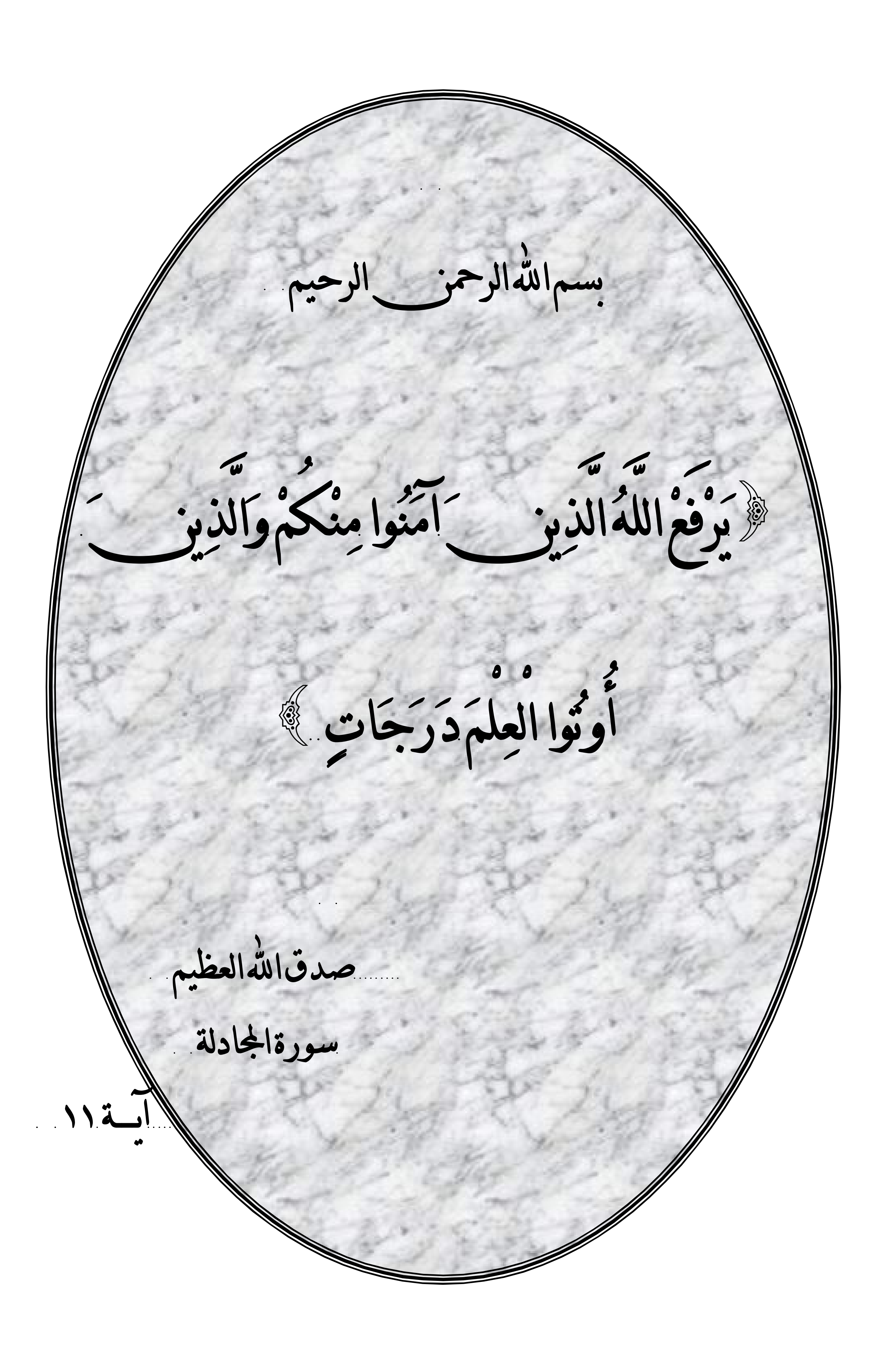
***A Thesis Submitted to the Department of History , College of Arts , Baghdad University in Partial Fulfillment of the Requirements for the M.A.D. in Islamic History***

Supervised By

Prof. Dr. Murtada Hasan Al-Naqib

**1423 H.** **2002 M.**


المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة

آيــة ١١

# الرموز المستخدمة في الرسالة

| | |
|---|---|
| بلا . ت | بلا تاريخ |
| ت | توفى |
| تح | تحقيق |
| تر | ترجمة |
| جـ | جزء |
| ص | صفحة |
| ص ص | صفحات |
| ط | طبعة |
| مط | مطبعة |
| د. مط | بدون مطبعة |

# الإهـــــــداء

- الى نبع الحنان والطريق الى الجنان

والدتـــي

ووالــدي

- الى من شاركتني الحياة مرها وحلوها

زوجتـــــــي

- الى سنـــــدي وقوتـــــي

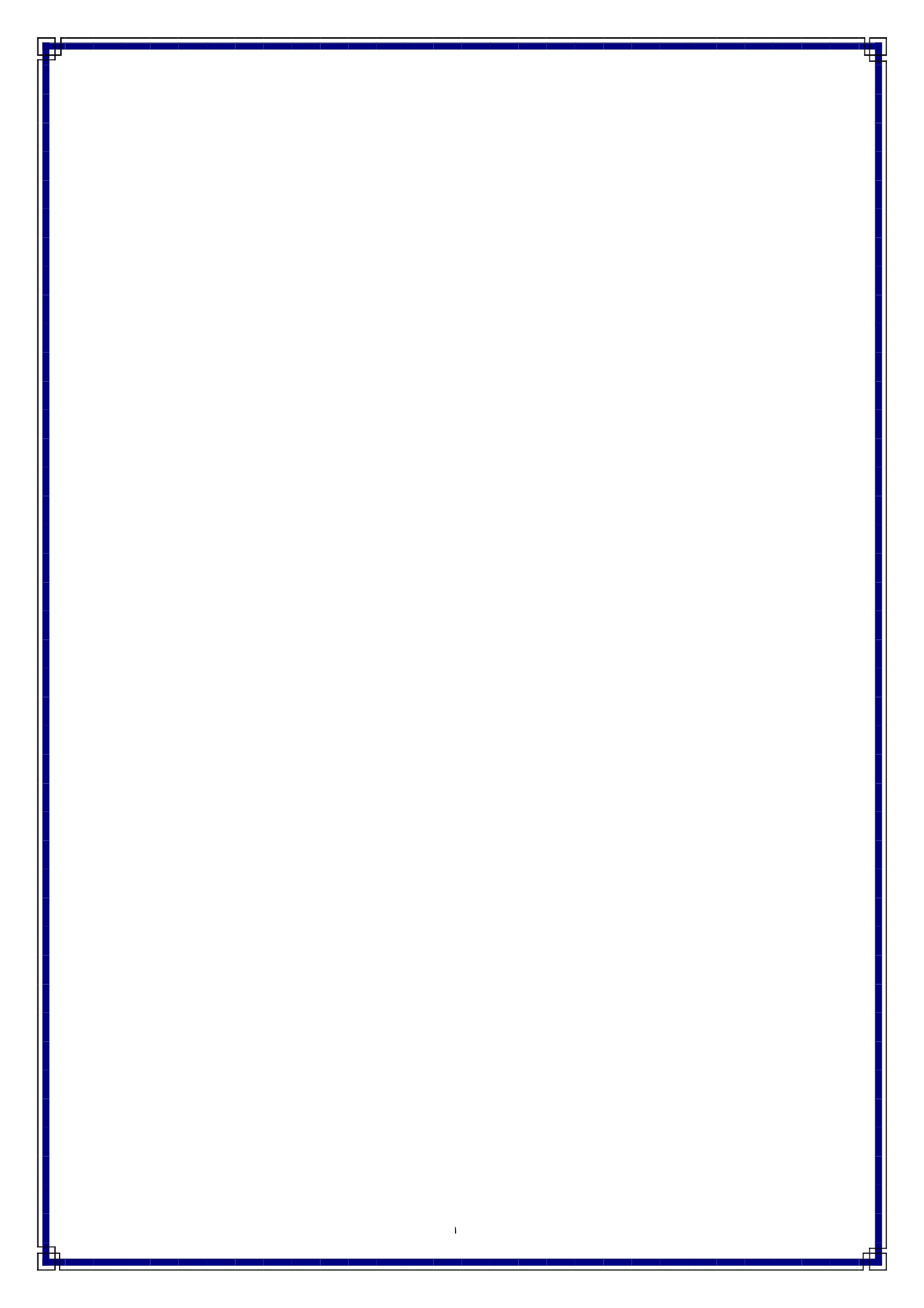
أخـــــواني

أهدي ثمرة جهدي المتواضع ..

وفــاءً وحبــاً

واعتزازاً

فيـــصل



# شكر وعرفان

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، والشكر له سبحانه على ما اسبغ علينا من نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعـــــد ...

يسعدني في البداية ان اقف وقفة إجلال وتقدير واحترام للأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب الذي اخذ بيدي وسار الى جانبي وأنار طريق دربي منذ ان اقترح موضوع هذه الرسالة الى ان قدر لها الله الخروج على الشكل الذي هي عليه بين أيديكم . فقد كان لتوجيهاته العلمية السديدة وملاحظاته الدقيقة ورؤيته الثاقبة اكبر الأثر في إخراج هذا الجهد العلمي الى حيز النور ، وقد كان لي بمثابة الأب الحنون والأخ الصادق والمعلم الجليل.

كما أتوجه بالشكر والعرفان الى أساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ الذين نهلت من فيض علمهم الزاخر خلال السنة التحضيرية .

كما أسجل شكري واحترامي لعميد كلية الآداب ومعاونيه وكذلك لعميدها السابق ، وذلك للرعاية الكريمة

**التي أحاطونا بها منذ ان دخلنا بوابة هذا الصرح العلمي الشامخ .**

**كما لا يفوتني ان أتوجه بالشكر والتقدير الى مدير الدراسات العليا ، وأمناء وموظفي المكتبة المركزية ومكتبتي الدراسات العليا والمراجع في الكلية .**

**وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير والاحترام لكل الخيرين الذين اسهموا في إنجاز هذه الرسالة ، ولا يتسع المجال لذكرهم .**

**فيصل بجاش علي حميد**





# المحتويـــات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| **الموضوع** | **الصفحة** |
| --- | --- |

# المقـــــدمة

## نطاق البحث وتحليل المصادر

هذه رسالة تدور حول تطور مصطلح شيخ الإسلام خلال حكم دولة الأيوبيين (٥٦٩هـ-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥١م ) ووريثتها دولة المماليك البحرية (٦٤٨- ٧٨٤ هـ/١٢٥١-١٣٨٢م ) ، وما حصل له من تطور وخصوصيات خلال حكم سلاطين هاتين الدولتين ابتداءً بالسلطان الأيوبي صلاح الدين وحتى نهاية حكم السلطان المملوكي الصالح أمير حاج شعبان ، في أعقاب شيوعه وانتشاره في البداية بين رجال المؤسسة الدينية من المحدثين والفقهاء في المشرق الإسلامي .

يرجع موضوع الرسالة إلى حقلي الألقاب والكنى في دولة الخلافة، وهو موضوع لم ينل اهتمام المؤرخين المحدثين ومتابعتهم [1] ، على الرغم من أهمية هذه الألقاب في تشكيلاتها وتسمياتها لطلبة الدراسات التاريخية المهتمين بالعصور الوسطى الإسلامية من الوجهة المنهجية- التاريخية ، وعلى الرغم من ان مثل هذه الألقاب هي في الحقيقة الأساس فيما يميز بني البشر في المجتمعات بعضهم عن بعض ، ولاسيما العلماء منهم لما فيها من الفضائل والمناقب التي بموجبها يتميزون عن العناصر المشهورة من بني جلدتهم ، لكنها بقدر ما هي موضع اهتمام للبعض تقف في الوقت نفسه مصدر تزلق وتحذلق لبعضهم الآخر.

من جهة أخرى تمثل الألقاب الإسلامية ميزة خاصة بالمجتمع العربي والإسلامي وتطوراته الدينية والدنيوية ، فليس هناك مجتمعات أخرى تميزت بتلك الألقاب التي تميز بها المجتمع العربي الإسلامي، والتي كانت سائدة بين القوى الممثلة لفئاته المختلفة وشخصياتها واقترنت بشرائحها الإدارية جيلاً بعد جيل، لكن ما يلاحظ عليها أنها كانت في البداية محددة ومحدودة في آن واحد، ومن خصوصيات الخلفاء وامتيازاتهم، إلى وقت سيادة أمير الاستيلاء في المؤسسة العسكرية وتمتعه بسلطات سيده السابق التي

---

[1] هناك دراسة لحسن الباشا بعنوان الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م ) ذات طبيعة عامة وتغطي أدبيات الألقاب اكثر من كونها دراسة تحليلية لمدلولاتها والظروف التاريخية التي ظهرت فيها . كما ان لعباس ألقمي كتاب بالمعنى نفسه وهو الكنى والألقاب ( ٣مجلدات ، النجف : مط الحيدرية ، ١٩٥٦م) ذات صيغة عامة كذلك.

كانت تعطى للذين يتميزون بمنزلة خاصة في الدولة، حيث بدأت الألقاب بالذيوع والإنتشار كظاهرة قائمة ، ويلاحظ انه منذ توسط حكم العباسيين ارتبطت هذه الألقاب بثلاثة عناصر في الدولة: طائفة الأمراء من رجال العسكر الذين كانوا يمنحون اللقب المركب بنعت الدولة مثل سيف الدولة وحسام الدولة ومعز الدولة، وطائفة الإداريين العائدين لطبقة الكتاب من الوزراء ورؤساء الديوان الذين كانوا يحملون ألقاباً ذات صلة بالملك، مثل عميد الملك ونظام الملك ومؤيد الملك وعز الملك، فيما ارتبط لقب الدين والإسلام بالشخصيات الدينية في المجتمع ورجالاته من أئمة الشرع الحنيف مثل شمس الدين وعز الدين وتاج الدين او جمال الإسلام وزين الإسلام وركن الإسلام وغيرهم [١]. ومن هذه المجموعة الثالثة انطلق مفهوم شيخ الإسلام وتشكيلاته ( الفيلولوجية ) والتاريخية، على الرغم من ان التداخل في المراحل الأولى من نشأته كما سيتبين لنا لم تكن واضحة المعالم والخصوصيات وظل أمر إطلاقه شيئا ذا صلة ( بالسوسيولوجية ) التي تتحكم بمجتمع العلماء ومراتبهم من رجال المؤسسة الدينية لدولة الخلافة.

ولما كانت الألقاب من اختصاص الجهات الرسمية للخلافة ، كان لابد من فهم العلاقة بين الدولة وبين الجهات المانحة لهذه الألقاب، وهو ما يفهم من الحالات الخاصة بطوائف الأمراء والإداريين وعمال الدولة، في وقت ظل لقب الدين والإسلام من احتكار سلطات العلماء ومن مسؤلياتهم، وفي حالة لقب شيخ الإسلام فقد بقي بيدهم إلى وقت متأخر من تبني الدولة له بشكله الرسمي. حتى وقت قيام العثمانيين وتحوله إلى مؤسسة باسم شيخ الإسلام في الدولة العثمانية [٢] فكيف ظهر هذا اللقب أولاً ؟ وكيف تحول إلى لقب رسمي تتبناه الدولة فيما بعد ؟ والاهم الصيرورة التي بموجبها حصل هذا التحول والاعتراف رسميا؟ وماذا يحمل من شروط وواجبات ومسؤوليات في ضوء خصوصيات المجتمع الأيوبي ثم المجتمع المملوكي البحري، وتشكيلاتهما؟ لانه وبدون شك لم يكن لقباً تشريفياً بحد ذاته ، كل ذلك يثير جملة من التساؤلات والملاحظات في محتوى الألقاب الدينية ذات الصلة التي أدت الى شيوعه قبل

---

[١] أما اللقب المضاف إلى لفظ الجلالة (الله) فقد ظل من اختصاص الخلفاء وحدهم مثل القادر بالله، المقتدر بالله والقائم بأمر الله وهكذا.

[٢] الذي هو عنوان الرسالة المنشورة التي تقدم بها اكرم كيدو، الباحث التركي الأصل باسم مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، تر. هاشم الأيوبي (طرابلس: جروس برس، ١٩٩٢م ).

استقراره على المفهوم الذي عرف به أيام المماليك البحرية كأعلى لقب ديني بين ممثلي السلطة الشرعية في الإسلام.

إن لقب أو مصطلح شيخ الإسلام، كما يلاحظ يتكون من مقطعين الأول بلفظ شيخ الذائع الشيوع والاستعمال بين اعداد متباينة من طوائف الدولة ومراتبها الإدارية ، والمقطع الثاني لفظ الإسلام. وللمقطع الأول خصوصية عالية تختلف عن ظروف وخصوصية نشأة المصطلح بمقطعيه مما استوجب البحث فيه والنظر في أصوله وتشكيلاته ( فيلولوجيا ) و( ابستمولوجيا ). كل ذلك شكل قوة الجاذبية التي ولدت لدي الرغبة تلو الرغبة لمحاولة البحث في هذا الموضوع والغوص في أبعاده، رغم صعوباته الأكاديمية الواضحة للباحث المبتدئ، إن لم يكن للمتخصص أصلاً .

تتكون هذه الرسالة من مقدمة وأربعة فصول ، فضلا عن الخلاصة وقائمة المصادر والمراجع الخاصة بالرسالة، كما تضم ملاحق من جداول بأسماء شيوخ الإسلام وطوائفهم ممن حملوا لقب شيخ الإسلام قبل حكم الأيوبيين والمماليك البحرية وخلاله ، فضلاً عن ملاحق اخرى.

وقد جاء الفصل الأول في مقدمة ومبحثين، تتناول المقدمة بشكل مختصر الألقاب الدينية المتداولة في المشرق بين رجال المذاهب ذات الصلة بشيخ الإسلام بتركيبه المزدوج. وهو شيء ضروري لان مصطلح شيخ الإسلام نجد جذوره أولاً في تقاليد البيئة الدينية السائدة في إقليم خرا سان او المشرق لدى الفقهاء والمحدثين والمتصوفة ، وبدون الرجوع إلى هذه الخلفية تبقى خصوصيات أصل اللقب ونشأته غير معروفة ، ولا تساعد على إعطاء الصورة الصحيحة لمفهومه وطبيعته عند الأيوبيين والمماليك ، ويتناول المبحث الأول مصطلح الشيخ ودلالاته بين الفئات العلمية والإدارية، بينما يتناول المبحث الثاني مناقشة حول بداية ظهور مصطلح شيخ الإسلام في المشرق الإسلامي ، ويغطي الفصل الثاني انتشار المصطلح عند الأيوبيين بين حكم كلا من السلطانين صلاح الدين و توران شاه (٥٦٩- ٦٤٨هـ/ ١١٧١ – ١٢٥١م) وذلك باستعراض تراجم ذلك النفر من الشخصيات الدينية التي اشتهرت بمنزلة شيخ الإسلام في مركز السلطنة الأيوبية بالقاهرة او مراكز نيابتها في الشام، واستيعاب خصوصيتها بصلات بعضها بالبعض الآخر من رجال المدرسة الفقهية الواحدة وشخصيات المدارس المنافسة لها عن طريق تحليل سيرة وتراجم كل من ابن الصلاح والعز بن عبد السلام وكل من ابن قدامه ومجد الدين بن تيمية . وهم في هذه الحالة نماذج جيدة من أئمة المدرستين الشافعية والحنبلية. أما الفصل الثالث فيتولي

استعراض شخصيات شيخ الإسلام خلال حكم المماليك البحرية، وبصفة خاصة خلال حكم السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) ثم خلال مدة الحكم الطويلة للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٠- ٧٤١هـ/ ١٢٩٣-١٣٤٠م). من خلال تحليل تراجم ثلاث شخصيات دينية كبيرة تميز بها المجتمع المصري- الشامي خلال حكم المماليك هم كلاً من محي الدين النووي وابن دقيق العيد وتقي الدين بن تيمية ، وقد خصص الفصل الرابع لتغطية وتحليل الجانب التنظيمي من مفهوم وطبيعة مصطلح شيخ الإسلام والمنزلة التي يمثلها هؤلاء الشيوخ في التركيب السياسي للدولة المملوكية دينياً وإدارياً وسياسياً . كل ذلك في ضوء الإجراءات السياسية التي كانت تتخذها تلك السلطات بحق هؤلاء الشيوخ ومواقفهم الفقهية والسياسية من السلطات والدولة. فقط حينذاك يصبح بإمكاننا ان نتحدث عن الجانب التنظيمي لمصطلح شيخ الإسلام و الإسهامات التي حصلت وأضيفت إليه خلال حكم الأيوبيين والمماليك، بما في ذلك الصيرورة والخصوصيات التي ارتقى بموجبها هذا المصطلح الديني الشهير إلى هذا المعنى، كل ذلك بطبيعة الحال ضمن تقرير شروط شيخ الإسلام وواجباته ومسؤلياته.

إن حقل الأيوبيين والمماليك والمصادر التي ترتبط به كثيرة حقا [1] وما وصل إلينا منها غنية بمعلومات متنوعة عن البنية الدينية والتنظيمية والسياسية لهاتين الدولتين ولا يمكن القيام بها الآن في دراسة ( هستريوغرافية ) منفصلة. وهو ما ليس يعنينا هنا من هذا التحليل. ومع ذلك فكلمة عن أنواع المصادر ذات الصلة بمصطلح شيخ الإسلام وطريقة استخدام المؤرخين له بسجلات التراجم وايضاً من قبل أصحاب الألوان الأخرى أمر ضروري منهجيا.

إن أهم المصادر صلة بهذا الموضوع و أكثرها علاقة بمفرداته من المصنفات التاريخية المتوفرة للمؤرخ والأدبيات المرتبطة بها هي كتب التراجم والطبقات للمدة ما قبل حكم الأيوبيين وما بعدها ، تليها كتب الحوليات وتواريخ الدول والسلالات الحاكمة ثم الوثائق الرسمية للدولة والمصنفات الخاصة بكتب الفقه والرحلات ، أما النقود التي هي مصدر مهم وأساس للألقاب ولصفتها الرسمية المعتمدة فلا تقدم هنا

---

[1] ينظر : أهمها مثلا دراسة البروفيسور دونالد لتل بعنوان An introduction to mamluk HistoriograpHynyl.
التي هي في الأصل الإسهامات التي تقدم بها عن حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون لنيل درجة الدكتوراه. وانظر كذلك مقالاته الخمسة عشرة التي نشرها في حوليات غربية مختلفة كونت في النهاية كتابه الذي يحمل عنوان History and Historaphy of the mamluks، خاصةً مقالته " Religion under the Mamluks ص ص ١٦٥ . ١٨١ .

للباحث تلك المزية التي تقترن بالمعلومات التي توفرها عن الألقاب الدنيوية المختلفة للخلفاء والأمراء والوزراء.

وفيما يأتي ملاحظات مركزة لما توفره لنا هذه الألوان من المصنفات من معلومات ومدى فائدة ما تحويه من حقائق في إغناء محتوى الرسالة على مستوى التراجم التي تغطيها .

يقف على رأس كتب التراجم ذات الصلة بالرسالة كتاب عن أئمة نيسابور وبيوتاتها ( الارستقراطية ) كتبه عبد الغافر [1] في ٥١٦هـ/١١١٧م ،بعنوان السياق على تاريخ نيسابور والذي كتبه بمثابة تتمة لكتاب الحاكم النيسابوري (ابن البيع) (ت: ٤٠٥هـ) عن الموضوع نفسه، ثم كتاب المنتخب من السياق على تاريخ نيسابور للصريفني [2] وقد احتفظ لنا الصريفني في منتخبه هذا بالأقسام التي لم تصل إلينا من السياق. فهذان المصنفان يوفران معلومات لا نجدها إلا عن طريق السبكي[3] الذي يعول على عبد الغافر في ذكر طبقات الشافعية من أئمة خرا سان الذين يهتم بهم في السياق إذ نجد تسميات للشخصيات التي تمتعت بمنزلة شيخ الإسلام وتعليقاته عليها و إشارات إلى خلفياتها من طبقات الفقهاء

---

[1] هو الحافظ الأديب أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي (ت: ٥٢٩هـ/١١٣٠م) ابن بنت أبو القاسم القشيري. المصنف الصوفي المشهور، والفارسي شهرة لوالده أخذها في أثناء عمله في اقليم فارس وليس لها صلة بأصله ، ويعدَه السبكي من افصح المؤرخين الذين كتبوا بالعربية على الإطلاق. إلا أن كتابه لم يصل إلينا كاملاً وقام ريجارد فراي بطبعه مع منتخب السياق ومصنف الحاكم النيسابوري تحت عنوان ( The Historians of Nishapur) ، ينظر أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ . ٧٧١هـ/١٣٢٧ـ١٣٦٩م) ،طبقات الشافعية الكبرى ، تح : عبد الفتاح محمد الحلو ، محمود محمد الطناحي، ط٢ ( عشرة مجلدات ، الجيزة : هجر للطباعة والنشر ، ١٩٩٢م) م٧ ،ص ص ١٧٣.١٧١ .

[2] من منشورات جامعة هارفر في بوسطن ومادة هذا الكتاب شكلت أساسا لمقالة ريجارد بولت عن شيخ الإسلام في المشرق بعنوان The Shaikh alislam and The evolution of Islamic Society وعن سيرته ينظر السبكي ، طبقات الشافعية الكبرىجـ٧، ص١٧١-١٧٣؛ عبد الحي بن احمد العكري الدمشقي (١٠٣٢- ١٠٨٩) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،ط٢ ( ٨ مجلدات ، بيروت : دار المسيرة ،١٣٩١هـ /١٩٧٩م )م٢، ص٩٣. وقد شكل عبد الغافر في كتابه السياق الأساس لأطروحة ريجارد بولت عن نيسابور ونظامها الاجتماعي انظر: The Patricans Of Nishapur : a study in Medieval Islamic Social History (Cambridge ) (Mass. : Harvard University Press, 1972. ما كتب بولت في ضوء تلك المعلومات مقالة عن شيخ الإسلام جلب انتباهي إليها المشرف على الرسالة التي نشرها على ما بطن في Studin- Islamica لم اتمكن من الاطلاع على محتواها.

[3] وأيضا ابن عساكر( ت: ٥٧١ هـ/١١٧٥م ) في تراجمه عن الاشاعره. كما يرد في تبيين كذب المفتري فيما نسب الى ابي الحسن الاشعري ( دمشق : مط التوفيق ، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) .

والمحدثين، مثل الإشارات المتوفرة عن أبي عثمان الصابوني كبير المحدثين في نيسابور، وأبي عبد الله الأنصاري الهروي شيخ المتصوفة في هراة، وعبد الله القشيري . ومن خلال تلك النصوص في تراجم السياق يمكن للمؤرخ أن يعرف الجذور الأولى لمفهوم شيخ الإسلام ومركز شيوعه في المشرق.

ومما له صلة بهذا اللون مجموعة كتب الطبقات و تراجم رجال المذاهب، التي يهم الباحث منها بصورة خاصة طبقات الشافعية الكبرى لتاج لدين السبكي [(١)] الذي يحمل هو نفسه تسمية شيخ الإسلام ايام المماليك البحرية المتأخرين ، وذلك لما تحويه من تراجم تفصيليه لشخصيات شيوخ الإسلام الشافعية ، و قد أفاد الباحث من المعلومات الوفيرة التي تقدمها الطبقات الكبرى . على الرغم من تحيز السبكي الواضح للرجال الذين يترجم لهم . وبدرجة أساسية من تلك المتعلقة بشيخ الإسلام العز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن دقيق العيد ، فضلا عن احتوائه على معلومات مهمة تلقى الضوء على الجوانب المختلفة للحياة الدينية والاجتماعية والسياسية للحقبة الأيوبية- البحرية و الشيء نفسه يقال عن كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لزين الدين بن رجب [(٢)] ، إذ يقدم أيضاً معلومات قيمة عن رجال المدرسة الحنبلية على نحو المعلومات التي يوردها عن شيوخ الإسلام كل من مجد الدين ابن تيمية وموفق الدين بن قدامه وتقي الدين احمد بن تيمية [(٣)] .

---

[(١)] هو قاض القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي الشافعي ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، اخذ العلم على العديد من المشايخ و شغل جملة من المناصب منها التدريس والقضاء، وحصلت له محنه شديدة سجن بسببها ثمانية اشهر ، وتوفي سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م،ويعد كتابه طبقات الشافعية الكبرى من أهم الكتب التي صنفت في الطبقات وقد طبع اكثر من مرة وله كذلك طبقات الشافعية الوسطى والصغرى وهما غير منشورين، وعن سيرته ينظر: أبو بكر بن احمد بن محمد بن عمر بن قاض شهبه (٧٧٩- ٨٥١هـ/ ١٣٧٧-١٤٤٧م) ، طبقات الشافعية ، تح: الحافظ عبد العليم خان ،ط١ ( ٤ أجزاء ، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ) ج٣، ص١٠٤- ١٠٥.

[(٢)] هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ولد في بغداد في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وسبعمائة. اشتغل على كثير من الشيوخ حتى نبغ. صنف العديد من الكتب اشهرها طبقات الحنابلة ، توفي في رجب سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٣م) ينظر: عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي أبو الفضل (٨٤٩- ٩١١هـ/ ١٤٤٦-١٥٠٥م) ، طبقات الحفاظ، ، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣)، ص٥٤٠.

[(٣)] وتوجد إلى جانب هذين المصنفين من كتب الطبقات عدد كبير من الكتب التي سارت على نفس المنوال منها كتاب طبقات الحنابلة لأبى يعلي الفراء (ت:٥٢١هـ ) وكتاب طبقات الشافعية لابن قاض شهبة وغيرها.

الشيء الذي يمكن ان يقال عن ميزة أي من كتب الطبقات هذه ان مؤلفها يبدو عادة في التراجم التي يخصصها متعاطفاً مع الشخص الذي يترجم له المؤلف والذي ينتمي الى مدرسته عادة، ويصح القول أيضاً أن مثل هذا المصنف لا يقترن عادة بشيوخ إسلام غير الفئة التي يعترف بها المصنف شخصيا، مثل ما عمله السبكي مع ابن الصلاح، رغم اعتراف الذهبي في مصنفاته بمشيخته للإسلام .

من الكتب الأخرى التي تدخل ضمن دائرة كتب التراجم والطبقات كتاب باسم الطالع السعيد في نجباء الصعيد للادفوي [1] (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) أحد رجال القرن الثامن الهجري من إقليم الصعيد ويظهر من خلال العنوان الذي يزخرف المؤلف مصنفه به أن الادفوي يقدم للقارئ كتاب مناقب عن المترجم لهم من الصعيديين ويبدو ميالاً للأشخاص الذين يترجم لهم كونه قرر وصفهم بالنجباء ويكتب في مناقبهم قبل كل شيء ، كما يظهر ان الكتاب مخصص لدراسة تراجم أبناء الصعيد وحدهم، ومع ذلك ، فان أهمية هذا المصنف للرسالة تكمن في تلك الترجمة الطويلة التي يخصصها الادفوي لشيخ الإسلام ، قاضي القضاة ابن دقيق العيد، التي يقدم فيها معلومات مهمة غير متوفرة في المصادر الأخرى ، بما فيها طبقات الشافعية الكبرى ، تخص إبرز الجوانب من حياته العلمية والعملية ذات الصلة بعمل شيخ الإسلام . وقد زودت كتب الوفيات الرسالة بمعلومات مهمة عن حقبة الدراسة ويأتي على رأسها كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي شمس الدين ابن خلكان [2]

---

[1] هو الشيخ كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوي، ولد في نصف شعبان سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م وقيل سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، اخذ الحديث وتفقه على شيوخ المذهب الشافعي وشغل وظائف عديدة ،من أهم مصنفاته حل السماع، والبدر السافر في تحفة المسافر في مجلدين ضمنه تراجم على أسلوب وفيات ابن خلكان ثم كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد أو في نجباء الصعيد، وهو خاص بترجمة من اشتهر من أبناء الصعيد. توفي في ١٧ صفر ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وادفو قرية بصعيد مصر الأعلى وتوجد قرى كثيرة غيرها تحمل الاسم نفسه . للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب (٧٤٠- ٨٠٩/ ١٣٤١ـ) ، كتاب الوفيات ، تح: عادل ،نويهض، ط١ (جزءان، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨م) ص٤٢ ؛ ابن قاض شهبة ، طبقات الشافعية،جـ٣، ص٢.

[2] هو أبو العباس شمس الدين احمد بن إبراهيم بن ابي بكر المشهور بابن خلكان ( ت :٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) اهتم بطلب العلم منذ الصغر ونبغ فيه، وولى مناصب مختلفة بدمشق منها القضاء والتدريس ايام السلطان الظاهر بيبرس والاسم الكامل لكتابه هو" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع، او أثبته العيان "، تح :إحسان عباس (ثمان مجلدات ،بيروت : دار صادر ، ١٩٧٢م) والكتاب ثمين يحتوي على اكثر من ثمانمائة ترجمة. ينظر: ابن

(ت :٦٨١هـ– ١٢٨٢م) الذي قدم لنا من مصدر إقامته بدمشق معلومات مفيدة عن تراجم الرجال المعاصرين للدولة الأيوبية وما قبلها. ثم يأتي بعده في الأهمية كتاب بعنوان تالي كتاب وفيات الأعيان لمصنفه الكاتب فضل الصقاعي [١] والذي ابتدأ به من عشر سني الستين وستمائة الى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة،غطى فيه معظم مدة حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ومن كتب الوفيات الأخرى التالية لهذين الكتابين كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي [٢] (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) ،وكتاب (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبى [٣] (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) الذي جعله ذيلا على كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان. وقد قدمت هذه المصنفات ولا سيما فوات الوفيات تراجم لشخصيات شيوخ الإسلام ساعدت على تحديد كثير من خصوصيات اللقب واعتباراته الشرعية والعلمية . أما شمس الدين الذهبي [٤] (ت: ٧٤٨ / ١٣٤٧م) فيوفر لفصول الرسالة معلومات مهمة في كثير من مصنفاته لا توردها المصادر الأخرى ولا سيما سير أعلام النبلاء و تذكرة الحفاظ ، من ذلك على سبيل المثال المعلومات التي تضمنتها الترجمة التي خصصها لشيخ الصوفية والمحدثين في

---

كثير، البداية والنهاية،جـ١٣، ص٣١؛ دائرة المعارف الإسلامية: مادة ابن خلكان، م١،ص ص٥٧– ١٥٨؛ محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ( ٨مجلدات ، القاهرة : مط التوكل ، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م) جـ١، ص ص٤٦– ٥٠.

[١] هو فضل الله بن أبى الفخر الصقاعي ، مؤرخ نصراني عاش في دمشق في أثناء القرن الثامن الهجري توفي في ٧٥٢هـ/١٣٥٢م، يبدو من خلال عنوان مصنفه انه جمع فيه تراجم الرجال الذين توفوا بعد السنة التي توقف عندها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان . وكتاب تالي وفيات الأعيان كتاب قيم يقع في مجلد واحد ، ويحوي بين دفتيه ٣٥٣ ترجمة مختصرة لمشاهير الأعيان ينظر ،قمر الزمان يوسف ،السلطان المملوكي في مصر ،قلاوون(٦٧٨– ٦٨٩هـ/١٢٨١ـ١٢٩٠م)،تر:مفيد الزيدي، دراسات تاريخية ، العدد الثاني (نيسان–حزيران) السنة الثالثة ٢٠٠٢م– ١٤٢٢هـ٠ص١٢٤

[٢] يعد كتاب الوافي موسوعة جامعة في تراجم الاعلام، في نحو خمسين مجلداً وهو على نحو كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ، وقد نشر تباعاً في فيسبادن بألمانيا الغربية حينئذ وبيروت .

[٣] أبو عبد الله محمد بن شاكر الكتبي الدمشقي، اهتم بطلب العلم والتأليف فيه رغم فقره٠ وكتابه فوات الوفيات، يحتوي خمسمائة ترجمة وهو تذييل على كتاب وفيات الاعيان، والكتاب قيم، ويسد بعض النقص الذي نجده في وفيات الأعيان مثل وفيات الخلفاء وغيره ،إلا ان به إيجاز شديد يصل الى حد الاخلال .

[٤] هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي [٦٧٣– ٧٤٨هـ/ ١٢٧٤– ١٣٤٧م] ولد في دمشق ويعد واحدا من كبار الأعلام فيها، اهتم بتحصيل العلوم والتصنيف واشتهرت كثير من مؤلفاته مثل سير أعلام النبلاء ودول الإسلام وتاريخ الإسلام ، والعبر، وغيرها، وعن سيرته ومنهجه ينظر : الأطروحة القيمة التى كتبها بشار عواد معروف بعنوان شمس الدين الذهبي ومنهجه (جامعة بغداد : كلية الآداب، ١٩٧٥م) اطروحة دكتوراه غير منشوره.

هراة شيخ الإسلام أبي عبد الله الأنصاري الهروي، واكثر ما ذكره تخص رجال الحديث دون أدنى شك لكونه من المدرسة الظاهرية التاريخية النشطة في الشام ، إلا انه من الملفت للنظر في مصنفات الذهبي كثرة استخدامه للقب شيخ الإسلام إذ يلقب كثيراً من المحدثين بهذا اللقب مع انهم لم يشتهروا به في الزمان الذي عاشوا فيه على نحو ما سنشير إليه لاحقا [١] . في حين أن هنالك بعض الشخصيات التي وجدت اهتماما عند تلميذه تاج الدين السبكي- لا تلقى تلك الأهمية عند الذهبي ، وربما يعود ذلك إلى أمور متعلقة بعقيدة الذهبي الظاهرية ، وبالقدر الذي يحب فيه الذهبي المحدثين سواء كانوا شافعيين او حنابلة نجده يمقت أصحاب العقيدة الاشعرية [٢] و كل من يخوض في علم الكلام [٣] ، الذي ينحاز إليهم السبكي ، ومن كتب التراجم التي ينبغي الإشارة إليها في هذا المقام كذلك مصنف الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني [٤] . حيث قدم معلومات مهمة عن كثير من الأعيان استفاد الباحث منها في اكثر من موضع. وقد نقل ابن حجر هذه المعلومات عمن سبقه من المؤرخين كالصفدي( ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) ، والذهبي ( ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، والبرزالي ( ت :٧٣٩هـ/١٣٣٨م) وغيرهم. واخيراً يأتي في قائمة كتب التراجم التي استفاد منها الباحث بشكل مباشر مصنف ابن العماد

---

[١] يعد كتاب تذكرة الحفاظ ، او طبقات الحفاظ ، او الطبقات الكبرى ، كما يسميه البعض ، من أهم الكتب الجامعة لتاريخ حفاظ الحديث- وقد قسمهم الذهبي إلى إحدى وعشرين طبقة ابتداء من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد المؤلف. وقد جعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على راس الطبقات الكبرى.

[٢] ينظر : G . Makdisi, Ibn 'Agti et Resurgence de I'Islam traditionaliste au Xle siecle ( Damas:Institut Francais, 1963),pp.341,423

[٣] ويتابع الذهبي في هذا الاتجاه المؤرخ السيوطي (ت ٩١١هـ- ١٥٠٥م) في كتابه طبقات الحفاظ.

[٤] هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن محمود بن احمد العسقلاني الأصل ، ثم المصري المولد والنشأة ، ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه . ولد بمصر في ١٢ شعبان سنة ٧٧٣هـ / ١٣٦٣م ، درس ابن حجر الفقه واللغة وعلوم القرآن ، وشغف بالأخص بالحديث وقام في سبيل الاستزادة من هذه العلوم برحلات دراسية الى البلاد المصرية والشامية والحجازية واليمن ، وقد نبغ في هذه العلوم حتى اصبح قطباً من أقطاب الحديث والعلوم الدينية ، كما كان له باع طويل في التاريخ . شغل ابن حجر منصب قاضي القضاة فضلاً عن تدريسه في كثير من مدارس القاهرة الشهيرة ، كما ولَي الافتاء بدار العدل . تـوفَي ابن حجر في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م . وله كثير من المصنفات

في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ ، عن سيرته ينظر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي ( ت: ٩٠٢هـ) ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ( بيروت : مط دار مكتبة الحياة ، بلا . ت ) ، ج٢، ص ٣٦ ؛ محمد عبد الله عنان ، مؤرخو مصر الإسلامية ، ط١ ( القاهرة : مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م ) ص ص ١٠٥-١١٤.

الحنبلي [1] (ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)المسمى شذرات الذهب في اخبار من ذهب، إذ قدم عدداً كبيراً جدا من التراجم الخاصة بعلماء الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وفيما يخص الحقبة قيد الدراسة نجده يستوفي معلوماته من مصنفين معاصرين من صنف المحدثين كالذهبي. وتظهر أهمية مصنف ابن العماد في استخدامه للقب شيخ الإسلام والإشارة إلى تطوره في كثير من التراجم التي يحويها هذا المصنف .

## كتب الحوليات

وهي إما من لون كتب التواريخ العامة او من لون كتب الدول والأسر الحاكمة مرتبة على وفق السنين، وتضم عادة أخبارا عن حوادث معينة ذات صلة بالخلفاء والسلاطين والملوك ، لكنها تضم معلومات للتراجم أيضا لا يمكن الاستغناء عنها كالمعلومات التي تتعلق بإجراءات هؤلاء الخلفاء والسلاطين تجاه الفئات الدينية في المجتمع ومقدميهم خصوصاً منهم مشايخ الإسلام ، كما تكون عادة غنية بالوثائق التي تستهوي المؤرخ وتفيده في عمله، ويأتي على رأس هذه المجموعة مصنفات أبي شامة المقدسي الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية والذيل عليها (المعروف بتاج التراجم)، وكذلك ما كتبه ابن واصل في مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، وابن كثير في البداية والنهاية وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة . فبالنسبة لأبى شامة المقدسي [2]فانه يحتل منزلة خاصة كونه كان معاصراً لمعظم شيوخ الإسلام في الدولة العربية الإسلامية (٥٩٩- ٦٦٥هـ/ ١٢٠٢-١٢٦٧م) ومن هنا تأتي

---

[1] هو عبد الحي بن احمد بن محمد بن العماد العسكري، الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، مؤرخ ، فقيه، واديب، ولد في صالحية دمشق في ١٨ رجب ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م، و اقام بالقاهرة مدة طويلة توفي بمكة في ١٦ ذي الحجة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م، له مصنفات متعددة في الفقه والحديث والتاريخ.
ينظر: عنه عمر كحاله ، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب ( ١٣ مجلد ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا. ت) م٥ ، ص١٠٧.

[2] عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبى بكر بن إبراهيم بن محمد، المقدسي نسبة إلى بيت المقدس التي زارها في سنة ٦٢٤هـ. ولد بدمشق وعاش بها ، اشتهر بحرصه على طلب العلم والتصنيف فيه. وللمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بن شاكراحمد الكتبي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، فوات الوفيات تح: إحسان عباس، ( ٤أجزاء، بيروت:دار صادر ١٩٧٣) ج٢، ص٢٦٩؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، م٥، ص١٦٠ ؛ شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون " دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام " ، ط١ (بيروت : مط دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م) جـ٢ ، ص ص٢٦٦-٢٦٨ .

أهمية المعلومات المتوفرة في الذيل على الروضتين (١). ويقف كتاب ابن واصل (٢) (٦٠٤- ٦٩٧هـ/ ١٢٠٧- ١٢٩٨م)، الموسوم بمفرج الكروب في اخبار بني أيوب في طليعة الكتب التي تغطي اخبار سلاطين الدولة الأيوبية ، الثمانية بالتتابع ، ولذلك نجده يحتوي على معلومات تفصيلية عن جل الأحداث السياسية المهمة لعهود هؤلاء السلاطين ، مدعمة بوثائق كثيرة نظراً لكونه من المسؤولين الذين لديهم اطلاع مباشر على وثائق ديوان الإنشاء العائدة للايوبيين والمماليك ، كما يوفر معلومات عن اهتمام هؤلاء السلاطين بالحياة الفكرية والدينية وعلاقتهم بممثلي الفئات الدينية من الفقهاء ، وقد استفاد الباحث من هذه المعلومات خصوصا ما يتعلق منها بموقف نائب السلطنة الايوبي الملك الاشرف موسى من الخلافات التي نشبت بين جماعة الحنابلة الدمشقيين وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام حول بعض الأمور المتصلة بالعقائد.

أما ما يتعلق بابن كثير (٣) (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) وكتابه البداية والنهاية في التاريخ فيعد هذا الكتاب من الكتب التي تهم طالب الدراسات الأيوبية والمملوكية لما يحويه من معلومات قيمة عن الأحداث التاريخية المختلفة فضلا عن تراجم الوفيات التي يوردها في نهاية كل سنة ، والمؤلف يستمد معلوماته من مؤرخين سبقوه مثل أبي شامة وقطب الدين اليونيني ولكن بشكل خاص من تاريخ البرزالي (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٧م) المقفي في التاريخ الذي لم يصل الينا اذ نقل ابن كثير كل ما أرخه البرزالي حتى سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٦م. أما ما يخص موضوع الرسالة فضلاً عن استخدام ابن كثير لتسميات شيخ

---

(١) من خلال كتابه الموسوم الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية يتضح انه مخصص لدراسة عهدي الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي والسلطان صلاح الدين الأيوبي.

(٢) هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن مسالم بن واصل، قاضي حماة، احد رجال الادارة المهمين في الدولتين الايوبية والمملوكية، ينظر عن سيرته: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) ، نكت الهميان في نكت العميان (القاهرة: مط الجمالية ، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)ص ص٢٥٠- ٢٥٢؛ السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (القاهرة: مط السعادة ، ١٣٢٦هـ) ص٢٤ ، وفي هذا المحتوى يستفاد من كتاب مناقب بني أيوب لأبى البركات الحنبلي (ت: ٨٧٦هـ/١٤٧٢م) خصصه لترجمة سلاطين البيت الأيوبي وملوكهم، والحديث عن مناقبهم ، وقد عول كثيرا على معلومات ابن واصل عن السلاطين والملوك الأيوبيين.

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير، واحد من اشهر المؤرخين المسلمين في دمشق في عهد المماليك، واخذ شهرته هذه بصفة أساسية من كتابه البداية والنهاية، فضلا عن كتاب تفسير القران الكريم في أربع مجلدات . شغل وظيفة التدريس والاقراء والحديث ، توفي ابن كثير في دمشق ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية. ينظر عنه عمر كحاله ، معجم المؤلفين، م٢،ص ص٢٨٤.٢٨٥ .

الإسلام، في التراجم التي يترجم لها نجد لديه معلومات وفيرة عن كثير من الأحداث المتعلقة بهؤلاء الشيوخ ، وقد استفاد الباحث منها خصوصاً في المحن المتعلقة بشيخ الإسلام أبن تيمية و في تغطية علاقاته ومواقفه مع كل من السلطان الايلخائي محمود غازان والسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون. أما ابن تغري بردي [١] (٨١٢- ٨٧٤هـ/ ١٤٠٩- ١٤٦٩م) وكتابه الشهير النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة فيقدم معلومات جيدة عن العلاقات القائمة بين شيوخ الإسلام وملوك وامراء الدولتين الأيوبية والمملوكية من رسميين وغير رسميين . وهو يستمد معلوماته الخاصة بمدة البحث ممن سبقه من المؤرخين مثل بيبرس الدواداري ( ت : ٧٣٢هـ/١٣٣١م ) في كتابه كنز الدرر وجامع الغرر- أحد الكتب المهمة عن فعاليات أمراء الدولة المملوكية- وكذلك من ابن واصل والذهبي وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم [٢] .

ومن كتب الحوليات الأخرى المرتبة على السنين كذلك مصنف بيبرس الدوادوري [٣] ، بعنوان الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، وهو يمثل الجزء التاسع من مصنفه الذي يقع في تسعة أجزاء بعنوان كنز الدرر وجامع الغرر ، وقد خصص ابن ايبك الجزء التاسع كما هو واضح من العنوان لدراسة الفترة التي حكم فيها السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهي المدة التي ظهر من خلال أحداثها اثنان من شيوخ الإسلام هما ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٣م) وابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) حيث توجد

---

[١] ابو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الجويني، ولد في القاهرة في شوال ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، يعد والده أحد كبار الأمراء في الدولة المملوكية الشركسية، كان حاكما لامارتي حلب ودمشق وكانت أمه جارية تركية للسلطان الملك الظاهر برقوق ، توفَي في شهر ذي الحجة من سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م . قدم لنا ابن تغري بردي مصنفات تاريخية كثيرة كان أول هذه المصنفات المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي وهو ذيل على معجم صلاح الدين الصفدي الشهير الوافي بالوفيات ، ثم كتاب حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور وهو تذييل لكتاب أستاذه المقريزي الموسوم بالسلوك لمعرفة دول الملوك . ثم صنف بعد ذلك كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،والذي يعد من اشهر كتبه اهتم فيه بتاريخ مصر ابتداء من ٢٠هجرية وحتى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م. عن سيرته وإسهاماته ينظر : محمد عبد الله عنان ، مؤرخو مصر الإسلامية ، ص ص١١٤-١٢٧؛ دائرة المعارف الإسلامية: مادة أبو المحاسن مج١، ص ص٢٩٦-٢٩٧ .

[٢] تقع المعلومات المهمة التي تكشف عن المدة التي عاشها المؤلف خارج نطاق المدة الزمنية التي تعني الباحث.

[٣] هوسيف الدين أبو بكر عبد الله بن ايبك الدوادوري (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣٥) وجده هو عز الدين ايبك (ت: ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) كان حاكم صرخد أحد قلاع الكرك في بلاد الشام . ينظر ، قمر الزمان يوسف ، السلطان المملوكي في مصر ، قلاوون " ٦٧٨-٦٨٩هـ " تحليل ببليوغرافي ، تر: مفيد الزيدي ، مجلة دراسات تاريخية ، صادرة عن بيت الحكمة ، العدد الثاني ( بغداد : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ) ، ص١٢٥ .

معلومات قيمة جدا في هذا المصنف ، بما فيها محن ابن تيمية ، والتي حظيت الأحداث المتعلقة به بمتابعة خاصة من الدوادوري [١]، وهذه المعلومات تأخذ أهمية خاصة من كون الدوادوري معاصراً للأحداث فضلاً عن كونه أحد الأمراء المماليك في بيت الملك الناصر وكون والده كان أحد كبار موظفي الدولة في بلاد الشام- كما أشار هو الى ذلك – الأمر الذي سهل عليه متابعة تفاصيل محنة شيخ الإسلام ابن تيمية ومحاكمته.

## الوثائق الرسمية

لما كانت الألقاب ذات صفة خاصة بالدولة، ممثلة بشخص الخليفة او السلطان فيما بعد ، ولما كان منح واصدارات هذه الألقاب من صلاحياته وامتيازاته، كانت الوثائق الرسمية التي تحملها مصدر اهتمام الباحث وملاحظته الشخصية، وذات أهمية خاصة بالنسبة لموضوع الرسالة ،لما يتوقع من ذكرها لمثل هذا اللقب الشائع، طالما كان البحث في الأصول التاريخية لوثائق الخلافة او السلطنة التي ترتبط بهذا الأمر ، و طالما كان الانعام بهذه الكنى والألقاب من مسؤولية الدولة وخصوصياتها الرسمية ، غير أن الأمر هنا بقدر ما يتعلق بموضوع الرسالة يأتي مخيبا تماما، فلا يوجد في الوثائق الرسمية للدولة، حسب علم الباحث ، أي حفظ أو إشارات إلى تواقيع أو مراسيم تخص تعيين شيخ الإسلام من قبل الدولة، او حتى مجرد التلميح إلى ذلك ، سواء كان ذلك في الدولة الأيوبية أو المملوكية فيما بعد ، مما يشجع على القول إن الصفة الرسمية لشيخ الإسلام لم تكن قد أخذت شيئا من الطابع الرسمي للدولة بل كانت تنتشر داخل المجتمع بين الفئات الدينية من الفقهاء والمحدثين حتى وقت ارتباط المصطلح بمهمة الإفتاء التي هيأت اللون الرسمي للارتباط. ومن هنا فإن الوثائق التي وصلت الينا في هذا الصدد هي عادة ما تحويه كتب الحوليات، وكتب التراجم من مراسلات ، وهي ليست معلومات مباشرة تخص التعيين ومراسيم التقليد بقدر ما هي مادة تاريخية متعلقة بالأحداث التي تتضح من خلالها طبيعة العلاقة القائمة بين شخصيات شيوخ الإسلام انفسهم المقترنة باعتراف رجال المؤسسة الدينية وقتئذٍ من الاقران والاصحاب والتلاميذ وما يكون المجتمع الديني السياسي للدولة ، بما في ذلك العلاقة القائمة بينهم وبين

---

[١] إذ خصص عنؤاناً طويلاً لذكر ما جرى لابن تيمية في دمشق والقاهرة ، فضلاً عن المعلومات المتناثرة في ثنايا الكتاب عن الأحداث نفسها .

المؤسسة السياسية المتمثلة بالسلطان والأمراء، و في هذا الصدد تأخذ الوثائق المتعلقة بالرسائل التي كان يبعثها شخص شيخ الإسلام إلى سلطان الوقت أو أحد نوابه لتوضيح بعض القضايا الخاصة بالسلطنة منزلة خاصة ، وما يترتب على ذلك من رسائل على مستوى الإدارة بين السلطان و أحد نوابه لتقرير توجيهات بشان أمر أحد شيوخ الإسلام، فمثلاً نجد عند السبكي في طبقات الشافعية الكبرى نماذج من رسائل النوع الاول من خلال ترجمة تخص شيخ الإسلام العز بن عبد السلام وعلاقته مع الأشرف موسى ( ت : ٦٣٥هـ/١٢٣٨م ) نائب السلطنة بدمشق ، والتي قامت اثر المواقف التى أجج فيها ابن عبد السلام الفتنة مع الحنابلة خلال ولاية الأشراف هناك [١] ،وكذلك الوثائق التى يوردها جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م ) في كتابه حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة ، بخصوص مواقف شيخ الإسلام محي الدين النووي من السلطان الظاهر بيبرس، فضلا عن رسالة ثالثة بعث بها الى نائب السلطان عز الدين ايدمر .

أما ما يخص النوع الأخر من المراسلات فتمثلها رسائل السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى نوابه على دمشق، وهي متعلقة بقضايا تخص شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وقد احتفظ لنا بهذه الرسائل المهمة بيبرس الدوادوري في مصنفه كنز الدرر وجامع الغرر في الجزء التاسع منه المسمى الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر .وكذلك من الكتب الأخرى التي تدخل ضمن الوثائق السياسية موسوعة كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي [٢] (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) حيث يقدم معلومات مفيدة في تطوير كثير من فقرات البحث ،وما يهمنا منها بشكل أساسي هو تلك المعلومات التي يحويها الجزء السادس والخاصة بالألقاب.

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٢٠٩ .٢٥٥ .

[٢] هو شهاب الدين أبو العباس احمد بن علي بن احمد الشافعي (٧٥٦– ٨٢١هـ/ ١٣٥٥– ١٤١٨م) والقلقشندي نسبة الى بلدته قلقشنده إحدى قرى قيلوب بمصر ،درس القلقشندي بالقاهرة والإسكندرية على أكابر شيوخها ، وتخصص في الأدب والفقه الشافعي ، ونبغ بالأخص في علوم اللغة والبلاغة والإنشاء ، وقد أهله هذا النبوغ للعمل في ديوان الإنشاء تابعا للإدارة المملوكية في الفترة من [٧٩١– ٨٢١هـ/ ١٣٥٥– ١٤١٨م] ، من أهم آ ثاره كتابه او موسوعته الشهيرة " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " . توفى القلقشندي ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة.
ينظر عن سيرته: جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الاتابكي ( ت: ٨٨٤هـ/ ١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ( ١٦اجزاً ،القاهرة : مط دار الكتب المصرية ، ١٩٣٦ م ) جـ١٤، ص١٤٩؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٤، ص٣٢٢؛ محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ، ص ص ٧٦– ٨٥ .

## كتب الرحلات

من الكتب ذات الصلة بذكر الألقاب وعادات المجتمع وعناصره كتب الرحلات وادبياتها _ التي استفاد منها الباحث في ذكر جوانب من فعاليات شيوخ الإسلام ونشاطهم في جوامع ومساجد المدن الإسلامية الكبرى ومدارسها في بلاد الشام ، مثل الكتاب المسمى تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمصنفه الرحالة المغربي ابن بطوطة [1] (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) حيث قدم لنا فيه معلومات عن مصر وبلاد الشام في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، ويهم الباحث منها تلك التي سجلها عن ابن تيمية وعلاقته مع نائب السلطنة بدمشق أقوش الافرم ، ومشاهدته الخاصة عنه .



## كتب الفقه

نبع فرع من شريحة شيوخ الإسلام من بين أئمة الفقهاء البارعين في مسائل النظر والخلاف ،من فروع الفقه ، ومن بين الذين يشغلون عادة منصب التدريس ويتميزون في تدريس الفقه وأصوله، أما في المسجد الذي يحمل اسمه او المدرسة التي بنيت له فيما بعد بشرط الواقف ، فضلاً عن تمييزهم فيما بعد برئاسة المذهب والنظر في الفتيا وكذلك في تولي شئون الأوقاف العائدة لهذه المراكز الدينية ، و من هنا يعد هذا اللون من صنوف المعرفة التاريخية مهمة في تحديد جوانب من شروط ومنزلة وواجبات شيخ الإسلام، ويأتي على رأس هذه الكتب كتاب العز بن عبد السلام قواعد الأحكام في مصالح الأنام.

و أخيرا اذكر كلمة موجزة عن الدراسات الحديثة التي استفاد منها الباحث اذ كان أول كتاب قرأه عند شروعه في مشروع هذه الرسالة هو كتاب عصر سلاطين المماليك لمؤلفه محمود رزق_سليم وهو

---

[1] هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف العوان الطنجي أبو عبد الله بن بطوطة رحل إلى المشرق وتوغل في عراق العجم ثم دخل الهند والسند والصين ورجع الى اليمن ثم سافر للحج وجاور هناك ثم رجع إلى الهند فولاه ملكها القضاء ،ثم رجع إلى المغرب وظل يحكي ما شاهده في رحلته من الغرائب، فصدقه البعض ورماه آخرون بالكذب، وقد استدعاه صاحب فاس وأمره بتدوين رحلته. توفي وهو شاغل لمنصب القضاء ولا يعرف تاريخ وفاته ولكنه من المحتمل أن يكون في سنة ٧٧٩هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تح : محمد عبد المعيد خان ، ط٢ ( ٦أجزاء ، حيدر اباد : مط دائرة المعارف العثمانية . ١٩٧٢م ) جـ٥، ص٤٢ ؛ محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ط٤ ( القاهرة : مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٢ﻫ / ١٩٦٢م ) ص ص ٣٤٧-٣٥٨ .

يقع في ثمانية مجلدات، ثم كتب متعلقة بحياة شيخ الإسلام ابن تيمية من ذلك كتاب أبي الحسن علي الحسني الندوي [١] ، والجزء الثاني من سلسلة أعلام العرب تأليف محمد يوسف موسى[٢]. ثم عدداً من رسائل الماجستير والدكتوراه غير المنشورة أشار إليها الباحث في ثنايا هذه الدراسة.

ولكن ما ينبغي الإشارة اليه هنا انه لايوجد دراسات مستقلة منشورة بالعربية عن شيخ الإسلام للمدة قيد البحث ، كما سبقت الإشارة الى ذلك،عدا دراسة مترجمة عن التركية للباحث التركي الأصل اكرم كيدو عن مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية ، لكن هذه الدراسة ،كما يبدو من العنوان تتحدث عن الرجل الثالث في الدولة العثمانية بعد السلطان والصدر الأعظم ، ومتخصصة في خصوصيات المؤسسة لتلك المدة وحدها . كما توجد أيضا ، مقالة ريجارد بولت عن شيخ الإسلام في أصوله الأولى في المجتمع النيسابوري ، كما ظهر في المشرق . كتبها اعتمادا على المعلومات الجيدة التي وفرتها للباحثين مخطوطة عبد الغافر، السياق على تاريخ نيسابور، التي وظفها المؤلف أثناء كتابة أطروحته للدكتوراه عن الأرستقراطية النيسابورية في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي [٣].

وفي ضوء الطريقة التحليلية للمادة التاريخية سنقوم أولا بمتابعة . ما أمكن . مصطلحي الشيخ وشيخ الإسلام على نحو ما ظهر وتطور في المجتمع العربي الإسلامي في المشرق ،ضمن التعابير التي كانت متداولة بين رجال الدين ، وطبقات الكتاب ، وفئات المجتمع الأخرى ، ونحاول التعرف على مدلولاتها الدينية والسياسية والإدارية بالتتابع. وحينذاك يصبح بإمكاننا متابعة مفهوم المصطلح وطبيعته من وجهة النظر التاريخية ، ونتعرف على العلاقة القائمة بينه وبين المترجم لهم من رجال المؤسسة الدينية الذين يتمتعون بنعت شيخ الإسلام .

---

[١] رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، الجزء الثاني الخاص بحياة شيخ الإسلام الحافظ احمد بن تيمية ، تر: سعيد الاعظمي الندوي ، ط١ ( الكويت : مط دار القلم ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) .

[٢] سلسلة اعلام العرب "٢ " ابن تيمية ( بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم ، بلا. ت ) .

[٣] The Patricans Of Nishapur : a study in Medieval Islamic Social History (Cambridege,Mass.Harvard University Press,1972 ) .




# الألقاب الدينية المتداولة في المشرق

## مقدمة في الألقاب

تعرضت الأقاليم الشرقية للخلافة العباسية في الربع الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وخلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، لغزو البويهيين [1] أولاً، والسلاجقة [2] ثانياً - الذين استطاعوا الهيمنة على بغداد وبسط نفوذهما السياسي على دولة

---

[1] البويهيون أو بنو بويه : أسرة فارسية أسسها شجاع بن بويه من أهل الديلم إذ استطاع أولاده الثلاثة ( علي وحسن واحمد ) فيما بعد (عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ) الظهور على الساحة السياسية ، وقد كانت البداية عندما تولى اصغر الاخوة الثلاثة وهو احمد ولاية الكرج . إلى الجنوب الشرقي من همدان - من الأمير مرداويج زيار ، إذ استطاع أن ينتصر على جند الخليفة ويمد نفوذه إلى اصفهان .و بعد هذا النصر بدأت الخلافات تشتد بين الاخوة الثلاثة والأمير مرداويج التي انتهت بمقتل الأخير سنة ( ٣٢٣هـ/٩٣٥م ) واستيلاء بني بويه على إقليم شيراز بأكمله واستمرت انتصاراتهم إلى أن تمكن اصغر الاخوة الثلاثة احمد بن بويه من دخول بغداد في جمادى الأولى ٣٣٤هـ/ كانون الأول ٩٤٥م ،فعينه الخليفة المستكفي أميراً للأمراء ولقبه معز الدولة ، ولقب أخآه علي عماد الدولة ، و أخوه حسن ركن الدولة ، وظلت هذه الألقاب خاصة بسلاطين بني بويه ، الذين استمروا متنفذين على بغداد والأقاليم الشرقية يعبثون بالخلفاء إلى أن دب الضعف والنزاع بينهم، فضلاً عن حدوث فتنة في بغداد اضطر السلطان ستون بن عماد الدين - آخر سلاطين بني بويه في بغداد - إلى التحالف مع السلطان السلجوقي .الامر الذي أتاح الفرصة لدخول السلطان طغرل بك إلى بغداد عام ٤٤٧هـ/١٠٥٧م. وانتهى بذلك سلطان بني بويه . للمزيد من التفاصيل ينظر : دائرة المعارف الإسلامية ، مج٤، مادة بني بويه [ k.v.zetrsteen ] ص ص٣٥٤-٣٥٨ ؛ محمد حسين الزبيدي ، العراق في العصر البويهي التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية ( ٣٣٤-٤٤٧هـ) ( دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م) ؛ محمد محمود إدريس ، دراسة في التاريخ والحضارة الإسلامية ( الخلافة العباسية في عهدي نفوذ الأتراك والبويهيين ) (القاهرة:دار الثقافة،١٩٨٤م) ص ص١-٣٠؛عمر فاروق، الخلافة العباسية المتأخرة (الشارقة : دار الخليج، بلا. ت) ص ص١١-٧٢؛ كاظم ستر خلف ، محاولات البويهيين في العراق في هدم الاقتصاد العربي الإسلامي(٣٣٤-٤٤٧هـ) (الجامعة المستنصرية: كلية الآداب، ١٩٩١م ) ( رسالة ماجستير غير منشورة) ؛ إبراهيم سلمان محمد : علي بن بويه ودوره في تأسيس الدولة البويهية ( جامعة الإسكندرية: ١٩٧١ م) اطروحة دكتوراه .

[2] السلاجقة نسبةً الى سلجوق بن دقاق ، وكانوا في البداية أخلاط من الترك يعيشون على السلب والنهب .ثم هاجر مقدمهم سلجوق مع جماعات منهم الى بلاد الإسلام ،خوفاً من بيغو ملك الترك، حيث اعتنقوا الإسلام وصاروا يغزون الترك منها .و بعد وفاة سلجوق خلفه أولاده في جهاد الأتراك وبدأ شمس السلاجقة بالشروق تدريجياً مع غروب شمس السامانيين حتى استطاعوا السيطرة على معظم مدن المشرق وخراسان، وعندما اصبح طغرل بك مقدم السلاجقة تطلع لمد نفوذه نحو الغرب حيث انفذ رسوله الى الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالهدايا، وسار يريد بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٧م حيث دخلها ونعت بالسلطان ركن الدين طغرل بك وظل يحكم حتى وفاته سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٥م . واشتهر من سلاطين الدولة السلجوقية بعد ه ابن أخيه السلطان عضد الدولة ألب ارسلان ، الذي

الخلافة لمدة طويلة . الأول ما يقرب من قرن وثلاثة عشر عاما ، والثاني ما يقرب من قرن ونصف ( على وجه التحديد مائة وثلاثة و أربعون عاماً ) ، ويلاحظ على حكم هاتين الدولتين كثرة الألقاب التي اقترنت بأسماء أمرائها وسلاطينها سواء أكانوا من البويهيين أو السلاجقة. وما يهمنا في حكم البويهيين والسلاجقة هو ما تزامن [١] معه من ظهور لكثير من الألقاب الدنيوية المضافة الى الدولة مثل سيف الدولة ، وناصر الدولة ، وغيرها من الألقاب التي تشير الى أن حاملها من رجال الدولة المتقدمين والمتنفذين في إدارتها الحاكمة، التي كانت عناصرها تدير الجهاز الإداري للدولة٠ وكذلك يهمنا في أمر هذه الألقاب الدنيوية هو ارتباطها زمنيا بظهور ألقاب أخرى مضافة الى الدين أو الإسلام ، الأمر الذي يوحي إلى أن ظهورها ربما كان كرد فعل أو شيء من هذا القبيل ،حيث أختص بهذا النوع من الألقاب العلماء من الفقهاء والمحدثين وغيرهم ، من ممثلي المؤسسة الدينية في دولة الخلافة ، ومن ابرز هذه الألقاب التي اشتهرت وشاعت في ذلك الزمان ألقاب كمثل: حجة

= اشتهر بإنجازاته التي من أهمها أخذه للقدس والرملة من الفاطميين. وفي عهده أسس وزيره نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد حيث تم بناؤها سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٧م، ثم اشتهر من بعده السلطان ملك شاه والذي اتسعت الدولة السلجوقية في عهده من الصين شرقاً وحتى بلاد الشام غرباً . للمزيد من التفاصيل ينظر : تقي الدين احمد بن علي المقريزي ( ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تص : محمد مصطفى زيادة ، ط٢ (٦ أجزاء ، القاهرة : مط لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧م ) ج١ ،ص ص٤١-٥٦ ؛ صدر الدين علي بن ناصر بن علي الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية، تحقيق محمد اقبال ، ( لاهور : د. مط ، ١٩٣٣م) ؛ رامس ،تامرا تاليوت، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، تر: لطفي الخوري و إبراهيم الداقوقي ( الإرشاد،١٩٨٦م)؛ حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ( بغداد : المكتبة الاهلية ، ١٩٦٥م) ؛ محمد حمود إدريس ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ( دار الثقافة،١٩٨٣م)؛ فوزي أمين يحيى ، نظام السلطنة في الدولة العباسية ، ( جامعة الموصل : ١٩٨٤م ) رسالة ماجستير غير منشورة.

[١] يذكر القلقشندي أن التلقيب بالإضافة الى الدولة وقع في أيام الخليفة المكتفي بالله. حيث لقب المكتفي أبا الحسين بن القاسم بن عبيد "ولَي الدولة "، وهو أول من لُقب بالإضافة الى الدولة ، ولَقب المقتدر بالله على بن أبى الحسين بـ"عميد الدولة " . وعندما وافت الدولة البويهية أيام الخليفة المطيع لله ، والأمر جار على التلقيب الى الدولة ، فافتتحت ألقاب الملوك بالإضافة الى الدولة ، فكان أول من تلقب بذلك من الملوك بني بويه الثلاثة كل من أبي الحسن "علي بن بويه "عماد الدولة ،و أخوه أبو على الحسن "ركن الدولة" ، و أخوهما أبو الحسين احمد " معز الدولة " . ينظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ( القاهرة : مط كوستا توماس ، ١٩٦٣م) ج٦ ، ص٤٤٢.

الإسلام [١] ، وجمال الإسلام [٢] ، و ركن الإسلام وفخر الإسلام [٣] ، وزين الإسلام [٤] ، وشهاب الإسلام [٥] ، وغيرها من الألقاب التي اختصت برجال المؤسسة الدينية .

كيف ظهرت هذه الألقاب واقترنت بعنصري الدين والدولة ليس من اهتماماتنا المباشرة،مع أنها قضية مهمة لمن يتصدى لمسألة الألقاب الإسلامية ، إلا أنه من المعروف جداً أن البويهيين والسلاجقة اكثروا من استعمال هذه الألقاب بشكل مدهش – استرعت انتباه الوزير نظام الملك[٦] في سياست نامة– ، بحيث اقترنت كلمة " الدولة " بألقاب الأمراء ، فالملك بألقاب رجال الدولة ، فيما اقترن لقب الدين بالألقاب الممنوحة لرجال الدين .

أما لقب أو مصطلح شيخ الإسلام ، كأحد الألقاب الدينية المضافة ، فهو كما نلاحظ يحمل لقبين معاً : الأول هو لقب شيخ ويمثل المقطع الأول ، والثاني يمثل المقطعين معاً، وهو لقب شيخ الإسلام، ولاريب في أن للقب شيخ الإسلام خصوصية وظروف تخص النشأة تختلف عن خصوصية لقب الشيخ في محتواه الاعتيادي ، مع أنه يوجد اشتراك بين اللقبين في كثير من المعاني والدلالات . ومن أجل ذلك بدأنا في هذا الفصل بالتعريف بلقب " شيخ " واستخداماته والمعاني والدلالات التى يحملها ، ثم تابعنا البدايات الأُلى لظهور لقب شيخ الإسلام، فهو- على خلاف ما كان معروفاً سابقاً بين الباحثين[٧]، من المصطلحات التى ظهرت في مدن المشرق ( نيسابور خاصة ) منذ وقت مبكر من تاريخ الدويلات الإسلامية . ولذلك حللنا في ضوء النصوص التاريخية المتوفرة الأسباب والظروف المختلفة التى كانت

---

[١] أشتهر بلقب حجة الإسلام كما يذكر الصريفيني الشيخ أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ/١١٠٩م)، كما يطلق اللقب نفسه علي البخاري ومسلم ، ينظر الصريفيني ، المنتخب من السياق ، ورقة ٢٠ب–١٢١ .

[٢] تلقب بهذا اللقب سعد بن هبة الله البسطامي (ت: ٥٠٢هـ)، ينظر: المصدر ذاته ورقة ١٧٠.

[٣] لقب ركن الإسلام أطلق على عبد الله بن يوسف الجو يني ، كما أن لقب فخر الإسلام أطلق على ابنه عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، ينظر المصدر ذاته ، ورقة ١٩٦ .

[٤] لقب زين الإسلام أطلق على الشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري ، ذاته ، ورقة ٩٧ب .

[٥] لقب شهاب الإسلام اشتهر به أبو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق (٥١٥هـ/١١١٨م) ، ينظر ذاته ورقة ١٠٤ب .

[٦] الحسن بن علي الطوسي نظام الملك(٤٠٨–٤٨٥هـ) : سياسات نامة المسماة سير الملوك، تر: يوسف حسين بكار (بيروت : دار القدس ، بلا.ت)

[٧] الرأي السائد بين الباحثين كان يقوم على افتراض أن التعبير ظهر مع العثمانيين الا أن مصنف السياق لعبد الغافر الفارسي والتراجم التى تحتويه يفصح بشكل لا لبس فيه انه من التعابير الخاصة بأهل المشرق منذ القرن الرابع الهجري .

وراء ظهور مصطلح شيخ الإسلام بين رجال المؤسسة الدينية في المشرق على مستوى المحدثين والفقهاء والمتصوفين والفئات الدينية الأخرى ، فقط حينذاك يصبح بإمكاننا التعرف على خصوصيات المصطلح ، وتقرير طبيعته ( الهستريوغرافية ) والدينية .

## المبحث الأول : لقب شيخ

إن تعبير الشيخ في التحديد الأولي للكلمة يشير الى الشخص الذي يحمل علامات كبر السن ، بما يجاوز الخمسين من عمره ، وهو ما حدده لغوياً كبير اللغويين جمال الدين بن منظور [١] ، ويرتبط بشكل أساسي بما يصبح لدى هذا الشخص من الخبرة والحنكة التي اكتسبها عبر السنين الطويلة، بحيث يكون هو الأقدر من غيره على مواجهة الظروف غير الملائمة والتغلب عليها [٢]. في هذا المحتوى اصبح تعبير الشيخ يشير بدرجة أساسية الى الشخص الكبير أو الأكبر ، سواء أكان كبيراً في السن، أو كبير المكانة والمنزلة ، أوالأكبر بمعنى الأكثر علماً من أقرانه العلماء ، أي كالذين احتلوا مركزاً روحياً أو دنيوياً أو اجتماعياً مرموقاً ، مثل رؤساء المذاهب والفرق الدينية ورؤساء العشائر ، وكذلك رؤساء الطرق الصوفية. وفي العرف كان السيد ، أي زعيم القبيلة، كثيراً ما يلقب قبل الإسلام بلقب شيخ ، يراد بذلك الفرد الذي تم نضجه بفعل السنين حتى اكتملت قواه العقلية [٣] واصبح بعد ذلك يستخدم تشريفا للعالم من الفقهاء والمحدثين أو أصحاب الديوان من رؤساء طبقة الكتاب ، الذين يحتلون مناصب الدولة المهمة ، ففي المحتوى الديني والإداري نلاحظ انتشار هذا اللقب – أي شيخ – بشكل واسع بين العلماء والكتاب المسلمين ممن يشكلون شرائح المجتمع في الدولة العربية الإسلامية ( دولة الخلافة ). ومن وجهة نظر المؤرخين ، ورد لقب شيخ في المصادر التاريخية خصوصاً منها كتب التراجم والطبقات بألوان مختلفة حسب ما يضاف أليه من المعرفة ، فيأتي أحياناً مضافاً اليه اسم بلد أو مدينة ، وأحياناً يأتي مضافاً اليه اسم علم من العلوم ، وتارة يأتي مضافا اليه اسم طائفة دينية وهكذا .

في هذا المحتوى سنورد نماذج من هذه الألوان لأسماء الشخصيات التي ارتبط اسمها بلقب شيخ في المصادر، ثم نحاول من خلال هذه النصوص أن نوضح بعضاً من هذه الدلالات لهذا اللقب عند مختلف الفئات الدينية والإدارية التي ينتسب اليها .

---

[١] جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري بن منظور(ت:٧١١هـ/١٣١١م ) ، لسان العرب ، (عشرين مجلد ،القاهرة : المؤسسة المصرية ، بلا . ت ) م٣، ص٥٠٩ .

[٢] المصدر ذاته ، م٣ ، ص٥٠١ .

[٣] دائرة المعارف الإسلامية ، ج١٣، ص٤٦٨ .

أ- لقب الشيخ كما ورد في النصوص

ورد لقب شيخ في النصوص التاريخية كما أسلفنا بمعانٍ مختلفة حسب ما يضاف أليه من الأسماء وذلك على النحو الآتي :-

١- ورد لقب شيخ مرتبطاً باسم المدينة أو البلد أو اسم طائفة في بلد ما ، ومن الأمثلة على ذلك ما يورده أبو يعلى القزويني في كتابه الإرشاد عند حديثه عن الحافظ أبى عثمان عفان بن مسلم ( ت: ٢١٩ هـ/٨٣٤م ) إذ عرفه بقوله شيخ البصرة [١]، وكذلك الحال عند تقديمه أبا احمد الهيثم بن خارجة ( ت : ٢٢٧هـ/٨٤٣م) الذي يقدمه بقوله شيخ بغداد، وأبا موسى هارون بن موسى ، بشيخ قزوين[٢] . فهؤلاء الشيوخ جميعهم من طبقات المحدثين ويتمتعون بمكانه بارزة بين رجال الحديث ورواته المشهورين .

وبنفس الاتجاه نجد شمس الدين الذهبي مؤرخ الشام من الظاهرية ( ت ٧٤٨هـ/١٤٤٧م ) عندما يتناول بذكر الطبقة الثانية من أئمة التابعين كالحسن البصري ، ومجاهد ، يسرد اسما ء المترجم لهم حتى يصل الى عطاء بن رباح (ت:١١٤هـ/٨٢٩م) [٣] فيضيف الى اسمه تعبير شيخ مكة [٤] ، وكذلك يستخدم تعبير شيخ الكوفة مع أبي بكر بن عياش [٥] ( ٩٦-١٩٣ هـ/٨١٤-٩٠٣م) ، وتعبير شيخ اليمن مع عبد الرزاق بن همام [٦] ( ت:٢١١هـ) ، الى غير ذلك من التعبيرات المتعلقة بمشايخ البلدان . ونفس التعبيرات نجدها لدى الذهبي أيضا في كتابه سير أعلام النبلاء [٧] إذ ينعت أبا غالب محمد بن احمد بن سهل بن بشران الواسطي الحنفي ، بقوله شيخ الأدب ثم يقول عنه صار

---

[١] أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني ( ٣٦٧-٤٤٦هـ/٩٧٧-١٠٥٦م) ، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح : محمد سعيد عمر إدريس، ط١ ( ٣ مجلدات ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٩ ) م٢ ، ص٥٩٠ .

[٢] المصدر ذاته ، م٢ ، ص٥٩٥ .

[٣] لا يعرف بالضبط تاريخ وفاته ، فالروايات الواردة بهذا الخصوص تتراوح بين سنة ١١٤ و١١٥ و ١١٧ .

[٤] الذهبي ، المعين في طبقات المحدثين ، تح: همام عبد الرحيم سعد، ط١ ( عمان : دار الفرقان ، ١٤٠٤هـ ) ، ص٤٠ .

[٥] المصدر ذاته ، ص٧١ .

[٦] المصدر ذاته ، ص٧٦ .

[٧] الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تح : شعيب الارنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، ط٩ (٢٣جزءاً ، بيروت : مط مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ) جـ١٨، ص٢٣٦.

شيخ العراق في اللغة في وقته . وفي كتابه العبر في خبر من غبر [١] ، يتحدث عن وفيات سنة ٥٧٧هـ ويذكر وفاة الكمال بن ألانباري الى أن يقول برع في الأدب حتى صار شيخ العراق.

كذلك نجد تاج الدين السبكي مؤرخ الشافعية ألا شعرية الشهير (ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م ) عندما يترجم لمحمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنصاري ، يبدأ بسملة ترجمته بقوله الشيخ الفقيه الصالح الورع الزاهد ثم يتناول ذكر سيرته إلى أن يقول وكان أول أمره شرابياً يعمل الشراب ثم انتهت به الحال إلى أن صار شيخ الديار المصرية علما وعملاً [٢]. والنعت نفسه نجده عند كل من ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) في طبقات الشافعية، وابن تغري بردي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) في النجوم الزاهرة ، حيث يترجم الأول لأبي البركات الأنباري النحوي ( ت ٥٧٧هـ/١١٨٢م) قائلا عنه وبرع حتى صار شيخ العراق في النحو[٣] ، وابن تغري بردى يتحدث في كتابة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة عن وفيات سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م ، مستخدما النعت نفسه إذ يقول " وفيها توفي عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن صفوان بن عمر الحافظ أبو زرعة النضري الدمشقي كان من أئمة الحفاظ، رحل إلى البلاد وكتب الكثير حتى صار شيخ الشام وإمام وقته " [٤].وقد يكون هذا التوافق قائماً بسبب نقول المصنفين المتأخرين عن مصنفات متقدمة، كما هي حال ابن قاضي شهبة مع السبكي ، إلا أن الاستعمال واحد في كلتا الحالتين للمصادر بلا اختلاف في نصوصها . وهكذا نجد من الأمثلة السابقة أن لقب شيخ مقرونا باسم بلد كان شائعا لدى مؤرخي الرجال والطبقات و الأصناف الأخرى وهو يعني ضمن معاني أخرى أن حامل هذا اللقب يحتل مرتبة عالية في هذا البلد ربما تكون المنزلة الأولى في الغالب بين أفراد جماعته الذين تجمعهم وحدة الانتماء الى مذهب أو فرقة كلامية أو غيرها.

٢- وورد لقب شيخ في النصوص مرتبطاً باسم طائفة أو مذهب فقهي ومن الأمثلة على ذلك ما يرد كثيراً عند عبد الغافر في التراجم التي احتفظ بها لنا في السياق لتاريخ علماء نيسابور وكذلك المنتخب من كتاب السياق لإبراهيم بن محمد الصريفيني ، إذ نجد عبد الغافرفي أثناء حديثه عن الطبقة الثالثة بذكر عبد الوهاب بن عبد الرحمن الشيخ أبا عمر بن عقيل ، فيقول عنه انه من شيوخ الطريقة ووجوه

---

[١] الذهبي ، العبر في خبر من غبر (ستة أجزاء ، الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٤٨م) ، جـ٤ ، ص٢٢ .

[٢] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، م٨، ص٤٩ .

[٣] ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، جـ٢، ص١٠.

[٤] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ٣، ص٨٧ .

المتصوفة [١] النيسابوريين ، ويقول عن أبي الفضل بن عمر بن إبراهيم بن إسماعيل الواعظ (ت ٤٢٥هـ/١٠٣٤م) شيخ الحنابلة بهراة [٢] ، وكذلك ينقل إبراهيم الصريفيني عن عبد الغافر في أثناء ترجمته لشخصيات نيسابور مثل جعفر بن حيدر السيد أبي المعالي الهروي ( ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م ) إذ يصفه بأنه " شيخ الصوفية ألأ شعرية " [٣] ، وكذلك يقول عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد المزكى ( ت ٤٦١هـ/١٠٧١م ) انه " شيخ عشيرته في وقته والمقدم منهم و الأفضل بينهم " [٤] .

و نجد مثل هذه النصوص عند المؤرخ البغدادي ابن الجوزي ( ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م ) في كتابه المنتظم ، من ذلك النص الذي يتحدث فيه عن وفاة عبد الله بن محمد أبي محمد النيسابوري المعروف بجعفر المرتعش ( ت :٣٢٨هـ) إذ يصف تحوله إلى الصوفية على انه " كان من ذوي الأموال العامة فتخلى عنها ، وصحب الفقراء ، حتى صار شيخ الصوفية " [٥] .

إن هذه النصوص وما شابهها مما تزخر به كتب التاريخ والتراجم ، التي لم نكثر من سوقها خشية الإملال ، تتحدث إجمالاً عن مثل هذه الألقاب كشيخ الشافعية، وشيخ الحنابلة، وشيخ الحنفية، وشيخ المالكية ، وشيخ الشيعة، وشيخ المعتزلة، وغيرها. وهي ألقاب تشير إلى أن حامل هذا النعت يحتل المرتبة الأولى بين أقرانه التابعين للمذهب نفسه .

## ب- الدلالات التي يحملها لقب الشيخ

### أولاً : دلالات لقب الشيخ عند المحدثين

من خلال استعراض النصوص السابقة والخاصة بالمحدثين يمكن القول أن لقب شيخ عند المحدثين يحمل دلالة عامة فضلاً عن دلالته الخاصة لديهم ، المتمثلة في إطلاقه على المتفرد بين أقرانه والأكثر علما بينهم ، فضلاً عن إطلاقها بالصفة العامة على كل من عقد مجلساً للإملاء وسماع

---

[١] عبد الغافر ، السياق ، ورقة ٥٤ ب .

[٢] المصدر ذاته ، ورقة ٥٨ ( أ – ب ) .

[٣] الصريفيني ، المنتخب من كتاب السياق، ورقة ٥١ ب .

[٤] المصدر ذاته ، ورقة ١٠٠.

[٥] أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ( ت :٥٩٧هـ ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ( الدكن : مط حيدر آباد ، ١٣٥٨هـ) جـ٦، ص٣٠١.

الحديث . ويؤكد الثانية كثرة ما نجد من نصوص عند مصنفي طبقات المحدثين التي تشير عند ترجمتها لمحدثٍ ما إلى كثرة من أخذ عنهم من المشايخ أو قلتهم .

أما ما يخص الدلالة الخاصة بلفظ شيخ عند المحدثين فما يثيرها ويشجعنا على القول بها هو بعض النصوص الواردة في كتب المهتمين بمصنفات طبقات المحدثين التي يفهم منها انه يتم تقسيم رواة الحديث إلى مراتب ومنازل – على وفق منهج المحدثين في الجرح والتعديل – فيطلق على أهل المنزلة العليا الثقات أي ممن يحتج بحديثهم، ويطلق على أهل المنزلة التي تليها أهل الصدق والأمانة ، فيقال لصاحب هذه المنزلة انه صدوق أو مَحلهُ الصدق أو لا بأس به ، وهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه . أما أصحاب المنزلة الثالثة فيقال لهم المشايخ ، وصاحب هذه المنزلة أي الشيخ يكتب حديثه وينظر فيه أيضاً إلا انه دون الثانية [١]. ويؤكد هذه المنزلة التي ينزلها المحدثين من يحمل لقب الشيخ، نص آخر يتعلق بعبد الرحمن عن أبيه عن إبراهيم بن سعيد الجوهري الذي قال انه سمع وكيعاً يقول حديث الفقهاء أحب إليهم من حديث المشيخة [٢] . أي ما يدور بين الحفاظ من مسائل تخص مجالس الحديث وروايته ويلاحظ من النص السابق أن كلمة المشيخة ، تقابل كلمة الفقهاء ، الأمر الذي يوحي الى أن هناك تطوراً ما أدى إلى انقسام العلماء إلى فقهاء ومشايخ حديث [٣] .

**ثانياً : دلالات لقب الشيخ عند الفقهاء**

أما معاني لقب الشيخ عند إطلاقه على الفقهاء فيتضمن معنى فقيه يقوم بمهمة التدريس على أحد المذاهب في المسجد أو المدرسة فيما بعد ، وكذلك مقدم فئة فقهية معينة ضمن إحدى المدن الإسلامية وفي معيته جملة من أراضٍ خصصت له بشرط الواقف .

---

[١] عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي ( ت: ٣٢٧ هـ) ، الجرح والتعديل ، ط١ (٩ أجزاء، بيروت : دار إحياء التراث العربي،١٢٧١هـ/ ١٩٥٢ م) جـ٢، ص٣٧.

[٢] المصدر ذاته ، ص٢٥.

[٣] ربما كان هذا التقسيم نتيجة للاختلافات الإقليمية التي نشأت بين مدرستي المدينة المنورة والكوفة المتخصصتين في الحديث، حين تحولت مدرسة الكوفة فيما بعد– لظروف خاصة بها– إلى الاهتمامات الفقهية اكثر من اهتمامها بجمع الحديث .

للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: عبد المجيد محمود ، المدرسة الفقهية للمحدثين (مدخل لدراسة الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث ) ( بغداد: مكتبة الشباب، بلا. ت ) ص ص ١٩–٧٩.

وهناك الكثير من الفقهاء الذين تزخر بهم كتب التراجم والطبقات تحمل المعاني نفسها المشار إليها في أعلاه ، منهم على سبيل المثال الفقيه محمد بن احمد بن نصر أبو جعفر الترمذي (ت ٢٩٥هـ) وهو إمام زاهد ورع، كان شيخ الشافعية بالعراق في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، قبل إمامه القاضي ابن سريح البغدادي ( ت ٣٠٠هـ / ٩٠٠م ) ، شيخ الشافعية في عصره وعنه انتشر فقه الشافعي في الآفاق [١]، والفقيه أبو عبد الله احمد بن حاج العامري النيسابوري ( ت:٢٣٧هـ/٨٥١هـ ) ، شيخ الحنفية بنيسابور خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي على نحو ما أورده الحاكم في تاريخ نيسابور ( ت: ٤٠٥هـ ) [٢].

أما في حالة الإضافة فان تعبير الشيخ يعني كبيرهم مثل شيخ المالكية عالم الطرق إسماعيل بن إسحاق القاضي [٣] ، والإمام شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري [٤] ، فمثل هذه الفئة من الشيوخ تتولى عادة رئاسة المذهب في المدرسة التي تنتمي إليها وحصلت فيها على مرتبة إمام .

---

[١] ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية، جـ٢، ص٨٢ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٢، ص١٨٧

[٢] عبد القادر بن أبى الوفاء محمد بن أبى الوفاء القرشي ( ٦٩٦- ٧٧٥هـ/١٢٩٦-١٣٧٢م ) ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (جزءان، كراتشي : مير محمد كتب خانة ، بلا.ت ) ، جـ١، ص٦٣.

[٣] الذهبي ، المعين في طبقات المحدثين، جـ١، ص١٠٤.

[٤] المصدر ذاته، جـ١ ، ص١٠٤ .

## ثالثاً : دلالات لقب الشيخ عند الصوفية [١]

تعد فرقة الصوفية من الفرق التي استخدمت لقب الشيخ بشكل واسع ويحمل لقب الشيخ عند هذه الفرقة دلالات مهمة لا تقل أهمية عن تلك الدلالات التي يحملها اللقب عند الفقهاء والمحدثين ويعد الشيخ أساس الحركة الصوفية في مجتمع الخانقاة أو الرباط إذ إن عدم وجوده في أي بلد من بلدان الإسلام يعني في حقيقة الأمر الواقع عدم وجود حركة صوفية في هذا البلد المعنى ولا قيمة هنا لعمل المريد ولا هداية له إلا بشيخه، وهذا ما عبر عنه أبو يزيد البسطامي ( ت :٢٦١ هـ) بقوله " ومن لم يكن له أستاذ [أي شيخ] فإمامه الشيطان " [٢]، وهذا أيضاً ما أشار إليه ابن حجر الهيثمي

---

[١] التصوف حركة دينية وفكرية ،تشكلت في مراحلها الأولى امتداداً لنزعة الزهد، التي ظهرت بشكل ملحوظ خلال حكم الأمويين للدولة العربية الإسلامية (٤١– ١٣٢هـ/ . ٧٤٩م). وكلمة التصوف تعود في اصلها عند بعض العلماء إلى الملابس الصوفية التي كان يلبسها رجال التصوف في المرتبة والزاوية حتى يميزوا أنفسهم عن الذين يلبسون الملابس التي تحمل الكثير من معاني حب الدنيا ، في حين تعود عند آخرين ومنهم رجال الصوفية أنفسهم الى مسألة النقاء وصفاء الروح. وكانت قد ظهرت في بغداد أولاً و نيسابور فيما بعد ، وهناك بعض الشخصيات التي أسهمت في إثراء التصوف بالكثير من الأفكار الخاصة بالأحوال والمقامات وفي رفع التصوف من الحالة الفردية الى العمل الجماعي ، ومن هذه الشخصيات الشيخ المشهور معروف الكرخي (ت : ٢٠٠هـ/٨١٥م) ، ثم ذو النون المصري (ت : ٢٤٥هـ/٨٦١م) وأبو الحارث المحاسبي ( ت: ٢٤٣هـ/٨٥٨م )، وبشر الحافي وغيرهم، ألا أن هذه الحركة الصوفية كغيرها من التيارات الفكرية لم تسلم من التأثر بالأفكار الأجنبية الآتية من الشرق من فارس او من الغرب مثل الغنوسطية آو غيرها . للمزيد من التفاصيل حول الصوفية ينظر : عاصم محمد رزق ، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧–٩٢٣هـ/١١٧١–١٥١٧م) ط١، (٣اجزاء، القاهرة: مكتبة مدبولي ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ج١،ص ص٤٨–٥٢ ؛ نيكلسون ، في التصوف الإسلامي وتاريخه ، تر: أبو العلاء عفيفي ( القاهرة : مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦م ) ؛علي سالم عمار ، حقائق في التصوف( القاهرة: دار النصر،١٩٣٧م) ؛ يونس إبراهيم السامرائي ، تاريخ الطرق الصوفية (بغداد: مط الأمة، ١٩٧٧م) ؛ سمح عاطف الزين ، الصوفية في نظر الإسلام (بيروت : دار الكتاب اللبناني،بلا.ت) ؛ إبراهيم حلمي القادري ، مدارج الحقيقة في الرابطة عند أهل الطريقة (الإسكندرية: مط عادل محمد البهي وعبد السلام مجمد سعيد، ١٩٦٢م)؛ محمد ربيع هادي المدخل ، حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة( مكة المكرمة: وزارة الاعلام، ١٤٠٤هـ ) ؛ عبد الله محمد الحبشي ، الصوفية والفقهاء في اليمن ( صنعاء : مكتبة الجيل الجديد ، ١٩٧٦م) .

[٢] نيكلسون ، الصوفية في الإسلام ، تر: نور الدين شريبه ( القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١م) ص١٩.

المكي ( ت : ٩٤٧هـ/١٥٥٤م ) في كتابه الفتاوي الحديثية [١] بقوله " والحاصل أن الأولى بالسالك [ أي المريد ] قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه الجامع بطرفي الشريعة والحقيقة فانه هو الطبيب الأعظم ... " . ومما يؤكد إيمان الصوفية بضرورة حصول المريد على شيخ وان كان عالما مشهوراً ، ما يذكر عن شيخ الإسلام وسلطان العلماء العز بن عبد السلام انه قال " وما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت :٦٥٦ه/١٢٥٨م) " . إذن فالشيخ عند الصوفية هو الرجل الذي اكتسب علوم الشريعة وأضاف أليها علوم الحقيقة ذات الصلة بالتصوف[٢] .

ومن أوائل الزهاد الذين اتسم زهدهم بالتصوف المعتدل الشيخ إبراهيم بن ادهم (ت:١٦٠هـ)، والشيخ داود الطائي (ت:١٦٥هـ) ، والشيخ الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ/٨٠٣م) وغيرهم ، ومن متصوفة القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أبو يزيد البسطامي الذي تشير ترجمته في تذكره الأولياء الى انه كان من أعمدة التصوف ، ومن الذين اشتهروا بالتصوف في هذه الحقبة أيضا أبو حمزة البغدادي (ت : ٢٨٣ه/٨٩٦م) والشيخ الجنيد البغدادي (ت :٢٩٧هـ/٩٠٩م) ، والثلاثة الكبار من أهل التصوف في خرا سان كل من الشيخ أبو علي الدقاق ، وعبد الرحمن السلمي (ت : ٤١٢هـ/١٠٢١م) ، و أبو القاسم القشيري (ت: ٤٦٥هـ/١٠٧٢م )، مصنف الرسالة القشيرية [٣] .

**رابعاً : دلالات لقب شيخ عند الكتاب والإداريين**

تعبير الشيخ من التعبيرات الشائعة عند الكتاب والإداريين من أصحاب الديوان، ويطلق على الرؤساء ممن لديهم مهمة النظر في دواوين الرسائل والإنشاء، أو الإشراف والاستيفاء أو العرض وغيرها ،

---

[١] ابن حجر الهيثمي ، الفتاوي الحديثية ( القاهرة : مط مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٧م) ، ص٥٥ .

[٢] ويعرفه البعض بأنه – أي الشيخ أو المريد– رجلا محنك التجربة عميق المعرفة تقوم كلمته المجردة من مريديه مقام القانون . ينظر، نيكلسون ،الصوفية في الإسلام ، ص١٣.

[٣] الرسالة القشيرية نسبة الى مصنفها الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري ( ت: ٤٦٥ه/١٠٧٢م) وهي رسالة قيمة في علم التصوف بين فيها القشيري عقيدة جماعة الصوفية كما بين فيها الألفاظ المستخدمة في هذه الطائفة ، وخصص قسماً منها لبعض المسائل المتعلقة بالمريد مثل الأحوال والمقامات وغيرها، كما احتوت الرسالة على تراجم لبعض مشايخ الصوفية . ينظر ، أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ( بغداد : دار التربية ،بلا.ت ) .

وهذا المعنى يرد عند حديث أبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ/١٠٣٨م) عن شخصيات الإدارة السامانية [١] ، والغزنوية ، وكذلك عند أبي الحسن الباخرزي في تراجمه الأدبية– التاريخية عن الإدارة السلجوقية الأولى أيام السلاجقة العظام ، ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد عند أبي منصور الثعالبي في يتيمة الدهر عن الكاتب الشيخ أبي احمد سعد احمد بن محمد بن ملة الهروي بأنه أحد بلغاء خرا سان المذكورين وفضلائها المشهورين ، وعقلائها الموصوفين ، الذي كان في أخر عمره مرتبطا بالحضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يتشاورون في الأمور السلطانية ، ويستضاء بآرائهم في ظلم الخطوب [٢] ، وكذلك ما يقوله بحق الشيخ الكاتب أبي القاسم الفاشاني أنه بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة ، المالكين لازمة البلاغة ، والمتوقلين في هضاب المجد ، المترقين في درجات الفضل [٣] ، وكذلك يقدم أبو الحسن الباخرزي رئيس ديوان الرسائل في سلطنة طغرل بك (ت ٤٥٥هـ/١٠٦٣م) في مصنفه دمية القصر ، الذي وضعه تتمة لليتيمة أمثلة كثيرة عن رجال الإدارة السلجوقية ممن اشتهروا بصفة الشيخ ،أو الأستاذ بين شخصيات الكتاب العاملين في دواوين الإدارة ، ويتضح من معلوماته بصددهم انهم كانوا يتمتعون بمنزلة عالية مرموقة في الإدارة السلجوقية في خرا سان وأقاليم الدولة الأخرى يتولى الواحد منهم رئاسة احد دواوين الادارة ، من ذلك على سبيل المثال عندما يصف أبو جعفر الموفق بن علي الكاتب البلخي ، أحد كتاب ديوان الوزارة خلال سلطنة طغرل بك إذ يشير إليه بالشيخ أبو جعفر الموفق [٤] ، و من الإدارة البويهية

---

[١] السامانيون نسبة الى السامانية أسرة فارسية انحدرت من صلب رجل يدعى سامانُخداه ، اعتنق الدين الإسلامي وتلقى مع قومه دعم من ولاة الخلافة العباسية على المشرق في عهد هارون الرشيد . وقد وجه الخليفة المأمون بتولية بني أسد من كبار السامانيين . في مناصب الدولة ، وطبقاً لذلك فقد ولَي غسان بن نوح على سمرقند ، واحمد على فرغانة ، ويحيى على الشاش ، و إلياس على هراة ، وذلك سنة ٢١٤هـ / ٨١٩م . وعندما ولَي طاهر بن الحسين على خرا سان اقر هذا التعيين وبذلك اصبح السامانيون بمثابة ولاة مساعدون للدولة الطاهرية . وازداد نفوذهم بعد ذلك حتى استطاعوا ان يؤسسوا دولة خاصة بهم . من أهم مظاهر الحكم الساماني ازدهار العلم والأدب خاصة الأدب الفارسي ، إذ ترجع أول نصوص للأدب الفارسي الى هذه المدة الزمنية . ينظر ، دائرة المعارف الإسلامية ،مج ١١،ص ص ٧٦–٨٢ ؛محمد علي حيدر، الدويلات الإسلامية في المشرق( القاهرة: مط عالم الكتب ، بلا .ت ) ص ص ١٠٧– ٢٢٢ .

[٢] ابو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ( ت : ٤٢٩هـ/١٠٣٨م ) ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (اربعة أجزاء، القاهرة : ١٩٥٦م ) ، جـ٤ ، ص٢٢١.

[٣] المصدر ذاته، جـ٢، ص٣٣٠.

[٤] علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي (ت:٤٦٧هـ/١٠٧٤م) ، دمية القصر وعصرة أهل العصر (ثلاثة أجزاء ،دمشق : مؤسسة ذو الحياة ،بلا .ت ) ، جـ٢، ص٨٢١.

لفرعها الحاكم في الري يشير الى شخص وزير ركن الدولة ، المسمى أبا القاسم بكر بن المستعين (ت : ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م ) بأنه الشيخ الكاتب[١].

كما استخدم اللقب ذاته مع الكثيرين من أقرانه مثل الشيخ أبي نصر سعيد بن شاه إذ يقول عنه " نضمتني وإياه صحبة الكتاب ، و نشأنا معًا في حجور الأدب " [٢] . والشيخ أبو القاسم منصور بن طاهر الروضباني ، الذي يقول عنه انه "من بيت الرياسة الموروثة كابراً عن كابر، جامع بين الفقه والأدب " [٣] .

وهناك أمثلة كثيرة مشابهة تدلل كلها على أن لقب الشيخ كان شائعا بدرجة كبيرة، بين رجال الإدارة البويهية والغزنوية والسلجوقية ، لما يشار إليه كأستاذ بين طبقة الكتاب ، ومثل هذا الشيخ كان يتمتع بمنزلة مرموقة، وفي هذا المحتوى يفهم قول حسن الباشا بان تعبير الشيخ كان يستعمل للدلالة على شخص إداري بمنزلة رئيس الكتاب[٤] .

وهكذا يتبين من خلال استعرا ضنا للنصوص السابقة عن لقب الشيخ ان الكلمة لا تطلق من اللغويين و( الهستريوغرافيين )إلا على الشخص الأكثر تجربة والأكثر حنكة والاهم من ذلك الأكثر علماً ، وهو الذي يكونقد قطع شوطاً بعيداً في هذا المضمار ، بحيث أهله علمه لكي يتقدم على أقرانه، وفي حالة الإضافة يكون لفظ الشيخ يعني كبيرهم في التخصص ، كشيخ المحدثين ، وشيخ الشافعية، وشيخ الحنفية، وشيخ الحنابلة، وشيخ الصوفية، وشيخ الأمامية ، ... وهكذا .

ومن خلال الأنواع التي تتردد في مصادر الطبقات والرجال عن معنى الشيخ تبين لنا أنها تعني كبير الفقهاء بين مجتمع فقهاء مذهب من مذاهب الشريعة ، أو محدث في مرتبة يجيز عندها سماع الحديث ، ويجاوز الرحلة في طلب العلم، أو رئيس المذهب ومفتيه ، وفي هاتين الحالتين لابد من أن يتصف مثل هذا الشيخ بمنزلة الإمام ، الذي هو رئيسها ومقدمها كذلك . ومن المعاني الأخرى أيضا

---

[١] المصدر ذاته ، جـ٢ ،ق٢ ،ص٢٩٤.

[٢] المصدر ذاته ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٢٦٠.

[٣] المصدر ذاته،جـ٢ ، ق٢، ص١٠٨٤.

[٤] حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، ص٨٦.

متصوف ارتقى من عالم الشريعة إلى عالم الحقيقة دون تحقق منزلة الكشف له ، أما في الحالات الوظيفية الأخرى فقد يعني رئيس الكتاب ، أو كاتب له باع طويل في هذا المجال ، إلى غير ذلك [١].

---

[١] ومن الفئات الأخرى التى تستعمل لقب الشيخ فئة الصناع في دمشق في القرنيين السادس والسابع الهجريين ، حيث يحمل هذا اللقب الشخص الذي يرأس هذه الطائفة، ويعين بالانتخاب من بين رجال الحرفة ، فيصبح المسئول الأول عن القضاء في المنازعات بين أفراد هذه الفئة ، ومن بين واجباته أيضا انه يمثل الحرفة أمام السلطات ، كما يقوم بمنح الشهادة لممارسة المهنة . ينظر فراس سليم حياوي السامرائي ، الحياة الاجتماعية في دمشق (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) (جامعة بغداد : كلية التربية "ابن رشد" ، ١٩٩٨م) (اطروحة دكتوراه غير منشورة ) ص٩٥.

## المبحث الثاني : البدايات الأولى لظهور لقب شيخ الإسلام

تكلمنا في المبحث السابق عن لفظ الشيخ في استعمالاته المختلفة ودلالاته عند الفقهاء والمحدثين والصوفية والكتاب ، وتبين لنا من خلال الحديث عن ذلك بان هذا اللفظ يعني تكريماً وتشريفاً لشخص ما يضفيه عليه تلامذته أو أقرانه أو مريدوه ويكون مستحقاً لهذا التكريم وهذا التشريف بناءاً على حصوله على مرتبة الأفضلية ، التي يكون عندها قادراً على منح الآخرين ما يسعون إليه من علم أو منح الإجازات العلمية.

وقد ظهر مصاحبا لذلك في الأوساط العلمية لفظ آخر أطلقه طلاب العلم ومشايخهم على شخص معين تكريماً وتشريفاً له أيضاً لتوفر مواصفات معينة فيه، أهلته لان يكون جديراً بهذا التشريف دون غيره من أقرانه ذلك اللفظ هو لقب أو مصطلح شيخ الإسلام.

بدأ ظهور لقب شيخ الإسلام في المجتمعات الدينية–الإسلامية بدايةً غير رسمية بمعنى شكل التكريم الذي يضفيه أفراد البنية الدينية من فئة مذهبية معينة أو غير ذلك على الشخصية التي يتفق عليها معظمهم على انه الأفضل بين أقرانه مرتبة من حيث العلم والتدريس والإفتاء ، أي يجمع الحنكة والتجربة بين المشايخ ، فيطلقون عليه لقب شيخ الإسلام .

ومثل هذه الألقاب والمصطلحات الخاصة بالفقهاء والمحدثين من العلماء لا تحمل الصفة الرسمية منذ نشوئها– على عكس غيرها من ألقاب الخلفاء والسلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة– يجد الباحث المبتدئ نفسه عاجزا أمام مشكلة تحديد البداية الفعلية لظهور مثل هذه المصطلحات –كرونولوجياً .

وفي حالة مصطلح شيخ الإسلام نجد مثل هذه الصعوبات ماثلة للباحثين منهجياً وتاريخياً ، إذ يتطلب العمل التاريخي– المنهجي في الوقت نفسه معرفة البدايات الأولى لظهور المصطلح ، الذي كما قلنا نسب خطأً إلى المؤسسات العثمانية [1] . ومن اجل مواجهة هذه المشكلة كان لابد من معالجة

---

[1] انظر :

Meydan Larousse , ( Buyuk Lugat ve Ansiklopedi ) , 11. C. , Meydan Yayinev , Istanbul 1973 , S. 773 ; Islam Ansiklopedi , Milli Egitim Bakanliginin karari Uzekinde Istanbul Universitesi Edebiyat Fakultesinde , 11. C. , Milli Egitim Baimevi , Istanbul 1979 , S. 485-489 .

المشكلة هستروغرافياً أولاً وذلك بمتابعة المصطلح في مصنفات الطبقات والتراجم الخاصة برجال البنية الدينية وفي كتب الحوليات ايضاً .

إن المسح والتحليل للتراجم والمدونات المتوفرة في هذه المصادر تسمح لنا بتقسيمها من زاوية هذا المصطلح على ثلاث مجموعات :

**المجموعة الأولى** : مصنفات تاريخية ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين ، متمثلة بمصنفات السير والتراجم وكتب الحوليات منها على سبيل المثال طبقات ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ/٩٤١م )[١]، وطبقات خليفة بن خياط (ت:٢٤٠هـ/٨٥٤م ) [٢] ، ثم تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت : ٣١٠هـ/٩٣٢م) [٣] ، ولا توجد في هذه الكتب أية إشارة إلى استخدام لقب شيخ الإسلام . الأمر الذي يوحي إلى ان هذا المصطلح لم يكن متداولاً في القرنين الثاني والثالث الهجريين .

**المجموعة الثانية** : تمثل مجموعة المصنفات التي تعود للمدة من القرن الرابع الى السادس الهجري/ العاشر الى الثاني عشر الميلادي ، وتميزت هذه القرون الثلاثة بالكثير من المصنفات التاريخية على مستوى التراجم بشكل خاص ، ويأتي من حيث الأهمية بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدده كتاب السياق على تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي ، وكتاب المنتخب من السياق لأبي محمد الصريفيني الذي حفظ لنا جزءاً مهما من السياق بعد ضياع جزء كبير ومهم من الأول ، ثم هناك كتاب طبقات الحنابلة لأبي يعلى (ت :٥٢١هـ/١١٢٣م) ، وغيرها وتكمن أهمية هذه الكتب في أنها تعطي إشارات - يمكن أن نعدها الأولى من نوعها - عن شخصيات حملت لقب شيخ الإسلام . وسوف نتناول الحديث عن هذا الأمر في مكان آخر من هذا المبحث [٤].

---

[١] أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى (بيروت : مط دار صادر ، ١٣٥٨ هـ) .

[٢] خليفة بن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، تح : سهيل زكار (بيروت : دار الفكر، ١٤١٤ هـ).

[٣] محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق نخبة من العلماء الأفاضل ( ٨ أجزاء بيروت : مط مؤسسة الأعلمي ، بلا . ت ) .

[٤] ينظر ص ص ٣٩-٤٠ من هذا البحث .

**المجموعة الثالثة** : تمثل مجموعة المصنفات المتأخرة التي ترجع إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي والقرون التالية بعده ، وهذه المصنفات المتأخرة التي يأتي على رأسها مصنفات شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)ولاسيما سير أعلام النبلاء ، وكذلك طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (ت :٧٧١هـ .١٣٦٩م) ، ثم مصنفات السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، وأخيراً شذارت الذهب لابن العماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .تحتاج من الباحث كثيراً من الحذرفي أثناء محاولته الحصول من خلالها على معلومات عن أول ظهور لمصطلح شيخ الإسلام وذلك للأسباب الآتية :

١- استخدام لفظ شيخ الإسلام مع شخصيات عاشت في المرحلة المبكرة من عمر الدولة العربية الإسلامية أي في القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين ، هي لم تكن أساساً تقترن بهذا اللقب و إنما يرد التعميم على أساس علو المنزلة بين أقرانه ، والأهم أننا لا نجد أية إشارات لهذه التسمية في الكتب التي صنفت في هذه المرحلة ، ويمكن أن يعزى السبب في ذلك إلى تأثر المترجمين المتأخرين بهذه الشخصيات التي احتلت مكانة مهمة في مجتمعاتهم وأخذت من الأهمية اكثر من الشخصيات التي حملت لقب شيخ الإسلام فعلا في المدة المتأخرة ، فيكون من وجهة نظر المترجمين المتأخرين أنها تستحق لقب شيخ الإسلام وبالتالي تمنحه اياه في مدخل البسملة لترجمته ، ويظهر مثل هذا الأمر بشكل ملفت عند مؤرخ الإسلام المحدث الذهبي ( ت: ٧٤٨هـ ) وبصفة أساسية في كتابة تذكرة الحفاظ حيث كنى اثني عشر شيخاً من محدثي القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي بشيخ الإسلام من أمثال الإمام الأوزاعي (ت : ١٥٧هـ/٧٧٣م) ، ومحدث البصرة شعبة بن الحجاج (ت: ١٦٠هـ/٧٧٦م) والإمام المحدث سفيان الثوري (ت : ١٦١هـ/٧٧٧م) ، والإمام الحافظ أبو سلمة حماد بن سلمة (ت : ١٦٧هـ/٧٨٧م) ، كما يكنى بلقب شيخ الإسلام ست عشرة شخصية من محدثي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي منهم على سبيل المثال ابن مخلد الشيباني (أبو عاصم الضحاك) (ت: ٢١٢هـ/٨٢٦م) ، والإمام النسائي (ت: ٢١٥هـ/٨٣١م) ، ومحمد بن المبارك (ت: ٢٢٥هـ/٨٣٩م) ، واحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م) والإمام البخاري (ت:٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، ونجد الظاهرة ذاتها عند الذهبي في القرون اللاحقة.

كذلك نجد من المؤرخين المتأخرين الذين نحوا هذا المنحى ابن العماد الحنبلي (ت :١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) في كتابه شذرات الذهب وهذا ما نجده عند حديثه عن وفيات سنة

٢٢٧هـ/٨٥٧م ، حيث يقول " وفيها توفى احمد بن عبد الله بن يونس أبو عبد الله اليربوعي الكوفي الحافظ قال احمد بن حنبل لرجل سأله عمن اكتب قال اخرج إلى احمد بن يونس اليربوعي فانه شيخ الإسلام " [١]. فابن العماد في هذا النص يورد أول إشارة للقب شيخ الإسلام إلى النصف الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، وان صح هذا النص فربما يكون ما يرمي إليه احمد بن حنبل من هذا القول هو الإطراء فقط إذ لا يوجد في كتب الجرح والتعديل أو غيرها من الكتب التاريخية ما يُعضّد هذا النص. وهناك الكثير من الأمثلة في هذا الموضوع لا يتسع المجال لذكرها [٢].

٢- ومن الأمور التي ينبغي الإشارة اليها في هذا الصدد أن اهتمام المصنف في التراجم برجال المذهب الذي ينتمي إليه المصنف يجعله حريصا على ذكر اللقب مع شخصيات من مدرسته التي حملت مثل هذا اللقب ، فيما يقلل بالمقابل من أهمية الشخص الذي لا ينتمي الى مذهبه أو عقيدته ، وهذا ما نلاحظه عند السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) الذي يترجم في طبقات الشافعية الكبرى [٣] لأبي عثمان الصابوني (ت : ٤٤٩هـ) شيخ الشافعية من المحدثين في نيسابور ويلقبه بشيخ الإسلام ، في حين يقلل من أحقية -شيخ هراة- أبو إسماعيل الأنصاري الحنبلي في هذا اللقب ، مع أن الأخير يسمى من قبل أستاذ السبكي / شمس الدين الذهبي ( ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ) ، وغيره من المؤرخين ، خصوصاً الحنابلة بلقب شيخ الإسلام .

٣ – لكن هناك من بين كتاب التراجم من يهمل الإشارة الى اللقب للمترجم له ،على الرغم من استحقاقه له، ورغم الإشارة إليه بهذه التسمية في المصنفات الأخرى ، ويأتي على رأس هؤلاء قاضي دمشق أيام المماليك شمس الدين بن خلكان (ت: ٦٨١هـ/١٢٨١م ) في مصنفه الشهير وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان . مع أن عدم استخدام هذا اللقب عند هذا المؤرخ الشامي قد يترك تساؤلات شرعية عن مدى أحقية إطلاق هذه التسمية على التراجم التي ترد ضمنها.

---

[١] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٢ ، ص٥٩.

[٢] انظر الملحق رقم "١" من هذه الرسالة .

[٣] السبكي ، طبقات الشافعية ، م٤، ص٢٧١- ٢٩٢.

لكن يبقى السؤال الأكثر شرعية و إلحاحا وهو إلى أي مدى يستطيع الباحث أن ينجح من الوجهة التاريخية في تحديد البداية الأولى لظهور هذا اللقب المركب كرونولوجياً ، وفي تقرير أول من استعمله من المؤرخين.

لاشك انه من خلال لتقسيم الذي نهجناه آنفاً تصبح المجموعة الثانية من المصادر . أي كتب التراجم والطبقات . هي الأجدر بالتعامل من خلالها في تناولنا لهذا الأمر حيث نجد أولى الإشارات لهذا اللفظ ترجع إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي بين علماء خرا سان[١]، وقد وردت هذه الإشارات لدى مؤرخ نيسابور عبد الغافر الفارسي (ت: ٥٢٩هـ ) في مصنفه السياق على تاريخ نيسابور وكذلك في منتخبه الذي عمله الصريفيني ، إذ نجد في المصنفين بعض الإشارات إلى شيوخ الإسلام لهذه المدة. ومن ابرز تلك الشخصيات التي يشير إليها المحدث والفقيه شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني [٢] .وهو أول رجال المذهب الشافعي ممن حمل لقب شيخ الإسلام، بادعاء السبكي اعتماداً على عبد الغافر، ويقول أن كتب الشافعية عندما تتناول الحديث عنه بهذه الصفة . يعني شيخ الإسلام . على نحو ما يفعل عبد الغافر أو عند الصريفيني فلا يعنون بها غيره، ويشار إليه انه كان ذو باع طويل في الفقه والحديث ويستدلون بشهادة أقرانه باستحقاقه له،فعلى سبيل المثال يقول ابن فندق البيهقي (ت:٥٦٥هـ/١١٧٩م ) عند الرواية عنه أنبأنا شيخ الإسلام صدقا

---

[١] عن مدن خرا سان ينظر: قحطان عبد الستار الحديثي ، أرباع خرا سان ( البصرة : مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٠م ).

[٢] هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن احمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد الصابوني الفقيه المحدث المفسر الخطيب الواعظ ، ولد سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م في نيسابور ، ينتمي الصابوني الى بيت علم وورع وزهد ولذلك نشأ عالماً زاهداً ، يقول عنه عبد الغافر وعظ المسلمين في مجالس التذكير سبعين سنة وخطب وصلى في الجامع المنيعي نحواً من عشرين سنة ثم يقول عنه رزق العز والجاه في الدين والدنيا وكان زينة للمجالس مجمعاً على انه عديم النظير وسيف السنة ودافع البدعة كما يقول عنه وهو النسيب المعمم المخول . لقد حظيَ الصابوني باحترام وتبجيل معاصريه منهم الإمام أبو إسحاق الإسفرايني ، و أبو بكر بن فورك ، وأبو الطيب الصعلوكي ، وقد لقبه أهل السنة في بلاد خرا سان بشيخ الإسلام . وتوفي في المحرم سنة ٤٤٩ هـ . للمزيد من التفاصيل ينظر : الصريفيني ، المنتخب من السياق ، الأوراق ٣٨ ب . ٣٩ ب ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، م٤ ، ص ص ٢٧١- ٢٩٢ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٣ ، ص ص٢٨٢، ٢٨٣ .

وإمام المسلمين حقا أبو عثمان الصابوني [١] ، وقد خصص له عبد الغافر، على نحو ما حفظ لنا الصريفيني ترجمة طويلة ،والتي اعتمدها تاج الدين السبكي أيضا [٢].

هذه هي الشخصية الأولى التي عرفت بشيخ الإسلام بنيسابور ، أما الشخصية الثانية التي حملت لقب شيخ الإسلام في إقليم خرا سان فهي الشخصية الحنبلية الشهيرة أبو إسماعيل الأنصاري [٣](ت ٤٨١هـ/١٠٩٣م) شيخ الحنابلة بهراة الذي أطلق عليه الحنابلة بهراة هذا اللقب ، تقديراً لشخصه كصوفي ومحدث ومناوئ لعلم الكلام ويورد مؤرخو الحنابلة هذا اللقب عند ترجمتهم له بلا تعليق عن مدى أحقيته لهذا اللقب ، فيذكره أبو يعلى في طبقات الحنابلة بقوله أبو إسماعيل الأنصاري كان يدعى شيخ الإسلام وكان إمام أهل السنة بهراة ،...،كان شديدا على ألاشعرية..."[٤]وابن العماد الحنبلي عند حديثه عن وفيات سنة ٤٨١ هـ/١٠٩٣م يقول فيها أبي إسماعيل الأنصاري شيخ الإسلام الهروي الصوفي القدوة الحنبلي الحافظ أحد الأعلام، كان شيخ خرا سان في زمانه غير مدافع ... الى أن يقول كان قذى في أعين المبتدعة وسيفاً على الجهمية ، من اتباع الجهم بن صفوان التي كانت منتشرة في خرا سان آنذاك_.في حين يرى تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) مؤرخ الشافعية ألا شعرية عدم استحقاقه لهذا اللقب ويشير إلى ذلك عند حديثه عن أبي عثمان الصابوني ومنحه لقب شيخ الإسلام فيقول ( أما المجسمة بمدينة هراة فلما ثارت نفوسهم من هذا اللقب–لشخص الصابوني– عمدوا الى أبي إسماعيل الأنصاري فلقبوه بشيخ الإسلام ) [٥].

إذا فان أول الإشارات لاستخدام هذا اللقب يعود إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وأول من استخدمه هم الشافعية في خرا سان بين جماعات المحدثين .

---

[١] ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص٢٢٤

[٢] طول السبكي ترجمته الى ٢١ ورقة في طبقات الشافعية الكبرى ،م٤ ،ص ص ٢٧١ .٢٩٢ .

[٣] هوا لإمام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الأنصاري الهروي الصوفي ، حنبلي المذهب ولد في ذي الحجة سنة ٣٩٥ هـ/١٠٠٥م . لقبه الحنابلة بهراة بشيخ الإسلام ،كان عالماً فاضلاً وكان يذم الكلام ومن مصنفاته كتاب ذم الكلام وكتاب الأربعين وكتاب الفاروق في الصفات ثم كتاب منازل السائرين في التصوف . توفي أبو إسماعيل الأنصاري سنةَ ٤٨١ هـ/١٠٩٣م .للمزيد من التفاصيل ينظر: ابو الحسن محمد بن أبو يعلى ( ت: ٥٢١هـ/١١٢٣م) ، طبقات الحنابلة ، تح : محمد حامد الفقي ( جزءان ، بيروت ، مط دار المعرفة ، بلا.ت) جـ٢ ، ص٢٤٧ ؛ احمد حامد الصراف ، عمر الخيام ، ط٣، ( بغداد : مط المعارف ، ١٩٦٠م ) ص ص ٧٥-٧٦ .

[٤] أبو يعلي ، طبقات الحنابلة، جـ٢، ص٢٤٧.

[٥] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٤ ، ص٢٧١ .

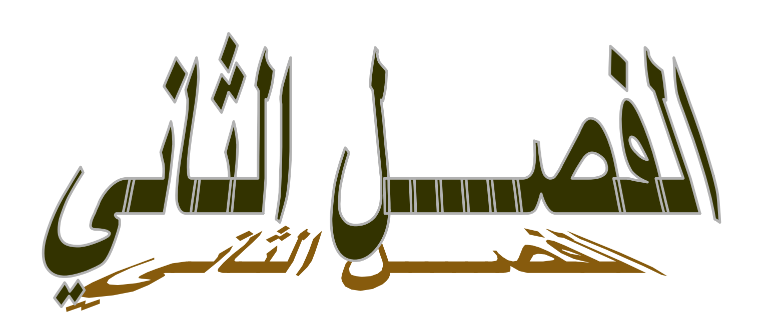
## الدلالات الأولى لمصطلح شيخ الإسلام

إن لقب شيخ الإسلام ظهر في البداية في خرا سان أو المشرق الإسلامي كأحد أهم ألقاب الشرف والوجاهة التي كان يتمتع بها رجال المؤسسة الدينية المتميزين على أقرانهم في تحصيل العلوم وفي علو المنزلة بين الأقران ، فهو من هذه الوجهة يشير، ضمن دلالات اخرى كثيرة ، بان من يحمل صفة شيخ الإسلام في هذا الوقت الأول من ظهوره الى كثير من السمات والميزات التي اعتمد عليها قيام اللقب فيما بعد عند وقت ذيوعه وانتشاره ، هذه المعلومات يمكن أن نحصل عليها من خلال استقرائنا للنصوص المتوفرة عن الرجال الذين عرفوا بتسمية شيخ الإسلام . ومن خلال فهمنا للعلاقة بين اللقب الموجود في النص وترجمة الشخص المتصل اسمه به ، لكن النصوص المتوفرة هذه تخلو من أي معلومات توضح لنا المؤهلات أو الشروط التي يستطيع بموجبها رجال المؤسسة الدينية أن يحملوا لقب شيخ الإسلام ، والنص اليتيم أو الوحيد الذي يمكن أن نفهم منه بعض ما يخص ذلك يعود إلى منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الذي يورده الصريفيني في مصنفه المنتخب من كتاب السياق على تاريخ نيسابور[1] عند ترجمته للشيخ عبد الله بن زين الإسلام عبد الكريم القشيري (٤١٤– ٤٧٧هـ/ ـ١٠٨٤م) التي هي في حقيقة الأمر الواقع أقوال عبد الغافر في السياق والتي لم تصل إلينا في هذا القسم إلا عن طر يق الصريفيني نفسه . إذ يتناول فيه مناقبه وفضائله إلى أن يقول " ... وامتدت أيامه بعد زين الإسلام [ أي القشيري الأول ] ثلاث عشرة سنة ولو عاش لصار شيخ الإسلام والمشايخ بالإطلاق في خرا سان والعراق لتقدمه ونسبه وعلمه... " .

من هذا النص يتحدد لنا انه من دلالات مصطلح شيخ الإسلام التقدم على الأقران الذين يمثلون كبار العلماء في المنزلة عن طريق التقدم أو التبحر في العلوم لما يصل الى خارج حدود مدينته ، وكذلك عامل النسب بشهرة ومنزلة بيت القشيري الذي ينتسب إلى هوازن، ومثل هذا التقدم يدلل على المقدرة لهذا الشيخ في الاجتهاد و الإفتاء في أمور الدين الحنيف. وفي هذا المحتوى لم يكن لهذا الشيخ هنا أية دائرة وظيفيه . رسمية أوغيرها يتمتع بها بين عناصر المجتمع النيسابوري .

---

(١) الصريفيني ، المنتخب من كتاب السياق ، ورقة ٨٢ب.




# شيـــوخ الإســـلام عند الأيوبيين

# مقـــدمة في الدولة الأيوبية

تدين الدولـة الأيوبيـة [١] في قيامها لحرب الجهاد المقدسـة مع الفرنج لما يمثل المدة الممتدة بين الحملة الصليبية الأولى والسابعة بين السنوات ( ٤٩١ ـ ٦٤٧هـ / ١٠٩٥ ـ ١٢٥٠م ) [٢]. فهذه الدولة الممثلة بالسلطنة ونيابتها ، كانت تضم مصر والشام والولايات التي تتكون منها [٣] ، يقف على رأ سها السلطان الأيوبي الذي هو في منزلة القائد الأعلى للجيش ، يساعده عدد من نواب السلطنة ، ينتمون الى ملوك البيت الأيوبي في القاهرة ودمشق وحلب والمدن الرئيسة الأخرى .

---

[١] تنتسب الدولة الأيوبية – كما عُرفت عند المؤرخين بهذا الاسم – الى نجم الدين أيوب بن شادي ، الذي عمل في خدمة الاتابك عماد الدين زنكي ، ثم انخرط ضمن أمراء نور الدين محمود ، إذ شارك معه في الخدمة العسكرية ابنه يوسف بن نجم الدين ( صلاح الدين فيما بعد ) الذي شارك مع عمه أسد الدين شيركوه في الحملة المتجهة الى مصر ثلاث مرات انتهت بالقضاء على الدولة الفاطمية ، وتأسيس الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي :– للمزيد من التفاصيل ينظر :–

المكين جرجيس بن العميد ( ت: ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م ) ، أخبار الأيوبيين ، ( دمشق : مط المعهد الفرنسي ، ١٩٥٨م ) ؛ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل ( ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م ) ، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، تح : جمال الدين الشيال ( القاهرة : ١٩٥٣ ) ؛ السيد محمد مرتضى الزبيدي ، ترويح القلوب في اخبار بني أيوب ، تح : صلاح الدين المنجد ، ( بيروت : مط دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٣ ) ؛ علي بيومي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر ، ( القاهرة : د. مط ، ١٩٥٢ ) ؛ اسمت غنيم ، الدولة الأيوبية والصليبيون ، ( الإسكندرية : مط دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨ ) ؛ احمد فؤاد سيد ، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب ٥٦٧–٦٤٨هـ ، ط١ ( القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م) .

[٢] عن الحروب الصليبية ينظر : ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، تر : السيد الباز العريني ، ط٢ ، ( بيروت : دار النهضة ، ١٩٦٧م ) ؛ ستيفن رانسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، تر : السيد الباز العريني ، (٣ مجلدات ، بيروت : د. مط ، ١٩٦٧ ) ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ط١ (جزءان ،القاهرة : مط ألا نجلو المصرية ، ١٩٦٣ ) ؛ كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، تر :احمد الشيخ ،ط١ (القاهرة : سينا للنشر ،١٩٩٥م) .

[٣] كان مركز السلطنة الأيوبية في مصر ، وكان هناك إمارات أخرى في بلاد الشام التابعة لها ضمن نيابات متعددة للسلطنة في كل من الكرك ودمشق وحلب والمشرق ، كل منها يحكم من قبل واحد من أفراد البيت الأيوبي من الملوك الذكور .في الظروف العادية كانت كل إمارة تمثل كياناً مستقلاً لها جيشها الخاص بها . أما إذا كان هناك حرب مع قوى أجنبية تهدد السلطنة مثل الصليبيين ، فان هذه الإمارات كانت تتعاون مع السلطنة في مصر في الدفاع عن البلاد وحمل راية الجهاد .

فبين وقت قيام الدولة الأيوبية في سنة( ٥٦٩هـ / ١١٧١م ) وزوالها في سنة( ٦٤٨هـ / ١٢٥١م ) حكم البلاد ثمانية سلاطين ، هم كل من صلاح الدين الكبير [١] ، مؤسس الدولة الأيوبية وأخيه العادل سيف الدين [٢] ، الذي استقرت في أولاده وأحفاده ولاية السلطنة ،لكن كلاً من ولدي السلطان صلاح الدين ، الملك العزيز عثمان ( ت : ٥٩٩هـ/١٢٠٣م) وأخيه الكبير الأفضل علي ( ت: ٦٢٢هـ/١٢٢٤م) كانا قد توليا الحكم مدة قصيرة بمشاركة عمهما السلطان العادل سيف الدين ، بشكل غير رسمي، وكان حكم مصر قد اسند الى الملك الكامل محمد [٣] في عهد والده العادل ، واستمر

---

[١] هو السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي ، ولد في تكريت في سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م ، وتوفي بالقلعة في دمشق سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٢م ، اشتهر بانتصاراته على الصليبيين ، وتحرير بيت المقدس ، وفي القضاء على الدولة الفاطمية ، وله العديد من الأعمال الجليلة خاصةً في المجال العلمي . تمثل في تقريب العلماء وإنشاء المدارس . للاطلاع على سيرته وإنجازاته ينظر : عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن العماد الأصفهاني ( ت : ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ) ، الفتح القسي بالفتح القدسي ، ( القاهرة : د.مط ، ١٣٢١م ) ، ص ص ٢٣ ، ٣٣٢-٣٣٥ ؛ أبو المحاسن يوسف بن رافع ألا سدي ابن شداد ( ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م ) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تح : جمال الدين الشيال ، ط١ ( القاهرة : د. مط /١٩٦٢ )، ص ص ٤٤ ، ١٢٦ ، ٣٦٣ ، ٤١٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٧ ، ص ص ١٣٩-٢١٨ ؛ مرتضى حسن النقيب ،لمحات عن انجازات صلاح الدين مع الفرنج ، مجلة الدراسات الإسلامية ،بيت الحكمة ( بغداد: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ) ص ص ٤ـ١٤؛ محمد حسن حسين ، جيش صلاح الدين الايوبي ، مجلة المورد ، المجلد السادس ، عدد ٤ ( بغداد ، ١٩٧٨م) .

[٢] هو أبو بكر بن أيوب ، ولد في بعلبك سنة ( ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ) ، أسهم مع أخيه صلاح الدين في جهاده ضد الصليبيين ، وكان يمثل ذراعه الأيمن ، وبعد موت صلاح الدين ، كان له دور كبير في تسيير دفة الحكم والصلح بين أولاد صلاح الدين ، ثم نقل الحكم الى أولاده ، فظل فيهم الى مجيء الناصر يوسف ، أحد السلاطين الشاميين ، توفي سنة ٦٢٠هـ ، متأثراً بخبر دخول الصليبيين دمياط في أثناء الحملة الصليبية الخامسة . لمزيد من التفاصيل ينظر : ابو بكر عبد الله بن ايبك الدواداري ( ت : ٧٣٢هـ / ١٣٣٥م ) ، وتعرف الأجزاء الخاصة بتاريخ الدولة الأيوبية باسم ( الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ) ، تح : سعيد عاشور ، (أربعة أجزاء من السادس الى التاسع ، القاهرة : ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م ) ، جـ٧ ، ص١٩٧ ؛ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي ( ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م ) ، تاريخ بن الوردي ( وهو تتمة المختصر في أخبار البشر )، ط٢(جزءان، النجف: مط الحيدرية ، ١٩٦٩م ) ،جـ٢ ، ص١٩٤ ؛ أبو العباس إسماعيل بن العباس الغساني ( ت : ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ) ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تح : شاكر محمود عبد المنعم ( بغداد : مط جامعة بغداد، ١٩٧٥م ) ص٢٢٣ .

[٣] هو أبو المعالي محمد بن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصر الدين ، ولد سنة ٥٧٦هـ /١١٨٠م ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م . كان له لقاءات مع الصليبيين ، اشهرها الحملة الصليبية الخامسة على مصر ( ٦١٥هـ – ٦١٨هـ / ١٢١٧م – ١٢٢١م ) التي انتهت بهزيمة الصليبيين . كان له مواقف بطولية كثيرة ، إلا انه

=

في الحكم سلطاناً بعد وفاة والده ، بمعاونة أخويه الملك المعظم عيسى[1]، والأشرف موسى[2]، في ولاية السلطنة بالتتابع ، وبعد وفاة الملك الكامل في سنة ٦٣٥هـ/ ، آل الأمر مدة سنة واحدة الى ابنه الصغير العادل الثاني [3] ، حتى تمكن أخوه السلطان الملك نجم الدين أيوب [4] من الاستيلاء على السلطنة

---

= تورط بوعد أعطاه للإمبراطور / فردريك الثاني بتسليمه القدس ، مقابل تعاونه معه في حرب ضد أخيه المعظم عيسى نائب السلطنة بدمشق الذي كان قد اتفق مع قوة الخوارزمية الشرسة لحرب السلطان الكامل . وكان هذا الوعد والوفاء به قد جلب على السلطان الكامل نقمة المسلمين ، حكم الكامل مصر أربعين سنة ، نصفها في حياة والده، واشتهر من أولاده العادل الصغير ، ثم الصالح نجم الدين أيوب . انظر عن سيرته ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٧٩ ؛ جمال الدين عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل ( ت: ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م ) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تح : حسنين محمد ربيع ، راجعه : سعيد عبد الفتاح عاشور ( القاهرة : مط دار الكتب ، ١٩٧٧م) م٤ ، ص ص١٥٣.١٧١ ؛أبو البركات احمد بن ابراهيم الحنبلي( ٨٧٦هـ) : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح : ناظم رشيد ( بغداد : مط دار الحرية ، ١٩٧٨م ) ،صص ٢٩٩ـ٣٢٠ ، وعن الدولة الخوارزمية ينظر : نافع توفيق عبود ، الدولة الخوارزمية نشأتها ، علاقتها مع الدول الإسلامية ، نظمها العسكرية والإدارية ( ٤٩٠هـ – ٦٢٨هـ / ١٠٩٧م – ١٢٣١م ) ، ( بغداد : مط جامعة بغداد ، ١٩٧٨م ) ، ص ص ١٥١–١٩٠ .

[1] هو شرف الدين عيسى بن الملك العادل( ٥٧٨هـ / ٦٢٤هـ) ، حكم دمشق في عهد والده ثم بعد وفاة والده . وقف الى جانب أخيه الكامل في حروبه مع الصليبيين وخاصة في أثناء الحملة الصليبية الخامسة ، إلا إن الوحشة دبت بينهما بعدها . ينظر عنه ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، م٤، ص ص ٢٠٨ـ٢١٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ص ١٢١–١٢٢ .

[2] الأشرف موسى أبو الفتح مظفر الدين ابن الملك العادل ، ولد في مصر سنة ٥٩٨هـ ، وتوفي في دمشق سنة ٦٣٥هـ ، له مواقف سياسية متمثلة في جهاد الصليبيين الى جانب أخويه الكامل والمعظم ، فضلاً عن تدخله المستمر في الصلح بين أخويه كلما نشب الخلاف بينهما . كما أن له مواقف من شيخ الإسلام العز بن عبد السلام سوف نتحدث عنها في حينها . عن سيرته والأحداث المتعلقة بها ينظر :– ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، م٥ ، صص١٣٧.١٣٨ ؛ أبو البركات الحنبلي ، مناقب بني أيوب ص ص ٢٩٠ . ٢٩٩ .

[3] محمد العادل بن محمد الكامل بن محمد العادل ، ولد في سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م بمصر ، توفي سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م مقتولاً في قلعة الجبل بالقاهرة على يد أخيه السلطان نجم الدين أيوب. ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، م٥ ، ص ص ٣٧٩ـ ٣٨٥ ؛ تقي الدين احمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ص٢٦٧ .

[4] هو الصالح نجم الدين أيوب بن محمد الكامل بن محمد العادل ، يعد أهم شخصية بين الايوبيين بعد صلاح الدين كان مسؤولاً عن إدارة إقليم الجزيرة في المشرق في عهد والده ، وبعد وفاة والده . وتمكنه من القضاء على أخيه العادل الثاني ، تولى الحكم في مصر . من أعماله تكوين فرقة المماليك البحرية التي عرفت بالمماليك الصالحية أو النجمية نسبة أليه ، والتي أصبحت نواة دولة المماليك الأولى . توفي الصالح نجم الدين أيوب أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر .

=

والاستمرار في حكم مصر والشام عقداً من الزمان ( ٦٣٧ . ٦٤٧هـ/١٢٣٩ـ١٢٥٠م ) ، حتى وفاته في تل العظم ، في وقت اشتداد هجوم الفرنج على المنصورة ، فكانت الدولة الأيوبية عند وفاته في حالة احتضار ، اذ لم يحكم آنئذ من بعده ابنه الملك المعظم توران شاه [١] سوى ثلاثة اشهر، آلت فيه الأمور في النهاية الى قيام دولة جديدة في البلاد ، هي الدولة المملوكية البحرية ، وريثة الحكم الأيوبي في مقعد السلطنة مصر ونيابتها في الشام .

تميزت الدولة الأيوبية بصفة لا نجدها في غيرها من الدول العربية الإسلامية التي قامت قبلها، وهو التلاحم القوي الذي شهدته الإدارة الأيوبية مدة ثمانية عقود بين المؤسسة السياسية للبلاد والبنية الدينية للدين الحنيف . فلم نعرف دولة إسلامية أخرى مثلها على هذا المستوى من التلاحم بين الدين والدولة ، خصوصاً في مسألة الجهاد ضد الفرنج ،ولا نعرف وجود حركة للفقهاء والعلماء شهدها العالم العربي مثل الهجرة التي شهدتها الشام ومصر خلال حكم سلاطينها الثمانية المتعاقبين . كما ان الجميع من السلاطين أو ممثليهم من ملوك الأطراف أخذوا بمثلهم الأعلى السلطان صلاح الدين الكبير في

= ينظر عنه ابن ايبك ، كنز الدرر ، ج٧ ، ص٣٧٣ ؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ص٣٤٤ ؛ فاطمة زبار عنيزان الحمداني ، الملك الصالح أيوب ، وانجازاته السياسية والعسكرية ( جامعة بغداد : كلية الآداب ، ١٩٩٥م ) رسالة ماجستير غير منشورة .

[١] هو الملك المعظم غياث الدين توران شاه ثاني أولاد الملك الصالح نجم الدين ، والوحيد الذي ظل على قيد الحياة بعد وفاة والده ، ومقتل أخيه العادل الصغير ، كان ينوب عن والده في حصن كيفا من إقليم المشرق الأيوبي ، وعندما توفي والده أرسلت شجر الدر زوجة والده ، إليه ليتولى شؤون الحكم ، فحضر وتولى السلطنة في مصر في ١٩ ذي القعدة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م ، وفي عهده انكسر الصليبيون الذين كانوا على وشك السيطرة على مقعد السلطنة ( القاهرة ) . وبعد جلاء الصليبيين عن مصر تغير على مماليك أبيه ( البحرية ) الأمر الذي أدى بكبار أمرائهم إلى التآمر عليه وقتله يوم الاثنين السابع والعشرين من محرم ٦٤٨هـ/١٢٥٠م . ينظر عنه : احمد بن عبد الله القلقشندي ( ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ) ، مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تح : عبد الستار احمد فرج ، ط٢ (٣ أجزاء ، الكويت : مط حكومة الكويت ، ١٩٨٥ ) جـ٢ ، ص٩٣ ؛ جمال الدين أبا المحاسن بن تغرى بردى الاتابكي (ت: ٧٨٤هـ / ١٤٦٩م ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ( القاهرة : مط دار الكتب المصرية ، ١٩٣٦ ) جـ٦ ، ص٣٣١ ؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ( ٩١١هـ ) ، تاريخ الخلفاء ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة، مط السعادة ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ) جـ١ ، ص٤٦٥ ؛ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣ أجزاء بيروت : مط دار الجيل ، بلا. ت ) جـ١، ص٢٨ ؛ محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية ، تح : إحسان حقي ( بيروت : مط دار النفائس ، ١٤٠٣هـ ) جـ١ ، ص ص ٨٢-٨٣ .

التقارب والتعاون مع ممثلي المؤسسة الدينية ومؤازرتها ، مع أن درجة التعاون هذه لابد من أن نعترف أنها كانت قد اختلفت من سلطان الى آخر ومن ملك أيوبي الى غيره .

في هذا المحتوى لم تشتهر الدولة الأيوبية بمنصب رسمي منفرد لشيخ الإسلام ، ولم يظهر بين مؤسسات الدولة منصب رسمي بهذه الصفة ضمن وظائف الدولة الأيوبية . فمثل هذا الأمر لم يكن قد حصل بعد ، رغم أن التلاحم بين ممثلي المؤسستين كان قائماً بينهما منذ البداية ، ورغم ان تعبير شيخ الإسلام كان قد شاع أكثر من أي وقت مضى في تاريخ الدولة العربية الإسلامية .

ومع أن شيخ الإسلام لم يكن يمثل حالة فردية ، ولم يكن قد أخذ الصفة الرسمية بعد . إلا انه كان تعبيراً شائعاً وقائماً بشكل يلفت النظر بين الفقهاء والمحدثين الشاميين من ممثلي المؤسسة الدينية واتباعها ، بشكل خاص فقهاء المدرستين الشافعية والحنبلية ، وكما سيظهر لنا فقد تميز شيوخ الإسلام هؤلاء بنيلهم لرياسة العلم وبلوغهم مرحلة الاجتهاد وحصولهم على زعامة مدارسهم الفقهية ، في الأقل بما يمثل جانب الفقهاء أو المحدثين ، وبتجاوزهم في العلم الحدود الدينية لمدارسهم .

وخلال عمر الدولة الأيوبية لدينا عدد من شخصيات شيوخ الإسلام تم حصرها ضمن المدرسة الفقهية الشافعية ، وعدد آخر ضمن المدرسة الفقهية الحنبلية . وكذلك يتوفر لدينا نماذج منهم ضمن جماعة المحدثين الشاميين . ( ما عدا المدارس الأخرى التي لا أهمية كبيرة لها حينئذ ) .

ونظراً لأهمية هذه الشخصيات في إلقاء الضوء على مفهوم مصطلح شيخ الإسلام وطبيعته عند الأيوبيين سنحلل تراجم بعض هؤلاء الشيوخ على وفق المدارس التي ينتمون إليها ، من مراتب المدرسة الفقهية الواحدة وفئات المحدثين ، من خلال التعرف على ما يتوفر من سيرتهم من مادة تاريخية تضم واجباتهم الدينية والدنيوية ، ومتابعة المناصب والوظائف المناطة بهم والألقاب التي يحملونها والخدمات التي يقدمونها للدولة في المناسبات العامة ( المبايعات ) وفي أوقات المنازلة مع الفرنج ، حتى يمكن التعرف إلى طبيعة مفهوم شيوخ الإسلام وأعمالهم لمراحل الحكم في السلطنة الأيوبية وخصوصياتهم وهذه النماذج من شيوخ الإسلام على مستوى الفقهاء والمحدثين الشافعية تضم شيوخ الإسلام ابن الصلاح ، والعز بن عبد السلام ، في حين تضم نماذج شيوخ الإسلاموالفقهاء والمحدثين الحنابلة كلاً من شيخ الإسلام ابن قدامة وشيخ الإسلام مجد الدين بن تيمية . وهناك نماذج أخرى من شيوخ الإسلام لهذه الفترة مثل الشيخ أبي موسى المديني محمد بن أبي بكر الاصبهاني

( ت: ٥٨١هـ/١١٨٥م )، والشيخ عبد العظيم المنذري ( ت: ٦٥٦هـ ١٢٥٨م)، والشيخ شمس الدين أبـي عمـر عبـد الـرحمن بـن قدامـة، والشـيخ تقـي الـدين أبـي إسـحاق إبـراهيم بـن علـي الواسـطي الصـالحي ( ت :٦٠٢هـ/١٢٠٥م ) ، وغيرهم . إلا أنني اخترت هذه الأسماء الأربعة لأسباب كثيرة منها أنهم مثلوا ظاهرة تاريخية مهمة لفتت أنظار المعاصرين والمحدثين، وهذا الأمر يفضـي الـى تـوفر المادة العلمية عنهم أكثر من غيرهم .

# شيخ الإسلام : ابن الصلاح

## شخصيته وسيرته العلمية

**يعد ابن الصلاح** [1] إحدى الشخصيات العلمية المهمة التي عاشت في بلاد الشام الأيوبية ، خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي،لما كان له من دورٍ كبيرٍ في إرساء الأسس العلمية والمنهجية لعلم الحديث ، وللزعامة التي كان يتمتع بها بين اتباع مدرسته الشافعية من المحدثين وهو على خلاف معاصره شيخ الإسلام العز بن عبد السلام اذ كان ابن الصلاح من مناوئي علم الكلام،و من خصوم الأشعرية التي كان يتحمس لها منافسه العز ،وكان للنشأة التي نشأها ابن الصلاح دوراً كبيراً في تكوين شخصيته وتوجيهها التوجيه الذي أوصله الى ما وصل اليه من العلم والرئاسة والإفتاء ،

---

[1] هو الإمام ، الحافظ ، المفتي ، المحدث ، شيخ الإسلام ، تقي الدين ابو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصيري ، الكردي ، الشرخاني ، الشهرزوري الأصل ، الموصلي المربى ، الدمشقي الدار والوفاة ، الشافعي المذهب .

ولد ابن الصلاح في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨٢م بشهرزور، ونشأ في بيت اشتهر بالعلم والتقوى والورع ورياسة الفقه . حيث كان والده هو النبع الصافي الذي ارتوى منه ، فقد أهله ليندفع نحو دراسة الفقه وعلوم الشريعة . ويذكر انه كرر عليه كتاب المهذب ولم يطر شاربه .

تربى ابن الصلاح في الموصل وسافر الى بلدان عربية من أجل طلب العلم وقد حصل له منه الكثير ، ثم استقر به المقام في دمشق ، وبلغ بها شأناً عظيماً . وقد ألف وصنف في علوم مختلفة ، من ذلك كتابه المسمى بالمقدمة الذي يعد من أهم كتبه ، بل من أهم كتب علم الحديث عامة، حيث صار محور الدراسات في علوم الحديث منذ تصنيفه ، وقد صنف هذا الكتاب في سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م. توفي ابن الصلاح في دمشق في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. للمزيد من التفاصيل عن ابن الصلاح ، ينظر ترجمته في شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي سبط بن الجوزي ( ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ( حيدر اباد: د. مط ، ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) ، جـ٨ ، ق٢ ، ص٧٥٧ ؛ عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان أبو شامة المقدسي ، الذيل على الروضتين( تراجم رجال القرنيين السادس والسابع)، نشرت بأعتناء عزت العطار ، ط٢ ( بيروت : دا الجيل الجديد ، ١٩٧٤م) ص ص ١٧٥ – ١٧٦ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٤٣ ؛ أبي عبد الله محمد بن عمر الفاسي ، ملىء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ( الدار التونسية للنشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ) ، جـ٣ ، ص٢١٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٣٢٦– ٣٣٦ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ط٤ ( ٤أجزاء ، الدكن : مط مجلس دائرة المعارف الإسلامية ، بلا.ت) ، جـ٣ ، ص١٤٣٠ .

ونيل مرتبة شيخ الإسلام . فقد نشأ ابن الصلاح في بيت علم ، وورع ، ورئاسة في العلم . وقام بتوفير مستلزماتها برحلات [1] عديدة في طلب الحديث ومشيخة المحدثين ، إذ طاف بلداناً كثيرة ليتلمذ على شيوخ العصر [2] .

وكان من نتيجة ذلك أن أضحى موسوعة زمانه في الحديث والفقه والتفسير والنحو وغيرها ، بل مَيز فيها حتى أضحى إماماً ومفتياً وشيخاً للإسلام ، إلا أن شهرته الأكثر ذيوعاً بين أقرانه كانت في علم الحديث على نحو ما يتضح من كتابه (المقدمة )الذي صنفه في علم الحديث ، حيث اصبح اسم هذا الكتاب لصيقاً باسم شيخ الإسلام ابن الصلاح ، على نحو ما يشير عنوان الكتاب " مقدمة ابن الصلاح"

.

---

[1] حول رحلات ابن الصلاح ينظر : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ق٢ ، جـ٨ ، ص٧٥٨ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص ص ١٤٢٠-١٤٣٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢١٤٠ ؛ ابي محمد عبد الله بن اسعد اليافعي ، مرآة الجنان، ط٢ ( بيروت : مط مؤسسة الاعلمي ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ) جـ٤ ، ص١٨ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص٣٨٢ ؛ ابن رافع السلامي ( ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، تاريخ علماء بغداد المسمى المنتخب المختار ، تح : عباس العزاوي ( بغداد : مط الأهالي ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٨٧م ) ، ص١٣٠ .

[2] لقد قام ابن الصلاح برحلات الى بلدان مختلفة للتتلمذ على العديد من المشايخ في الموصل وبغداد وخرا سان . وقد اشتهر ابن الصلاح بحبه وشغفه بعلم الحديث وعلم الرجال . وكان معظم مشايخه من علماء الحديث ، ومن المشايخ الذين اخذ عنهم ابن الصلاح العلم :- ابن السمين في الموصل وابن طبرزد في بغداد ، كذلك

- عماد الدين عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد بن عمر ابن ابي حفص أبو محمد النبهي كان شيخ الشافعية بمرو . ينظر ترجمته في السمعاني : الأنساب ، جـ٥ ، ص٥٥٣ .

- شيخ الإسلام موفق الدين المقدسي : ( ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م )، وقد خصص له مبحثاً خاصاً في هذا الرسالة ، ينظر ص ص ٧٢-٧٩ .

- فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن الدمشقي ابن عساكر الإمام المفتي ، شيخ الشافعية في وقته بالشام (ت: ٦٢٠هـ ) . ينظر ترجمته في زكي الدين أبي محمد عبد العظيم المنذري ( ٥٨١-٦٥٦هـ ) ، التكملة لوفيات النقله ، تح : بشار عواد معروف ، ط٢ ( بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ) وهو اصل دراسته للماجستير ، جـ٣ ، ص١٠٧ ؛ . الشيخ أبو القاسم عبد الكريم القزويني الرافعي ، صاحب شرح الوجيز الذي لم يصنف مثله في المذهب ( ت : ٦٢٤هـ ) . انظر ترجمته في أبي زكريا النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، ط١ ( ٣ اجزاء ،بيروت : مط دارالفكر ، ١٩٩٦ ) جـ٢ ، ص٥٤١ .

- كمال الدين أبو الفتح موسى بن أبي الفضل الموصلي ، أحد علماء الشافعية ، وكان أحد المتبحرين في العلوم الشرعية والعقلية ، ( ت : ٦٣٩هـ ) . ينظر ترجمته في : عبد العظيم المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، جـ٣ ، ص٥٨٣ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص١٥٨ .

ومن اسهامات ابن الصلاح في علم الحديث ما اهتم به من تحديد تاريخ ولادة المحدثين ووفاتهم ، كي يتمكن من معرفة طبقاتهم . ولهذا الأمر أهمية كبيرة عند ابن الصلاح إذ تمكن من خلاله معرفة علاقة الرواة بعضهم ببعض ، ومدى احتمال أن يكون قد التقى هؤلاء الرواة ببعضهم [1].

أما بالنسبة لعلم الفقه : فقد كان أول شيوخه والده الفقيه المفتى صلاح الدين ، إذ كرر عليه كتاب المهذب [2] ولم يطر شاربه .

وعلى الرغم من المكانة لعظيمة التي احتلها ابن الصلاح بين أقرانه ، فضلاً عن مكانته بين فقهاء الجيل التابع له ، إلا انه كان هناك لبعض الفقهاء وقفات عند بعض فتاواه ، ولعل أكثرها أهمية هو موقف شيخ الإسلام العز بن عبد السلام منه بسبب وقوفه في صف من يقول بصلاة الرغائب ، مع انه لم يرد بها حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## مذهبه وعقيدته

ابن الصلاح شافعي المذهب [3] وراثةً ، ونشأةً واختياراً . وهو مع تمذهبه بمذهب الشافعي لم يكن متعصباً لاتباعه ، بل كان منصفاً لغيره من اتباع المذاهب الأخرى . وقد قصده الناس – للاستفتاء – على اختلاف مذاهبهم .وتأكيداً على هذا الانتساب فقد صنف في رجال المذهب الشافعي كتابه طبقات الشافعية .

---

(1) تشير هذه الإسهامات بالمستوى المتقدم الذي كان قد وصل اليه العلماء العرب والمسلمون عامة وابن الصلاح خاصة، فيما يتعلق بعلم المنهجية واستخدامه للإفادة في التحقيق من مدى سلامة رواة الحديث من التجريح ، ومن ثم خلو الرواية من الشوائب .

(2) هو كتاب المهذب للشيخ الإمام أبي إسحاق الشيرازي ( ت ٤٧٦هـ) ، وهو كتاب جليل القدر اعتنى بشرحه الكثير من اللاحقين . ينظر : حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ٢ ، ١٩٦٣ .

(3) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص١٤٣ .

– يعلل ابن الصلاح سبب اتباعه لمذهب الشافعي ، بقوله أن الإمام الشافعي جاء متأخراً في زمنه عن غيره من الأئمة مثل أبي حنيفة ومالك وغيرهما . فأخذ من مذاهبهم كل ما يفيد وأضاف عليه . ثم يقول ابن الصلاح بأنه لم يأتِ بعد الشافعي من بلغ محله في ذلك . انظر أدب المفتي والمستفتي ، تح : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ( مط عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ص ص ٨٨-٨٩ .

وكان لا يخوض في علم الكلام وينظر للفلسفة على أنها شيء محرم . وعليه فقد تجنب ابن الصلاح الخوض في تأويل النصوص ، واتبع طريقة السلف الصالح ( رضوان الله عليهم ) في الإيمان بالصفات دون الخوض في تفاصيلها .

## الوظائف التي تولاها ابن الصلاح

لقد كان ابن الصلاح، بسعة علمه وطول باعه، محط أنظار طلاب العلم في كل مكان ولاسيما المحدثين – ويكفي شاهد على ذلك ان من بين أشهر تلامذته مؤرخ الشام أبو شامه المقدسي (١) ، صاحب الروضتين والذيل عليها – كما ان علمه الواسع أهله للخدمة في وظائف تعليمية مختلفة ، بدءاً بالإعادة وذلك في بدء عمله (٢) ، ثم التدريس والإفتاء فضلاً عن التصنيف (٣) . بالنسبة لعمله في التدريس – ونقصد به تدريس الفقه وأصوله – فقد شغل عدة مناصب تدريسية في القدس ودمشق ، حيث تولى بداية التدريس بالمدرسة الناصرية في القدس (٤) – المنسوبة الى السلطان الناصر صلاح الدين يوسف – وذلك قبل رحيله الى دمشق على أثر قرار نائب السلطنة المعظم عيسى القاضي بهدم سور القدس خوفاً من استفادة العدو الإفرنجي منه إذا احتل المدينة . ثم عمل في التدريس فيما بعد في المدرسة

---

(١) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص١٣٩ .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٢٢١ . حيث تولى الإعادة عند ابن يونس الموصلي .

(٣) صنف أبن صلاح كتباً عديدة منها ما وصل إلينا ، ومنها ما تعرفنا عليه من خلال من صنف بعده من العلماء المعاصرين واللاحقين . ونشير هنا الى كتاب أدب المفتى والمستفتى ( مطبوع ) ، وكتاب الأماني ( مطبوع ) . ومن كتبه المخطوطة كتاب صلة الناسك في صفة المناسك ، والمؤتلف والمختلف في أسماء الرجال .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٢٤ ، ويطلق البعض على هذه المدارس اسم المدرسة الصلاحية وكذلك النظامية ، ينظر ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ ، وفيات ( بيروت : مط المكتبة التجارية ، ١٩٧١م) ، ص٣١٦ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٢٢١ ؛ ابي اليمن مجير الدين الحنبلي (ت:٩٢٨هـ) ،الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ( النجف : مط الحيدرية ، ١٣٨٨هـ/١٩٨٦م) ، جـ٢ ، ص١٠٣ ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، تر :عبد الحليم النجار (٣ أجزاء ، القاهرة : مط دار المعارف، ١٩٦٢ ) ، جـ٦ ، ص٢٠٢ ، أما ابن العماد الحنبلي فيسمي هذه المدرسة بالمدرسة النظامية ينظر كتابه شذرات الذهب ، م٥ ، ص٢٢١ . وقد يكون التبس الأمر على ابن العماد لأنه لم يرد ذكر خبر وجود مدرسة نظامية في دمشق عند أحد غير ابن العماد . أما ابن واصل فيقول : إن نور الدين هو الذي بنى المدرسة الناصرية ونسبت الى صلاح الدين وسميت الناصرية وكان ابن الصلاح أحد الذين فوض اليه أمر التدريس فيها ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٤٢ .

الرواحية ، وهي المدرسة التي أنشأها الزكي أبو القاسم الحموي ( ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٤م) أحد التجار الدمشقيين الموسرين .

ولما بنى الاشرف موسى – نائب السلطنة الجديد في دمشق بعد وفاة المعظم عيسى - دار الحديث الاشرفية سنة ( ٦٣٠ هـ/١٢٣٣م) ، فوض شئون التدريس الى ابن الصلاح ، لذا يعد ابن الصلاح أول من ولـيَّ دار الحديث الاشرفية من شيوخ الحديث الدمشقيين [١] ، ثم تولى تدريس مدرسة ست الشام [٢] ، زمرد خاتون ( ت: ٦١٦هـ/١٢١٨م ) ، وكان يعمل في المدارس الثلاث في وقت واحد بلا إخلال بأداء الدروس .

أما بالنسبة للإفتاء فقد وصل ابن الصلاح في دمشق مرتبة عالية إذ انتهت اليه رئاسة الفتوى في مذهبه [٣] ، كما حظيت فتاواه بأهمية كبيرة لدى المتأخرين . فضلاً عن اعتماد الناس في زمنه على فتاويه كليةً . وهذا الجانب على أهمية كبيرة لمن يحصل على مرتبة شيخ الإسلام من الفقهاء والمحدثين .

## ابن الصلاح والسياسة الأيوبية

كان ابن الصلاح واحداً في مجمع العلماء الذين ينتمون الى مخيم الملك الاشرف موسى ، نائب السلطنة وخلف الملك عيسى في نيابة السلطنة بين السنوات ( ٦٢٤هـ–٦٣٥هـ /١٢٢٧-١٢٣٨م ) الذي كان يجمع حوله في مقر إدارته بالقلعة بدمشق ذلك النفر من العلماء المخالفين لجمهور المتكلمين، ونقصد بذلك حلقة الحنابلة والمحدثين من الشافعية المخالفين للمتكلمين ولعلم الكلام .

---

[١] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٤٤ ؛ محمد كرد علي ، خطط الشام ، ( بيروت : د. مط ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ) حـ٦، ص٧١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص١٤٢ .

[٢] ابو المحاسن ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي( ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م) ، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : سامي الدهان (جزءان ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ) جـ٢ ، ص٢٣٣ ؛ السبكي ، طبقات الشافعة الكبرى ، م٨ ، ص٣٢٧ .

[٣] تاريخ علماء بغداد ، ص١٣٢ . ويسميه أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص١٧٥ " بمفتي الشام " .

ولما كان ابن الصلاح ينتمي الى جماعة الملك الأشرف ويؤيد سياسته ، فهو دون غيره كان قد حظي ببناء دار الحديث الاشرفية ( بنيت سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م ) لتكون وقفاً على أصحاب الشافعي بنظارة ابن الصلاح و إدارته [١] .

والأهم في الأمر أن الملك الاشرف موسى كان يميل ميلاً شديداً في سياسته الدينية الى حلقة الحنابلة الذين يناهضون المتكلمين – خاصة اشاعرة دمشق – والذي كان ينتمي إليهم تخصص ابن الصلاح ، وقد توجت مواقفهم بأزمة كبيرة على مستوى السلطنة بين الملك الكامل محمد ، الذي يقال في ادعاء السبكي انه تدخل لصالح ألا شاعرة [٢] ، وبين مناوئه ، الاشرف موسى ، الذي اضطلعت مواقفه قطعاً في الميل الى وتأييد وجهة نظر الحنابلة المعادية لجماعة ألا شاعرة – المتمثلة بمنافس ابن الصلاح – العز بن عبد السلام .

## ا بن الصلاح ومنزلة شيخ الإسلام

لا تحدد المصادر المتوفرة لدينا من كتب التراجم متى أصبح أبو عمر بن الصلاح شيخ الإسلام ضمن أقرانه من شيوخ المدرسة الشافعية ، والاهم انه ليست جميع المصادر المتوفرة لدينا تضفي عليه لقب شيخ الإسلام ، مع انه في التحليل النهائي لا يمكن إنكار هذه الصفة عليه .

فالسبكي الذي يزودنا بترجمة لابن الصلاح ضمن مصنفه طبقات الشافعية الكبرى التي تضم رجال المذهب الشافعي ، لا يشير أليه في ديباجة نسبه بمثل هذه التسمية ، بل يتعمد في حقيقة الأمر الواقع التزام جانب الصمت بخصوصها ، على الرغم مما يعرف عن السبكي دفاعه المستميت عن كل اتباع مدرسته من الشافعية – الاشعرية [٣] ، والسبب على ما يبدو عداوة السبكي لمخالفي علم الكلام من المحدثين الذين يكنون العداء للاشاعرة خاصة ، وقد كان أبو عمر بن الصلاح واحداً من كبار أولئك المحدثين .

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج٥ ، ص٧١ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٩٧ .

(٣) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٣٢٦-٣٢٧ .

ويهمل ابن خلكان [١] أيضاً ، على أسس غير تلك التي تقترن بالسبكي ، التعريف به كشيخ الإسلام في حين نجد أستاذ السبكي أو بالأحرى شيخه ، شمس الدين الذهبي في تذكرة الحفاظ يصف أبا عمرو بن الصلاح بأنه " مفتي الإسلام وشيخ الإسلام " [٢]، وهو موقف يعبر عن وجهة نظر المحدثين . وممن تبع الذهبي في هذا الموقف من المؤرخين ابن العماد الحنبلي ، إذ يقول في أول ترجمته انه " تقي الدين ابو عمرو بن الصلاح الحافظ شيخ الإسلام " [٣].

وتعد هذه التحفظات من جانب السبكي بشأن أحقية ابن الصلاح لهذا اللقب نابعة من جانب اعتراف هذا المؤرخ الاشعري برياسة العز بن عبد السلام الذي كان يعد شيخ الإسلام للشافعية وقتئذ، إلا انه يمكن القول ان أبا عمرو بن الصلاح ، من وجهة نظر المحدثين ممثلين بالذهبي ، كان يعد شيخاً للإسلام ، ويتمتع بهذه الصفة من وجهة نظرهم، وكذلك في ضوء مشيخته للمحدثين ، و رياسته للعلم على أساس التدريس في الرواحية والاشرفية وست الشام في آن واحد ، وفي بلوغه مرتبة الإفتاء ، في حين لا يقر معارضوه بمشيخته للإسلام في ضوء عدم نيله رياسة المذهب ، التي كانت بحوزة العز بن عبد السلام ، خلفاً لإمامه القاضي ابن عساكر( ت: ٦٢١هـ/١٢٢٤م) ، وفي الاعتراض على فتاويه ومحاججتها [٤].

فالمتصفح لفتاوي ابن الصلاح يجد موقفاً عدائياً واضحاً للمنطق والفلسفة ، فقد كان ينظر الى أن الاشتغال بالفلسفة أمر محرم ، كما كان يرى أن العالم إذا اشتغل بتصانيف ابن سينا الفلسفية فقد غرر بدينه، وتعرض للفتنة العظمى، ولم يكن من العلماء ، بل كان شيطاناً من شياطين الأنس [٥] . ففي إجابة

---

[١] وفيات الأعيان ، م٣ ، ص٢٢٣ ، وكذلك يتجنب ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص٣٥٤ ، مثل هذه التسمية . أما ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٦٨-١٦٩ ، فيكتفي بتسمية الشيخ وحدها .

[٢] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، م٤ ، ص ص ١٤٣٠-١٤٣١ .

[٣] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٢٢١ .

[٤] فتاوى ومسائل ابن الصلاح ، تح : عبد المعطي امين قلعجي ، ط١ ( بيروت : مط دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) جـ١ ، ص ص ٢٠٨-٢٠٩ .

[٥] الذهبي ، سير الأعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص١٤٣ .

ومما يذكر بهذا الصدد أيضاً ما أمر به ابن الصلاح من انتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الامدي ، وقال : أخذها منه أفضل من أخذ عكا . وذلك بسبب ما اشتهر به الامدي من تبحر في العلوم الكلامية والفلسفية ، على الرغم من حسن إسلامه ، وسلامة اعتقاده . ينظر ، فاروق حمادة : المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ، دراسة منهجية في علوم الحديث ( مط المعارف ، ١٩٨٢ ) ، ص ص ٣٠٤-٣٠٥ .

مشهورة عن سؤال من يشتغل بالمنطق والفلسفة قال ابن الصلاح ان " الفلسفة رأس السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ... ، أما المنطق فهو مدخل الفلسفة ، ومدخل الشر شر ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباح الشارع ... " .

# شيخ الإسلام : العز بن عبد السلام

## شخصيته وسيرته الذاتية

يعد شيخ الإسلام العز بن عبد السلام [1] واحداً من أهم الشخصيات الدينية الشهيرة التي عاصرت تاريخ الدولة الأيوبية ، بين عهدي الازدهار والتدهور ، وحقبة انتقال الحكم من الأيوبيين الى المماليك ، إذ كان له دور بارز ومهم في نواحي الحياة العلمية والدينية والسياسية . واحتل مكانة عظيمة في مجتمعه سواءًلدى العامة أو الخاصة ، على الرغم من بساطة عيشه وانتمائه الى أسرة سلمية فقيرة ومتواضعة ، وقد وصف الدكتور / مرتضى النقيب أحواله هذه بأنه " قضى هذه المدة من حياته بين

---

[1] هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي الشافعي ، ويكنى بأبي محمد عند كثير ممن أرخ له عدا السبكي ، ويلقب بسلطان العلماء ، وأول من أطلق عليه هذا اللقب تلميذه ابن دقيق العيد . فضلاً عن ألقاب أخرى نعته بها مترجموه ، فضلاً عن لقب شيخ الإسلام .

ولد العز بن عبد السلام في دمشق سنة ٥٧٧هـ أو ٥٧٨هـ . عاش في الشام أولاً وفي القاهرة فيما بعد ، وقد انتهت إليه الإمامة ، وبلغ منزلة الاجتهاد . ارتحل الى القاهرة وعاش فيها أكثر من عشرين عاماً . وتوفي فيها في ٩ جمادى الأولى ٦٦٠هـ / ١٢٦١م . في زمن حكم السلطان الظاهر بيبرس .

كان الشيخ عز الدين شافعي المذهب اشعري العقيدة ، خلال المدة التي قضاها في دمشق . ومما يؤكد عقيدته هذه مقالته الشهيرة في الرد على الحشوية والحنابلة . إلا انه يبدو انه تخلى عن عقيدته الاشعرية في المدة التي قضاها في مصر .

للمزيد من التفاصيل ينظر :

السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، م٨ ، ص ص ٢٠٩–٢٥٥ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢، ص ص ٣٥٠–٣٥٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣٥ ؛ ابن حجر ، رفع الأصر عن قضاة مصر ، تح:حامد عبد المجيد واخرين ( القاهرة : مط الاميرية ، ١٩٦١م) جـ٣ ، ص٣٥٠ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٢٠٨ ؛ أبو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ( ت: ٩١١هـ) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط١ ( جزءان ، القاهرة : مط دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م) جـ١ ، ص ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٩٢ ، و جـ٢ ، ص١٩ ؛ محمد بن احمد ابن اياس الحنفي المصري ( ت: ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط١ ( ٥ اجزاء ، القاهرة : مط الكبرى الاميرية،١٣١١هـ) ، جـ١ ، ص ص ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٢٠ ؛ عبد الرحيم احمد الزقة ،العز بن عبد السلام والمصالح المرسلة من خلال كتابه " قواعد الأحكام في مصالح الأنام "( جامعة بغداد :كلية الاداب ، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م) رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ص ١٠١ . ١٥٤ .

البيت والكلاسة بالجامع بدمشق ، لفقدان من يعيله من أسرته ، التي كانت فقيرة الحال جداً ، فنشأ فقيراً معدماً تماماً من كل شيء ، معولاً على نفسه منذ نعومة أظفاره " [١].

ان هذه المكانة التي احتلها العز بن عبد السلام والأهمية التي نالها تكونت نتيجة توفر جملة أمور في شخصيته لعل من أهمها تمكنه من العلوم النقلية والعقلية المختلفة ، إذ لم يكن أحد رجالاتها فحسب ، بل كان إماماً وحجة فيها ، فضلاً عن إخلاصه لدينه ومبادئه، وجهاده المستمر في سبيلهما، هذا فضلاً عن عزوفه عن الدنيا وعن المناصب الدينية المختلفة، إلا وما يتفق وخدمته للشرع الحنيف .

ان الحديث عن السيرة الذاتية للعز بن عبد السلام يتطلب الكشف عن مرحلة حياته في الشام التي امتدت بين السنوات ( ٥٧٨-٦٣٩هـ/١١٨٣ـ١٢٤٢م ) ، و حياته في مصر التي بدأت بعد سنة ( ٦٣٩هـ/١٢٤٢م ) خلال عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب وخلفه ابنه توران شاه وخلفائه المماليك ، وان المتتبع لسيرة هذا الشيخ الشافعي- الاشعري [٢] الأصل ليجد انه كان على رأس قائمة علماء عصره ، فقد أتاه الله علماً أهله لان يصبح (إماماً ، وخطيباً ، ومفتياً ، ومصنفاً ، وقاضياً للقضاة ) ، وكان الشيخ العز بن عبد السلام قد بدأ حياته العلمية منذ مرحلة صباه عندما كان يعمل في الكلاسة [٣] في دمشق شمال الجامع الأموي الى مرحلة أخذه للعلم من العديد من الشيوخ مثل : حنبل بن عبد الله الرصافي [٤] ، وعمر بن طبرزد [٥] ، وشيخ الشافعية حينئذ القاسم بن

---

[١] مرتضى النقيب ، " العز بن عبد السلام دراسة في سيرته الذاتية " ص٤٨ .

[٢] الشيخ العز بن عبد السلام اشعري العقيدة ، والعقيدة الاشعرية نسبة الى أبي الحسن الاشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ/٨٧٦-٩٣٧م)، من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري رضي الله عنه.وهي عباره عن معتقدات متعلقة بصفات الخالق (عز وجل)، وأمور القضاء والقدر وغيرها. وقد حظيت عقيدة الاشعري بكثير من الاتباع سواءً من العامة أو الخاصة. عن هذه العقيدة وما تعلق بها من احداث ينظر ، السبكي :طبقات الشافعية الكبرى ،ج٣ ص ص ٣٤٧-٤٤٣ ؛ احمد محمود صبحي ، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية في أصول الدين (مؤسسة الثقافة الجامعة ، ١٩٧٨م) ؛ رعد شمس الدين محيى الدين ، علم الكلام بين الاشاعرة والمحدثين ( جامعة بغداد:كلية العلوم الإسلامية ،٢٠٠٠م ) رسالة ماجستير غير منشورة .

[٣] مرتضى النقيب ، " عز الدين بن عبد السلام دراسة في سيرته الذاتية " ، ص٤٨ .

[٤] هو حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الرصافي ( ٥١٠ هـ . ٦٠٣هـ ) الحنبلي قدم من بغداد الى دمشق أيام المعظم عيسى ( ت:٦٢٤هـ/١٢٢٧م ) حيث أكرمه كثيراً ورده الى بغداد، ودرس عليه العز بن عبد السلام المسند. ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٥٠ .

[٥] هو عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادي ، قدم دمشق مع حنبل بن عبد الله الرصافي ، وهو من مشايخ الحديث في بغداد في عصره ، ينظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٦١ .

عساكر [١] ، وجمال الدين الحرستاني [٢] ، وفخر الدين بن عساكر [٣] ، والشيخ سيف الدين الآمدي [٤] ، التي انتهت بتسلمه رئاسة الشافعية أولاً في أعقاب وفاة ابن عساكر في ٦٢١هـ/١٢٢٤م، و بعد شهرته شيخاً للإسلام .

## العز بن عبد السلام في المصادر التاريخية

إن التراجم المتوفرة عن العز بن عبد السلام تجمع دون اختلاف على أن ابن عبد السلام كان أحد كبار الأئمة الشافعيين الكبار في الدولة الأيوبية الذين تمتعوا بمنزلة شيخ الإسلام دون أدنى شك ، اذ نجد جميع التراجم التي خصصت له تبدأ ديباجة الترجمة بشيخ الإسلام ، ولا يشذ عن ذلك أحد ا بتداءً بتاج الدين السبكي ، مروراً بابن شاكر الكتبي ومصنفين متأخرين من أمثال ابن تغرى بردى وابن العماد الحنبلي ، إذ يجمعوا كلهم على أن العز بن عبد السلام قد صار شيخ الإسلام في الدولة الأيوبية دون منافس من أقرانه الشافعيين – الشاميين أو المصريين ، فعلى سبيل المثال نجد في الترجمة التي خصصها السبكي للعز بن عبد السلام قوله في مدخلها " شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان

---

(١) الحافظ عماد الدين أبو محمد القاسم بن الحافظ الكبير بن عساكر ( ٦١٠هـ/١٢١٣م )، كان شافعياً أشعرياً شديد التورع ، وقد تلمذ له العز في الحديث ، وتأثر به في اتجاهه الاشعري .
ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٨٥ .

(٢) هو القاضي عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ، أبو القاسم الأنصاري بن الحرستاني (٥٢٠-٦١٤هـ/١١٢٢م . ١٢١٥م ) قاضي القضاة بدمشق ، اشتهر بتقواه وورعه وزهده ، يقول عنه العز "ما رأيت أحداً افقه من ابن الحرستاني ."
ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ص ٧٧-٧٨ .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله أبو المنصور الدمشقي ( ٥٥٥ – ٦٢٠هـ/١١٦٠ـ١٢٢٣م ) شيخ الشافعية فيها كان إماماً في الفقه عارفاً بالتواريخ ، زاهداً في الدنيا ، وقد أخذ عنه العز الفقه .
ينظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص١٠١ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي ( ٥٥٠-٦٣١هـ/١١٥٥.١٢٣٤م ) ، شيخ عصره في الأصول والمنطق وعلم الكلام ، ولد في مدينة آمد ، وتوفي في دمشق . قرأ عليه العز الأصول والمنطق وعلم الكلام وقال عنه "ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه كأنه يخطب " ، وقال عنه أيضاً " ما علمنا قواعد البحث إلا من سيف الدين الآمدي " .
ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ص ٢٩٣-٢٩٤ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٣٠٦-٣٠٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ص ١٤٠-١٤١ .

العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة " [١] ، كذلك في الترجمة التي خصصها ابن شاكر الكتبي التي يتحدث فيها عن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام بقوله " ..... ، شيخ الإسلام وبقية الأعلام ... " [٢] . وفي كلا الترجمتين لابن تغرى بردى التي تعتمد على أبي شامة المقدسي[٣] ولابن العماد نجد إشارات مشابهة ، فبينما يشير إليه ابن تغرى بردى على انه الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام يشير إليه ابن العماد " شيخ الإسلام الأمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء " [٤].

كما يلقب العز بن عبد السلام بسلطان العلماء ، وهو لقب خصه به ابن دقيق العيد [٥] ، في إشارةٍ الى نفوذه ومكانته بين العلماء .

ومع ذلك فالسؤال الذي يطرح نفسه هو : كيف حصل ابن عبد السلام على منزلة شيخ الإسلام وهي لم تتوفر إلا لقلة قليلة من علماء العصر و فقهائه ؟ إن الدلالات المتوفرة في المصادر تشير إلى أن هذه التسمية ذات صلة بسيرته العلمية التي وضعته في رياسة العلم والمذهب والوظائف الإدارية والدينية التي شغلها في الشام ومصر . وفيما يأتي توضيح لهذين الأمرين :

فبالنسبة لسيرته العلمية لدينا كثير من النصوص التي تشيد بالتحصيل العلمي للعز ونبوغه في شتى المجالات العلمية إذ تحدث عنه الكتبي فقال انه " ... ، قرأ الأصول والعربية ، ودَّرس و أفتى وصنف ، وبرع في المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به الأئمة ، وله الفتاوي السديدة " [٦] . أما ابن العماد فقال عنه، "انه كان عالماً بفنون كثيرة من العلم ، فدرس علوم القرآن ، والحديث والعربية حتى برع فيها وفاق الأقران في التفسير والحديث والفقه " [٧] . في حين قال عنه ابن تغرى بردى انه " تفقه على الأمام فخر الرازي ... وقرأ الأصول والعربية ، ودرس وأفتى وصنف ... " [٨] .

---

[١] طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٠٩ .

[٢] فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٣٥٠ .

[٣] النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٢٠٨ ، وانظر أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص٢١٦ .

[٤] شذرات الذهب ، م٥ ، ص٣٠١ .

[٥] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢١٠ .

[٦] فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٣٥١ .

[٧] شذرات الذهب ، م٥ ، ص ص ٣٠١-٣٠٢ .

[٨] النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٢٠٨ .

ويذكر السبكي [1] أثناء ترجمته للعز بن عبد السلام انه تفقه على الشيخ الفخر الرازي كبير المفسرين في عصره ، وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدي وغيره ، وسمع الحديث من الحافظ أبي محمد بن عساكر وغيره .

من هذه النصوص يتضح لنا أن العز بن عبد السلام كان علماً بالفقه والحديث وعلم الأصول وغيرها من العلوم العربية والإسلامية وبالإفتاء ورئاسة العلم فضلاً عن قدرته الخطابية . وهذا الإلمام بهذه العلوم كان وراء شخصيته اللامعة والمهمة التي استحقت تسمية شيخ الإسلام .

أما بالنسبة للأمر الثاني المتعلق بمناصبه الدينية والوظيفية فإننا من خلال استعرا ضنا لمجموع الوظائف والمناصب التي أنيطت به ، نستطيع تثمين الأهمية والمكانة التي احتلها بين أقرانه من العلماء خلال حكم الأيوبيين والمماليك ، وكذلك المكانة التي احتلها في نفوس السلاطين الأيوبيين أنفسهم ، فضلاً عن الشهرة التي حظي بها بين عامة المسلمين .

لقد أنيطت بالعز بن عبد السلام العديد من الوظائف خلال حياته في دمشق والقاهرة وفي مقدمتها وظيفة التدريس التي قام بها في العديد من مدارس دمشق [2] حيث دَرس في الزاوية الغزالية [3] إحدى أهم المدارس الشافعية بدمشق ، إما في القاهرة فقد قام بتدريس الفقه وأصوله في المدرسة الصالحية المسماة باسم السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، فضلاً عن تدريسه التفسير والأصول [4] ، وخلال ذلك تولى إدارة الأوقاف والنظارة لهذه المدارس .

و كذلك تولى منصبي إمامة الصلاة والخطابة في دمشق ، زمن الملك الصالح إسماعيل [5] سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م . التي كانت من امتيازات الشافعية وحقوقهم ، وقد كان ابن عبد السلام أحق الناس

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٠٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٣٥

(٣) الزاوية الغزالية هي إحدى مدارس الشافعية في بلاد الشام وتقع في الزاوية الشمالية الغربية شمالي مشهد عثمان بالجامع الأموي وتعرف بالشيخ نصر المقدسي وهو أول من درس بها ، ودرس بها الكثير من أئمة الشافعية وفقهائها المشهورين . ينظر محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٥، ص٨٥.

(٤) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢١٠ .

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٣٠٢ .

بالإمامة يومئذ بشهادة المؤرخ الكبير أبو شامة المقدسي [١] ، لقدراته اللغوية وجرأته في الكلام وفي انتقاد سياسة الملوك الأيوبيين المتعاونين مع الإفرنج . وقد كان لتوليه منصب – الخطابة – كثير من الحسنات [٢] التي ساهمت في إزالة العديد من بدع الخطباء [٣] . أما في القاهرة فقد ولاه السلطان نجم الدين أيوب خطابة مسجد عمرو بن العاص عند وصوله مصر مهاجراً من بلاد الشام في ٦٣٩هـ/١٢٤١م على أثر خلافه مع سلطان الشام حينئذ الملك الصالح إسماعيل ، الى وقت استقالته بعد احتجاج العز على الصالح إسماعيل بشأن السماح للفرنج بشراء السلاح من أسواق دمشق، كما ولاه إعمار المساجد المهجورة [٤] .

أما الإفتاء فقد قصده الناس من كل مكان للحصول منه على فتاوى شرعية لكثير من المسائل التي تعترضهم ، وكتاباه الفتاوى الموصلية ، والفتاوى المصرية [٥] خير دليل على باعه الطويل في هذا المجال .

---

يقول أبو شامة ، وفي العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ تولى الخطابة بدمشق أحق الناس بالإمامة يومئذ ، الشيخ الفقيه عز الدين بن عبد السلام السلمي مفتي الشام يومئذ . ينظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥، ص٣٠٢ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٣٥١ .

[١] الذيل على الروضتين ، ص١٧٠ .

[٢] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢١٠ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٣٠٢ .

[٣] من الحسنات التي تنسب الى العز بن عبد السلام في هذا المجال إجتنابه بعض العادات التي كان الخطباء قد اعتادوا عليها منها انه لم يلبس سواداً ولم يسجع خطبه ، بالإضافة الى انه كان يجتنب الثناء على الملوك .
ومن حسناته أيضاً انه ابطل صلاة النصف من شعبان في المسجد ، وكذلك أبطل صلاة الرغائب وهي اثنا عشرة ركعة بين العشائين أول خميس من رجب ، وأول من صلى صلاة الرغائب رجل يسمى ابن الحي سنة ٤٤٨هـ في بيت المقدس . وقد قال بعدم صحتها –فضلاً عن العز بن عبد السلام – العديد من العلماء ، منهم ابن الجوزي ، والنووي ، وأبو شامة والصرافي . وكذلك ابن الصلاح إلا انه تخلى عن قوله هذا فيما بعد .
السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٢٥١–٢٥٥ .

[٤] ابن رافع السلامي : تاريخ علماء بغداد المسمى المنتخب المختار ، ص١٠٥ .

[٥] الفتاوى الموصلية : وتمثل مجموعة الفتاوى التي رد بها على مجموعة أسئلة وردت اليه من الموصل ، حين كان في دمشق .
= الفتاوى المصرية : هي مجموعة الفتاوى التي أفتاها في مصر ، وقد ذكرها ابن حجر في كتابه رفع الصر عن قضاة مصر باسم الفتاوى المجموعة ، وذكرها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون باسم فتاوى ابن عبد السلام .فضلاً عن ذلك توجد مؤلفات كثيرة للعز بن عبد السلام منها القواعد ، ومجاز القرآن ، والتفسير ، والإلمام في أدلة الأحكام ، وغيرها من الكتب . للمزيد من التفاصيل حول مؤلفاته وآثاره العلمية ، انظر ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١٣ ،

ومما يجدر ذكره أن العز بن عبد السلام لم يمارس الإفتاء رسمياً في مصر إلا بعد تنحي شيخ المحدثين وأشهر علماء مصر ومفتيها، الشيخ عبد العظيم المنذري[1]،كبير شافعية الوقت(ت : ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) قائلاً " كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين له "[2].

أما منصب القضاء الذي تولاه في مصر مكرها فعلى ما يبدو انه كان يكره مزاولة هذا المنصب . الذي تولى شأنه لكل من قضاء مصر والوجه القبلي مدة غير محددة ، حتى وقت إقرار العزل على نفسه ، من جانب واحد ، في عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، على أثر الخلاف الذي نشب بينه وبين أستاذ داره الأمير فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ ، الذي كان يعود اليه أمر تدبير السلطة حينها ، والذي أراد أن يبني بناءًلطبلخانات عسكره على ظهر أحد المساجد ، تعود لقوة من أمرائه ، فما كان من العز بن عبد السلام إلا أن حكم بإسقاط أهلية الوزير فضلاً عن حكمه بهدم البناء [3] .

---

ص٢٣٥ ؛ اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ( جزءان ، بيروت : مط دار احياء التراث العربي ، بلا.ت ) ، جـ١ ، ص٥٨٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر عن قضاة مصر ، جـ١ ، ص٣٥٠ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ، ص١٣٥٣ ؛ خير الدين الزركلي ، الأعلام ،قاموس تراجم لإشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين الزركلي ،ط٥ ( ٨ مجلدات ، بيروت : مط دار العلم للملايين ، بلا.ت ) م٤ ،صص٢٢.٢١ .

[1] هو زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعيد المنذري ، المحدث والفقيه والمؤرخ الشامي الأصل المصري المولد والدار والوفاة ، ولد في شعبان سنة ٥٨١هـ ، بدأ سماع الحديث وله من العمر عشر سنين بتشجيع من والده ، ولم ينقطع طول حياته عن طلب العلم والتحصيل في شتى العلوم والفنون ، وبصفة خاصة علم الحديث ، إذ رحل من أجل سماعه الى العديد من البلدان الإسلامية حيث مراكز الثقافة والعلم. تولى منصب الإمامة بالمدرسة الصاحبية ، ثم منصب التدريس بالجامع الظافري بالقاهرة ، ثم ولاه الملك الكامل الأيوبي مشيخة دار الحديث الكاملية ، وقد صنف وخرج تخاريج عديدة . توفي في ذي القعدة سنة ٦٥٦هـ ، بعد ان كان قد احتل مكانة عظيمة حتى عَدَّه المؤرخون حافظ عصره دون منازع .

للمزيد من التفاصيل ينظر : زكي الدين المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، م١ ، ص ص ١٩-٢٣ .

[2] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢١١ .

[3] لقد عكست هذه الحادثة المكانة التي احتلها العز بن عبد السلام في أنحاء العالم الإسلامي ، حيث دوت أصداء هذه الفتوى في دار الخلافة نفسها .

للمزيد من التفاصيل عن هذه الحادثة ينظر ،ابن واصل: مفرج الكروب ،م٥، ص ص٣٠٣ ٣٠٤؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ،م٨،ص٢١٠ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٣٥٢ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ص٢٠٨ . ويضيف الدكتور مرتضى النقيب أن الصراع حول موقع للطبلخانة يعود لقوة من أمرائه تقع بمحاذاة إحدى الجوامع ( جامع عمرو بن العاص ) ينظر : مرتضى النقيب : عز الدين بن عبد السلام ، ص٥٢ .

## مواقف شيخ الإسلام العز بن عبد السلام من مشكلات السلطنة الأيوبية

في البداية لابد من أن نشير الى انه لا يمكن الحديث عن العلاقات السياسية لشيخ الإسلام العز بن عبد السلام ومواقفه الجهادية في إطار الحديث عن موقف السلاطين والأمراء الأيوبيين من هذا الجهاد ، او في إطار الحديث عن علاقته مع أمراء وسلاطين المماليك كلاً على حدة ، وذلك لان شيخ الإسلام العز بن عبد السلام يعد شخصية مخضرمة فقد عاصر عدداً كبيراً من أحداث السلطنة الأيوبية ، وكذلك شهد المرحلة الأولى وهي مدة تأسيس دولة المماليك البحرية ، وقد أسهم إسهاماً فعالاً في أحداث الدولتين . ولذلك فسوف نورد في هذا الفصل أهم مواقفه إجمالاً سواء أكان منها ذو علاقة بالشؤون الأيوبية التي تركزت في علاقته مع السلاطين الاشرف موسى والصالح إسماعيل والكامل محمد ثم ابنه نجم الدين أيوب – أو ذو علاقة بالشؤون المملوكية التي تركزت في هذه الحالة مع سلاطين المماليك المظفر قطز أو الظاهر بيبرس [١] .

ولكي يسهل الحديث عن مواقفه ثم تقويمها التقويم الصحيح سوف نتناول هذه المواقف في محورين . الأول مواقفه من الأعداء المرابطين على حدود السلطنة سواء الفرنجة أو المغول فيما بعد ، أما المحور الثاني فسوف نتناول فيه مواقفه في الدفاع عن قضايا تخص الشرع الحنيف والعقيدة الإسلامية، وسنتناول المحور الاخير من جانبين الأول موقفه من الخلاف المذهبي حول بعض المسائل العقائدية المتعلقة بالصفات ، أما الجانب الثاني فسنتناول فيه مواقفه من تجاوزات بعض الأمراء والسلاطين سواء في البيت الأيوبي أو ضمن الإدارة المملوكية .

**المحور الأول : موقف شيخ الإسلام العز بن عبد السلام من الفرنجة والمغول :**

نستطيع القول انه ليس هناك خلاف في أن من أهم الأمور التي تدخل في تكوين شخصية العز بن عبد السلام كشيخاً للإسلام مواقفه الثابتة والشجاعة تجاه أعداء الدولة العربية الإسلامية ، إذ تعد هذه المواقف تجسيداً حياً لجملة آرائه الفقهية وفتاويه باعتباره يمثل رأس المدرسة الشافعية في حينها . وقد

---

[١] عن علاقة العز بن عبد السلام مع كل من سلاطين البيت الايوبي والمملوكي ينظر ، مرتضى النقيب ، عز الدين بن عبد السلام ومواقف من السياسة الأيوبية والمملوكية ( القسم الثاني ) ، مجلة كلية الآداب ، العدد ان ٥٥ و ٥٦ ( بغداد ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ) ص ص ٢٣٥.٢٠٨ و ص ص ٨٥ . ١١٠ .

مارس دوره الجهادي هذا من خلال الوظائف التي شغلها ولاسيما منصبي الخطابة والإفتاء . ومهما يكن الجهد المبذول فلن نستطيع متابعة كل مواقفه المتعلقة بالجهاد إذ لا نكون مبالغين إذا قلنا أن حياة الشيخ العز بن عبد السلام كانت كلها مسخرة للجهاد بشتى الوسائل المتاحة ، و إنما سنحاول التوقف عند بعض هذه المواقف .

أول الأمور التي يمكن التوقف عندها والتي تشير الى الهم الذي كان يحمله العز بن عبد السلام في محاربة الأعداء هو ماا شار أليه السبكي من تدخل شيخ الإسلام العز بن عبد السلام لحسم الخلاف الذي كان قد نشب بين الاشرف موسى وأخيه الكامل محمد ، حيث بدأ السلطان الاشرف يستعد لحرب أخيه الكامل وذلك بإصدار أوامره بحفر نفق تحت الأرض باتجاه مصر . وعندما لاحظ شيخ الإسلام العز بن عبد السلام اشتداد الخلاف على هذا النحو ذهب لزيارة الاشرف موسى وهو على فراش المرض وحادثه في الأمر قائلاً " ... تترك ضرب دهليزك الى أعداء الله و أعداء المسلمين ، وتضربه الى جهة أخيك ! فينقل السلطان دهليزه الى جهة التتار ، ولا تقطع رحمك في هذه ، وتنوي مع الله نصر دينه وإعزاز كلمته ، ... " [1] وهذا النص يشير من ناحية الى مكانة شيخ الإسلام العز بن عبد السلام ، والتي ترقى الى مستوى تدخله للصلح بين سلاطين زمانه ،و يشير من ناحية أخرى الى الهم الذي كان يحمله نحو قضية الجهاد بحيث انه يسعى باستمرار الى تحريك هذه الرغبة لدى السلاطين والأمراء فضلاً عن عامة المسلمين .

الوقفة الثانية في إطار مواقفه الجهادية التي تمحورت من خلالها علاقته بالملك الصالح اسماعيل . هو موقفه الصلب الشجاع من تصرفاته السلبية إزاء قضية الجهاد ضد الصليبيين ، اذ ان السلطان لم يقف في هذا الأمر عند حد التخاذل في جهاد الفرنجة بل تجاوز ذلك الى التحالف معهم حيث استعان بهم في نزاعه مع السلطان الأيوبي في مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فضلاً عن أذنه للصليبيين بالدخول الى دمشق وشراء السلاح من اسواقها . حيث دفع هذا الأمر بشيخ الإسلام العز بن عبد السلام الى التصدي لهذه التصرفات فاصدر فتوى يحرم فيها بيع السلاح للفرنج ، فضلاً عن توقفه عن الدعاء لسلطان الشام على المنبر حسب العادة ، الأمر الذي عرضه لغضب السلطان الصالح

---

[1] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٤٠ .

اسماعيل ، ومن ثم الحبس والتجريد من المناصب [١] ، واخيراً خروجه من دمشق ليبدأ مرحلة جديدة من حياته بعد أن استقربه المقام في القاهرة على اثر انتصار الملك الصالح نجم الدين أيوب على التحالف الذي شكله أمراء البيت الأيوبي في بلاد الشام .

كما أن موقفه في حث الأمراء المماليك على قتال المغول لا يقل أهمية عن المواقف السابقة ، وذلك عندما اجتمع أمراء المماليك بكبار العلماء والقضاة لمعالجة خطر المغول بعد أن تسلموا تهديداً من قبل المغول حيث قام العز بن عبد السلام كعادته في تشجيع الناس وحثهم على الجهاد بقوله " اخرجوا و أنا أضمن لكم على الله النصر " [٢] ومع ان هذا الموقف الذي ينبئ عن رغبة جامحة في الدفع بالأمة لجهاد الأعداء إلا انه تصدى بشجاعة للسلطان عندما أراد أن يجمع الأموال من الرعية بحجة الجهاد [٣] .

ولم يقف الأمر بشيخ الإسلام العز بن عبد السلام في إطار إسهامه في الجهاد بالكلمة فحسب، بل شارك بنفسه في قتال الأعداء ، ويجسد السبكي كعادته عند الحديث عنه دوره في انتصار المسلمين على الفرنجة بعد أن كان النصر في بادئ الأمر للفرنجة عندما احتلوا دمياط سنة ٦٤٧هـ ووصلوا بمراكبهم الى المنصورة فوقف مشيراً الى الريح –كما يقول السبكي- قائلاً يا ريح خذيهم [٤] ، فعادت الريح على المراكب فكسرتها . وكان النصر للمسلمين .

يتضح لنا مما ذكرناه آنفا دور العز بن عبد السلام الجهادي ضمن منزلته شيخاً للإسلام، ومقدماً لطائفته الشافعية الاشعرية ، اذ يشير هذا الدور الى المكانة المهمة التي يحظى بها شيخ الاسلام عند الايوبيين .

**المحور الثاني** الذي تجسدت من خلاله علاقة شيخ الاسلام العز بن عبد السلام بالأمراء والسلاطين هو جملة المواقف التي وقفها في الدفاع عن قضايا الشرع الحنيف ويأتي في مقدمة هذه

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٤٣ .

[٢] المصدر ذاته ، م٨ ، ص٢١٥ .

[٣] وقف العز بن عبد السلام موقفاً قوياً من هذا الأمر إذ طلب من السلطان أن يحضر ما عنده وعند حريمه ، وان يحضر الأمراء ما عندهم وعند حريمهم من الحلي الحرام ، فإذا لم يفي هذا كله بتجهيز الجيش . عند ذلك فقط يستطيع السلطان أن يفرض المكوس على الرعية . انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢١٥ .

[٤] المصدر ذاته ، م٨ ، ص٢١٥ .

القضايا موضوع العقيدة التي كانت وراء المحنة التي تعرض لها في دمشق على أيام نيابة الاشرف موسى للسلطنة ، وقد أظهرت لنا هذه المحنة العز بن عبد السلام شخصية شافعية مهمة وإماماً لا يتهاون في الدفاع عن عقيدته مهما كلفه الأمر . كما ظهر لنا من خلال هذه المحنة أهميته ومكانته وذلك من خلال محاولة جماعة الحنابلة التقليل من هذه المكانة عن طريق إيغار صدر الاشرف موسى عليه ، كما تظهر أهميته ومكانته من جهة نائب السلطنة باهتمامه بتتبع أحداث هذه المحنة والتواصل معه عن طريق تبادل الرسائل ، ولم يستعجل في اتخاذ أمر صارم ضده في البداية على الرغم من غضبه الذي ضعف أمامه معظم العلماء الذين عايشوا هذه المحنة .

إن هذه الأمور التي ذكرناها تجعل من موضوع هذه المحنة أمراً يستحق التوقف عنده ببعض التحليل . فما هذه المحنة وما الأسباب المختلفة التي تقف ورائها ؟

الجواب : إن العز بن عبد السلام باعتباره يمثل مقدم الشافعية في الشام كان على علاقة رسمية بالملك الاشرف موسى الأمر الذي أغاض جماعة الحنابلة في دمشق ، فتقربوا من الاشرف ، واستطاعوا إقناعه بأن القرآن الكريم يتكون من حرف وصوت ، وان هذه هي عقيدة أهل السنة ، وعقيدة احمد بن حنبل ، وان العز بن عبد السلام يخالف ذلك، و يقول بقول الاشعري ، ان الخبز لا يشبع، والماء لا يروي ، والنار لا تحرق . وقد ساعدهم على الوصول الى تحقيق ما أرادوه غياب العز بن عبد السلام المستمر عن مجلس السلطان الاشرف مما هيأ لهم الأجواء المناسبة لمتابعة هذا الأمر ، ولم ينقصهم سوى إثبات صحة دعواهم ، فوضعوا فتوى للعز بن عبد السلام في هذا الشأن ، فأجاب عنها بصراحة على الرغم من علمه بغرضهم من ورائها [١] . وعندما أخذ الحنابلة هذه الفتوى وأوصلوها الى السلطان الملك الاشرف موسى ازداد غضبه ، وكان في حضرته عند قراءته لها جماعة من العلماء لم يسعهم أمام غضبه الا إقرار ما اقتنع به من ضلالة العز بن عبد السلام . وتوقع الناس حصول الأذى للعز من السلطان ، الا أن تدخل شيخ المالكية جمال الدين أبي عمرو بن الحاجب المالكي وتوبيخه للعلماء الذين سكتوا عن نصرة العز بن عبد السلام مع علمهم بأحقيته ، وجعلهم يوافقون على آراء العز ويرون سلامة عقيدته . عند ذلك التمس العز بن عبد السلام من السلطان أن يعقد مجلساً للشافعية والحنابلة ، ويحضره المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين .

---

[١] ينظر نص الفتوى في تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٢١٩ . ٢٢٩ .

ثم خاطب السلطان قائلاً " الذي نعتقد في السلطان انه إذا ظهر له الحق يرجع أليه ، وانه يعاقب من موه الباطل عليه ، وهو أولى الناس بموافقة والده السلطان الملك العادل ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، فانه عزر جماعةً من أعيان الحنابلة للمبتدعة تعزيراً بليغاً رادعاً ، وبدع بهم وأهانهم " .

إلا أن السلطان الاشرف موسى ردَّ على هذا الالتماس برسالة [1] أكد فيها إصراره على موقفه تجاه العز . وقد ردَّ العز على رسالة السلطان برسالة [2] طويلة بين له سلامة موقفه وان الفتيا التي وقعت في هذه القضية يوافق عليها علماء المسلمين من الشافعية والمالكية والحنفية والفضلاء من الحنابلة . وقد كان الرد قوياً بليغاً بحيث ان أحد الحاضرين عند الشيخ ابن عبد السلام – حال تسلمه الرسالة والرد عليها – وهو أحد العلماء ، وممن يحضر مجلس السلطان – كما يقول السبكي – قد وقف مبهوراً وقد عبر عما شاهده من صلابة العز وتمكنه بقوله " لو كانت هذه الرقعة التي وصلت إليك وصلت الى قس بن ساعده لعجز عن الجواب وعدم الصواب ، ولكن هذا تأييد الهي "[3]. وعندما وصلت هذه الرسالة الى السلطان عظم غضبه ، وأرسل أستاذ داره الى العز بن عبد السلام – وكان من محبي الشيخ والمعتقدين بكراماته – وأمره ان يشترط عليه ثلاثة شروط وهي انه لا يفتي ولا يجتمع بأحد وان يلزم بيته [4]. ففرح العز بن عبد السلام بهذه الشروط ، واستمر على هذه الحال ثلاثة أيام حتى تدخل الشيخ العلامة جمال الدين الحصيري شيخ الحنفية في زمانه وكان ذو هيبة عند السلطان ، وذهب لمقابلته فقال له السلطان يرسُم الشيخ ونحن نمتثل مرسومه ، فقال له : أيش بينك وبين ابن عبد السلام وهذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا كان ينبغي للسلطان أن يسعى في حلوله في بلاده ، لتتم بركته عليه وعلى بلاده ، ويفتخر به على سائر الملوك [5]. وظل يقنعه بأن عقيدته هي عقيدة المسلمين الصحيحة حتى اقتنع السلطان وقال " نحن نستغفر الله مما جرى، ونستدرك الفارط في حقه ، والله لأجعلنه أغنى العلماء " [6] . وعمل على تهدئة الفتنة الى ان جاء السلطان الكامل محمد من مصر وكان قد سمع وهو في الديار

---

[1] للاطلاع على رسالة السلطان الأشرف ينظر الملحق رقم (٢).
[2] للاطلاع على رسالة العز بن عبد السلام ....ينظر الملحق رقم (٣).
[3] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٣٤ .
[4] المصدر ذاته ، م٨ ، ص٢٣٥ .
[5] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٣٧ .
[6] المصدر ذاته ، م٨ ، ص٢٣٧ .

المصرية ما جرى في دمشق في هذه المسألة فانتصر للعز بن عبد السلام ووبخ أخاه السلطان الاشرف .[1]

من خلال أحداث هذه المحنة يتبين لنا مكانة العز في مجتمع العلماء في مدينة دمشق بحيث كان يشكل مرتكزاً مهماً لمعظم الأحداث في هذه المدينة . كما أن اهتمام العلماء الحنابلة بإقصائه عن دائرة اهتمام نائب السلطنة في دمشق الاشرف موسى، ثم إقصائه من وظائفه يشير الى خطورة الدور الذي كان يقوم به من خلال هذه الوظائف كما يشير الى مدى احترام السلطان وتقديره له و إلا لما بذل جماعة الحنابلة كل هذا الجهد المضني في سبيل وأد هذه العلاقة وهذه المكانة التي نالها العز بن عبد السلام ،والتي يؤكدها أيضاً موقف السلطان الكامل محمد الإيجابي تجاه العز بن عبد السلام . كما تشير هذه المحنة من جانب آخر الى استعداد شيخ الإسلام العز بن عبد السلام للجهاد في سبيل عقيدته والتضحية بكل ما يملك بحيث انه تعرض لغضب السلطان وأقصاه من وظائفه ، ومنعه من مقابلة الناس ، وكان بإمكانه أن يقدم بعض التنازلات أو حتى يقتصر على حضور مجلس السلطان كما يفعل معظم العلماء ، ويتودد إليه . إلا انه آثر اتخاذ المواقف الثابتة والمستقلة مهما كانت التضحيات .

ومن المواقف الأخرى التي تخص دفاعه عن قضايا الشرع الحنيف نقتصر على حادثتين الأولى هو موقفه من تخاذل السلطان الصالح نجم الدين ايوب تجاه تصرفات الأستاذ معين الدين ابن شيخ الشيوخ ( ت: ٦٤١هـ/١٢٤٤م ) عندما عزم على بناء طبلخانة على ظهر أحد المساجد وذلك في ذي القعدة سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٣م . حيث أصر على منعه من البناء ، ثم عزل نفسه من منصب القضاء طوعاً ، ومن جانب واحد ، الأمر الذي أدى الى غضب السلطان الصالح نجم الدين ايوب اذ أصدر أوامره بإقالة العز بن عبد السلام من الخطابة والإمامة رسمياً [2] .

الموقف الثاني والذي يدخل أيضاً ضمن منزلته كشيخ للإسلام هو المتمثل بفتواه المتعلقة بوجوب بيع الأمراء الأتراك علناً في حالة محاولة حصولهم على التحرر والانعتاق ، التي أدخلته في نزاع ضارٍ

---

[1] المصدر ذاته ، م٨ ، ص ص ٢٣٨-٢٣٩ .

[2] المصدر ذاته ، م٨ ، ص٢١٠ .

معهم كاد أن يودي بحياته واستمر تصميمه على هذه الفتوى حتى خضع الأمراء الأتراك للأمر الواقع ، وتم بيعهم في المزاد [١] .

في الأخير نقول إن كل هذه المواقف الثابتة والشجاعة تؤكد على انه لم يكن إطلاق لقب شيخ الإسلامعلى العز بن عبد السلام أمراً عفوياً أو مزاجياً بل تجسيداً لهذه المواقف وللدور الذي أداه . كما أن اهتمام السلاطين والأمراء الأيوبيين والمماليك بالعز بن عبد السلام رغم كل هذه المواقف يؤكد أيضاً على هذه المنزلة التي تمتع بها . كما يؤكد على حرص السلاطين الدائم على ضمه الى جانبهم لما يشكله تواجده خارج الدائرة التي يريدونها من تهديد مستمر لمعظم توجهاتهم السياسية التي فيها منافاة لبعض توجيهات الشرع الحنيف ، وهذا ما عبر عنه الظاهر بيبرس عندما رأى جنازة شيخ الإسلام العز بن عبد السلام بقوله " اليوم استقر أمري في الملك لان هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك مني " [٢] .

## العز بن عبد السلام و منزلة شيخ الإسلام

من هنا فان العز بن عبد السلام اشتهر بمنزلة شيخ الإسلام على نحو ما تجمع التراجم التي تتوفر عنه في المصادر ، بالرغم من أننا لا نعرف متى استحق هذه المنزلة وتمتع بها بين أئمة الفقهاء الأيوبيين. هل كانت خلال مدة حياته في الشام ، أم مدة مكوثه في مصر بعد رحيله عن الشام في ٦٣٩هـ ، التي يقوم عليها أغلب الظن ، والتي تحققت بعد غياب منافسه ابن الصلاح . فلا

أحد يطعن في إمامته وفي جمعه لرئاسة الدين والدنيا ، فهو من خلال تولي مهمة التدريس في المدرسة الغزالية التي برسمه والتي من خلالها يقوم بتدريس ( الفقه والأصول ) لجماعة الفقهاء الشافعية الذين يدرسون معه ، ومن خلال قيامه بالإفتاء لقضايا المجتمع الإسلامي في الشام ، وفي مصر فيما بعد

[١] هذا الأمر حصل في عهد الظاهر بيبرس إذ وجدت جماعة من الأمراء الأتراك لم يثبت عند العز بن عبد السلام انهم أحرار ، وهذا يترتب عليه كثير من قضايا الشرع ،مثل عقود الزواج والبيع والشراء والامتلاك ،وغيرها. ينظر السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨، ص٢١٥.

[٢] المصدر ذاته ، م٨ ، ص٢١٥ .

، ومن خلال حلقات الأصحاب الذين يعترفون بإمامته ورئاسته للمذهب الذي يقوم بتمثيلهم في قضايا الدولة المهمة ، كلها وفرت له التمتع باحترام زعماء المدارس الفقهية الأخرى ، وأيضاً التمتع بموقع مهم في البنية السياسية – الأيوبية من حيث احتفاظه بعلاقات جيدة مع السلطان او أشخاص من ملوك البيت الأيوبي . مع انه كان غير موفق مع ملوك البيت الأيوبي الشاميين .، والشهرة والمواقف اللامعة في الدفاع عن الدين الحنيف ضد الأخطار التي كانت تهدد سلطان الإسلام ( بما فيها محاربة أهل البدع) ، كل ذلك أعطى العز بن عبد السلام مواصفات شخصية لا تبارى أهلته للتمتع بهذه المنزلة الدينية الرفيعة .

# شيخ الإسلام الموفق بن قدامه

لا يوجد بين شخصيات الحنابلة الدمشقيين الى ما قبل عصر ابن تيمية أشهر وأكبر منزلة من ابن قدامه المقدسي [1] النابلسي الأصل الذي انتهت إليه زعامة المذهب الحنبلي خلال سنوات الحكم الأخيرة التي عاشها صلاح الدين وأخيه العادل سيف الدين . وقد جاءت هذه الشهرة والأهمية من كونه كان مقدم طائفة الحنابلة المتنفذة في المجتمع السياسي الأيوبي بدمشق و أحد أعلام الدين في العلم والمناظرة وإمامته المعتمدة في الفقه وأصوله وفي مسائل الخلاف والفرائض بين الحنابلة ، فضلاً عن كثرة العبادة والزهد[2]. وخير ما يؤيد ذلك هو ما وصفه به أحد معاصريه- الشيخ عبد الله اليونيني[1] – بقوله "

---

[1] هو الشيخ ( موفق الدين ابو محمد ) عبد الله بن احمد بن محمد بن احمد بن قدامة الجماعيلي – نسبة الى جماعيل قرية من أعمال نابلس في فلسطين – الدمشقي الصالحي الحنبلي . ولد بجماعيل في شعبان سنة ٥٤١هـ – الموافق ١١٤٦م . رحل الى دمشق مع أبيه وأخيه سنة ٥٥١ هـ/١١٥٦م ، قادماً من القدس تحت ضغط ظلم الصليبيين فيها للمسلمين، وأقام في دمشق ثم رحل الى بغداد وسمع فيها من كثير من المشايخ منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني ، حيث أقام في مدرسته ، فقرأ عليه من الخرقي ، وتفقه في بغداد على مذهب الإمام احمد بن حنبل ، وقد انتهت اليه معرفة المذهب وأصوله بعد أن برع وفاق أقرانه وحاز قصب السبق . وقد رحل الى بغداد مرتين الأولى في ٥٦١هـ/١١٦٦م والثانية في ٥٦٧ هـ/١١٧٢م وذلك لغرض السماع على كبار شيوخها ، وكذلك رحل الى مكة المكرمة والموصل . وقد كان ابن قدامة متفنناً متبحراً في العلوم كبير القدر إماما في الأصول والفقه ، والنحو ، والحساب ، والنجوم السيارة . توفي في دمشق يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ – ١٢٢٣م ، ودفن في سفح جبل قاسيون .

للمزيد من التفاصيل انظر : سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ٩ ، ص ص ٦٦–٦٧ ؛ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص ص ١٣٩ – ١٤٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٢ ، ص١٦٥ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٨ ، ص ص ١٥٨–١٥٩ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات، ط٢( طهران : د.مط ، ١٩٦١م) ص ص ١٥ – ١٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ص ٩٩–١٠٠ ؛ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد بن رجب ( ٧٣٦ــ ٧٩٥هـ ) ، الذيل على طبقات الحنابلة ،وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقيه ( جزئين ، القاهرة : مط السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م) جـ٢ ، ص١٣٣ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص ص ٤٧–٤٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص٢٥٦ ؛ اسماعيل باشا البغدادي ، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون من اسامي الكتب والفنون( جزءان ، بيروت : مط دار إحياء التراث العربي، بلا. ت ) ، جـ١ ، ص ص ٧٠ ، ٥٤٤ ، جـ٢ ، ص ص ٢٤١ ، ٥٨٩ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب ، م٥ ، ص ص ٨٨–٩٢ ؛ عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ٦ ، ص٣٠ ؛ مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ( أنشئت ١٣٣٣هـ–١٩٢١م ) ط١ ، مجلة ٢٦ ( ١٩٥١/١/١م – ٢٢ ربيع أول ١٣٧٠هـ ) : العمدة في الفقه الحنبلي لابن قدامة .

[2] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص ص ١٣٤–١٣٥ .

وقـد رأيـت مـن كـرم أخلاقـه وحسـن عشـرته ، ووفـرة حلمـه ، وكثـرة علمـه وغزير فطنته ، ما قد عجز عنه كبار الأولياء " [٢] ، مما أهله أن يصبح من أهل العلم المشهورين في بلاد الشام .

## علومه ومعارفه

ينتمي ابن قدامة الى بيت المقادسة التي اهتم أفرادها بطلب العلم ، حتى برعوا فيه ، وحازوا مرتبة عالية بين طالبيه .ومن هنا كان لابد لابن قدامة من أن ينهج نهجاً علمياً منذ صغره ، حيث بدأت رحلته العلمية بهجرته مع أسرته الى دمشق ( سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ) إحدى مراكز الحنابلة المهمة حيث قرأ القرآن فيها وسمع الحديث ثم قام بالعديد من الرحلات العلمية ، اذ زار العديد من عواصم العلم في حينها كالموصل وبغداد ، و التقى كبار شيوخها [٣] كعبد القادر الجيلاني وابن الجوزي وابن غنيمة ، وتتلمذ على أيديهم ونهل من علومهم في مختلف فروع المعرفة .

ونظراً لذكاء ابن قدامة وحرصه ومثابرته فقد استطاع ان يستوعب علوماً شرعية كثيرة استفاد منها و أفاد فيها وكان له فيها الباع الطويل ،بل واصبح إماماً فيها، وقد جاءت كثرة تصانيفه [٤] ، فضلاً عن

---

[١] هو أبو عثمان بن عبد العزيز بن جعفر الزاهد الكبير . اصله من قرية من قرى بعلبك يقال لها يونين . كان مهيباً كثير الجهاد لم يترك غزوة في الشام إلا حضرها . وكان الأمجد صاحب بعلبك يزوره فكان يهينه ويقول له يا أمجد أنت تظلم وتفعل وهو يعتذر اليه . توفي سنة ٦١٧هـ/١٢١٩م . ودفن في سفح جبل قاسيون . ينظر ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ،ص ص٧٣-٦٥.

[٢] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص١٣٧ .

[٣] تلمذ موفق الدين ابن قدامة لكثير من الشيوخ ،في العديد من المدن ، ففي بغداد حضر عند الشيخ عبد القادر الجيلاني أربعين يوماً قبل وفاته ،ثم سمع فيها للعديد من مشايخها منهم :هبة الله بن الحسن القاق ، و الشيخ أبى الفتح بن البطي ،والشيخ أبي زرعة بن طاهر ،والشيخ أحمد بن المقرب ، وخديجة النهروانية ، ونفيسة البزاز،وشهدة الكاتبة. وتلا بحرف نافع على أبى الحسن البطائحي ، و بحرف أبى عمرو على أستاذه أبي الفتح بن المني ، وغيرهم . كما سمع بدمشق من أبى المكارم بن هلال وغيره، وبالموصل من خطيبها أبى الفضل الطوسي، و بمكة من المبارك بن الطباخ . ينظر : الذهبي ، سير إعلام النبلاء ،جـ٢٢ ، ص١٦٦ ؛ ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢،ص ص ١٣٣-١٣٤.

[٤] لموفق الدين ابن قدامة كثير من المصنفات المهمة في مختلف العلوم ، منها ما لم يصل الينا الا اسماً ، وما وصل إلينا منه المطبوع ومنه المخطوط الذي ما زال في انتظار أقلام المحققين وجهودهم . وقد أورد الأستاذ عمر رضا

كثرة تلامذته [١] . شهادة على هذا التفوق يضاف اليها شهادة الكثير من مشايخ العلم من أقرانه أو معاصريه أو اللاحقين لهم . ومن هؤلاء المشايخ على سبيل المثال الشيخ عمر بن الحاجب - أحد شيوخ الحنابلة الدمشقيين حينذاك – حيث يقول عنه انه جمع في شخصه من بين رجالات المدرسة الحنبلية بالفضل الوافر والخاطر الماطر والعلم الكامل [٢]. وفيما يخص اهتماماته النقلية والعقلية يقول: فأما الحديث فهو سابق فرسانه ، و أما الفقه فهو فارس ميدانه [٣] . كما يتحدث الحافظ الضياء عن هذا التفوق فيقول كان إماماً في التفسير وفي الحديث ومشكلاته ، إماماً في الفقه بل أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف ، أوحدفي الفرائض ، إماماً في أصول الفقه ، إماماً في النحو والحساب والأنجم السيارة والمنازل [٤] . كما يقول الفقيه الحنبلي – المفتي في بغداد – أبو بكر بن غنيمة ، مشيراً الى رسوخ قدمه في الفقه انه ما عرف أحداً في زمانه أدرك درجة الاجتهاد الا

---

كحالة من تصانيفه : البرهان في علوم القرآن ، والمغنى في شرح الخرقي في عشر مجلدات، والتبيين في انساب القرشيين، مجلد ، والروضة في الأصول .

ومن كتبه المطبوعة : كتاب التوابين وهو في الزهد والتصوف . أما في علم الكلام والجدل فله كتاب تحريم النظر في كتب أهل الكلام ، وكتاب في ذم التأويل ، وكتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي ، وكتاب لمعة الاعتقاد والهادي الى سبيل الرشاد ، واثبات صفة العلو ، وأخيراً عقيدة الإمام موفق .

أما في الفقه فقد طبع له كتاب ذم الموَّسوسين ، والعمدة في فقه الحنابلة ، والكافي في فقه الحنابلة ، والمغني في الفقه وهو شرح لكتاب مختصر الخرقي في عشر مجلدات ، ثم كتاب المقنع وهو مجلد واحد ، وطبع له في السير والتاريخ كتاب الاستبصار في نسب الصحابة من الانصار ، ثم كتاب التبيين في انساب القرشيين .

للمزيد من التفاصيل ينظر : الكتبي فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص١٥٩ ؛ ابن رجب ، طبقات الحنابلة جـ٢ ، ص ص ١٣٩-١٤٠ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٩٠ ؛ عمر كحالة ، معجم المؤلفين، جـ٦ ، ص٣٠.

[١] من تلامذته الذين حدثوا عنه / البهاء عبد الرحمن ، والجمال ابو موسى بن الحافظ ، وابن الخليل والضياء، وأبو شامة ، وابن النجار ، وابن عبد الدائم ، و ابن الصيرفي ، والعز إبراهيم بن عبد الله ، والفخر علي ، والتقي ابن الواسطي ، والشمس بن الكمال ، والتاج عبد الخالق ، والعماد بن بدران ، وزينب بنت الواسطي ، والتقي أحمد بن مؤمن كان يروى عنه بالحضور أحاديث وكان عالم أهل الشام في زمانه .

ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٦٧ .

[٢] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص١٣٦ .

[٣] المصدر ذاته ، جـ٢، ص١٣٦.

[٤] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٦٩ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص١٥٩ .

الموفق [١] ، وفي الاتجاه نفسه ترد شهادة أبي العباس بن تيمية حول منزلته الفقهية بين فقهاء الشام الى حد القول أن الشام لم تشهد بعد الاوزاعي أفقه من الموفق بن قدامة [٢] ، وهناك أيضاً شهادة كل من شيخي الإسلام فيما بعد أبو عمرو بن الصلاح والعز بن عبد السلام له فالأول أثنى على ابن قدامة وقال " ما رأيت مثل الشيخ الموفق " [٣] ، هكذا توضيحاً لعلو مرتبته في العلوم ، والآخر في الثناء على قدرته في العلم ، والإفتاء متمثلاً بكتابه ( المغنى ) علماً بانه كان يسامي الشيخ العز بن عبد السلام في زمانه ، على ما يرى ابن العماد [٤] .

من هذه النصوص يتبين لنا همة شيخ الإسلام ابن قدامة ومثابرته وسفره في طلب العلم وحصوله على رياسة العلم عند الحنابلة الدمشقيين ومشيخة الحديث والإفتاء ، فضلاً عن المصنفات القيمة في العلوم المختلفة .

## عقيدته وموقفه من علم الكلام

يمثل رأي ابن قدامة في الصفات موقف الحنابلة في العقائد على نحو ما يذكر أبو شامة المقدسي [٥] ، وهو موقف يعترض عليه علماء أهل ألسنه جميعهم من غير الحنابلة . ففي مسائل الصفات يرى وجوب الإقرار وا لإمرار لما جاء في الكتاب والسنة منها من غير تغيير ولا تكييف ولا تمثيل [٦] . ويؤكد هذا التوجه الشيخ عبد الله اليونيني الذي ينقل على لسان ابن قدامة ان التشبيه مستحيل لان من شروط التشبيه ان نرى الشيء ثم نشبهه ، و من الذي رأى الله ثم شبهه لنا ؟ .

---

[١] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص١٣٦ .

[٢] المصدر ذاته ، جـ٢ ، ص١٣٦ .

[٣] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٩٠ .

[٤] المصدر ذاته ، م٥ ، ص٩١ : " مع انه كان يسامي الشيخ في زمانه " .

[٥] ابن العماد : شذرات الذهب ، م٥ ، ص٨٨ . كلامه فيما يتعلق في مسائل الصفات والكلام هو على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه ، ويظهر رأي الحنابلة في الصفات أيضاً من خلال رأي ابن قدامة في كتبه صفة العلو ولمحة الاعتقاد ، حيث يقول فيهما بصراحة " ان الله تعالى في السماء ، وانه تعالى فوق العرش فوق السموات " كما يقول " يجب ألا نصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه ، ويجب أن نؤمن بأحاديث الصفات ، ونصدق بها ، لا كيف ولا معنى ، ولا نرد شيئاً منها " .

[٦] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٧٠ .

أما بالنسبة لموضوع علم الكلام فلم يكن ابن قدامة من فئة المتكلمين ولا من مؤيدي الخوض في هذا العلم، وذلك لغلبة الحديث عليه ، وهذا ما نراه بوضوح من خلال كتابه الموسوم بـ" الروضة". الذي تناول فيه الرد على القائلين بالكلام النفسي . لأنه يعتقد أن الاشتغال بهذا العلم ( بدعة ) لايجوز الخوض فيه . كما أن من كتبه الأخرى التي تنحو هذا المنحى كتاب بعنوان" تحريم النظر في كتب أهل الكلام " . وهي وجهة نظر المحدثين الكلاسيكية بشأن الأصوليين ومواقفهم الكلامية .

## وظائف ابن قدامة الدينية والتعليمية

جمع ابن قدامة خلال عمله الطويل بدمشق ممثلاً للحنابلة بين وظائف التدريس ورياسة العلم والمذهب والحديث ، وفي إمامة الصلاة والإفتاء ، وجاء هذا نتيجة لتفوقه في الفقه والحديث والتفسير والعلوم الأخرى . واصبح أهم شخصية دينية في دمشق خلال الربع الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، لا توازيه مكانة سوى مكانة شيخ الشافعية لوقته الحافظ فخر الدين ابن عساكر. كانت وظيفته الأساسية هي تدريس الفقه وأصوله ، حيث أقام مدة بعمل حلقة يوم الجمعة في جامع دمشق ، يناظر فيها بعد الصلاة ، وكان يشتغل عليه الناس من بكرة الى ارتفاع النهار ، ثم يقرأ عليه بعد الظهر [١] . وقد تخرج عليه الكثير من الطلبة ، إلا انه مما يجلب الانتباه انه بالرغم من هذه الشهرة الكبيرة التي اقترنت باسمه ، إلا أن اسمه لم يرتبط بالتدريس في أي مدرسة شخصية تخصه ، او دار للحديث تحمل اسمه .

أما العمل الآخر الذي كان يشغله فهو إمامة الصلاة ، حيث لم يكن يؤم الحنابلة عند حضوره أحد غيره ، فقد كان هو إمامهم بالجامع الأموي بدمشق [٢] ، شراكة في البداية ، ثم مستقلاً بنفسه [٣] .

أما بالنسبة للوظيفة الثالثة التي مارسها في حياته فهي الإفتاء ، فقد كان مفتياً ناجحاً ، حيث كان الموفق ذو باع طويل في الفقه والحديث الأمر الذي جعله أيضاً ذا باع طويل في الإفتاء ، وقد شهد له بذلك العديد من شخصيات الحنابلة وغير الحنابلة سواء ، من ذلك قول مقدم الحنابلة عمرو بن الحاجب

---

[١] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص١٣٧ .

[٢] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٦٧ .

[٣] كان بعد موت أخيه ، ياؤم بالجامع المظفري ،ويخطب الجمعة إذا حضر ، فضلاً عن إمامته بالناس إذا مضى إلى جبل قاسيون . ينظر ، ابن رجب ، الذيل ، جـ٢ ، ص١٣٥ .

أن ابن قدامة اعرف الناس بالفتيا [١]. وقول مفتى بغداد ابن غنيمه الحنبلي انه ما عرف أحد في زمانه أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق [٢] . وكذلك قال عنه المفتى أبو عبيد الله عثمان بن عبد الرحمن الشافعي انه ما رأى مثله ، كان مؤيداً في فتاويه [٣]. وفيما يخص شيخ الشافعية – الاشعرية – في الشام العز بن عبد السلام فقد أثنى على قدرته في الإفتاء ، وعلى قيمة كتابه المغنى باعتباره مرجعاً مهماً لهذه المسألة حتى انه لم تطب نفسه بالفتيا حتى صار عنده نسخة من المغنى [٤].

## خصوصيات ابن قدامة في منزلة شيخ الإسلام

حظي موفق الدين بن قدامة بمكانة كبيرة لدى المعاصرين واللاحقين من العلماء وقد تحدث الكثير منهم عن سيرته وعلمه و إسهاماته بعبارات تحمل الكثير من المعاني المعبرة عن تلك المكانة . فمن أوائل الذين تحدثوا عن ابن قدامة على سبيل المثال –عمرو بن الحاجب المذكور آنفاً حيث وصفه بأنه إمام الأئمة ومفتي الأمة [٥] . كما أشاد به مؤرخ الشام سبط ابن الجوزي ، و أبدى إعجابا شديداً به، إذ كانت تربطه به وبأخيه (المظفر) صداقة حميمة كانت تنسيه آلآم غربته –على حد تعبيره– [٦] . كما سماه ابن تغرى بردى شيخ الحنابلة وإمام المسلمين [٧] . أما الحافظ شمس الدين فقد طول ترجمته الى سبع ورقات، ، ويشير إليه في مدخل ترجمته باسم " الشيخ الإمام العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين " [٨] . كما يؤكد الكتبي هذه المنزلة وينعته بلقب شيخ الإسلام[٩]. ويعدّ ابن رجب على رأس المهتمين بتراجم الحنابلة من خلال مصنفه ذيل طبقات الحنابلة ، حيث يشير في بسملة ترجمته عن ابن

---

[١] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص١٣٥ .

[٢] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٦٩ .

[٣] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٢، ص ١٦٩ .

[٤] الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، م٢٢ ، ص١٦٨ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٩١ .
وبالإضافة الى كتاب المغنى وكتب أخرى في نفس الاتجاه ، فقد كان له الكثير من الفتاوى والمسائل الشخصية التي تفرد بها . عن هذه الفتاوى ينظر ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ص ص ١٤٤–١٤٩ .

[٥] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص١٣٥ .

[٦] المصدر ذاته ،جـ٢،ص١٣٥. حيث قال عنه سبط ابن الجوزي : " شاهدت من الشيخ أبو عمر وأخيه الموفق ونسيبه العماد ما نرويه عن الصحابة والأولياء والأفراد بحيث أنساني حالهم أهلي و أوطاني " .

[٧] ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص٢٥٧ .

[٨] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٦٥ .

[٩] وفات الوفيات ، جـ٢ ، ص١٥٨ .

قدامة بأنه الفقيه الزاهد الإمام شيخ الإسلام ، وأحد الأعلام ، وبأنه صاحب الكرامات الكثيرة التي تشتهر بها سيرته ، ومنزلته بين أعلام العصر [١] . وكمثال أخير على نيل ابن قدامة لهذه التسمية نجد ابن العماد الحنبلي في كتابه الشذرات يستخدم هذه التسمية مع ابن قدامة أكثر من مرة ، في مناسبات مختلفة [٢].

من اجل ذلك ، نجد تودد بعض الملوك الأيوبيين الى ابن قدامه والتقرب إليه من أجل تمشية سياساتهم الداخلية والتقرب عن طريقه الى العامة، من ذلك على سبيل المثال التودد الكبير الذي كان يظهره الملك العزيز ابن السلطان العادل ، الى ابن قدامة [٣] . ومثل هذا التودد ليس بغريب من جانب عناصر البيت الأيوبي ، فالدولة الأيوبية هي دولة جهادية ، فهناك خطر فرنج الساحل على حدودها وفرنج الداخل يطمعون في استعادة القدس من العرب المسلمين بعد استعادة صلاح الدين لها ، ومثل هذا التحدي كان يوجب على شيخ الإسلام ابن قدامة أن يؤدي دوره في تعبئة العامة و الحث على الجهاد ودعم السلاطين المجاهدين والانتقاص من بعض النفر من ملوك البيت الأيوبي من المتعاونين مع العدو الافرنجي ، الذي يعبر عن دعم للسلطنة الأيوبية وسياستها سلطان زمانه الملك الكامل محمد في توحيد المسلمين ضد الفرنج .

ماينبغي الإشارة إليه هنا أن القضايا السياسية لا تعيرها كتب تراجم الحنابلة أهميتها المطلوبة لأنها تهتم عادة في التراجم التي تغطيها ، بمآثر المترجم له ومناقبه العلمية والدينية والجهادية دون اهتمام بذكر مسمياتها وتفاصيلها . فضلاً عن ذلك فان الظروف التي أحاطت بالشيخ موفق الدين بن قدامة ساهمت في توجهه نحو العلم كما أسهمت في عزوفه عن حب السياسة والمناصب المرتبطة بها ، والتي لا يظهر من خلالها إلا بالقدر الذي يطلب عنده خدمة الإسلام والمسلمين ، كما هي الحال مع منصب الإفتاء الذي يعدّ الأكثر صلة بالسلطة من غيره من المناصب الدينية والشرعية الأخرى .

ومع ذلك لا يخلو الأمر من بعض الإشارات الى حضوره في ساحات القتال واهتمامه بالجهاد من ذلك ما ينقله الذهبي عن معاصره البهاء حيث يصفه بالشجاعة ومما ذكره قوله " كان يتقدم الى العدو حتى جرح في كفه وكان يرمي العدو " [٤] . وفي الاتجاه نفسه اورد أبو شامة رسالة وجهها عبد الله بن احمد المقدسي الى بغداد –وكان مقيماً بعسقلان – ، وقد أورد هذه الرسالة أيضاً

---

[١] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص ص ١٣٤،١٣٥ .

[٢] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٥٤ .

[٣] المصدر ذاته ، م٥ ، ص٨٩ .

[٤] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٧١ .

ابن واصل [1] ، وهي الرسالة التي وصف فيها موقعة حطين الشهيرة ( ٥٨٣ هـ / ١١٨٦م) ، الأمر الذي يشير جملةً الى ان ابن قدامة المقدسي لم يكن مجرد جندي عادي في المعركة فحسب ، بل كان أحد المهتمين بتفاصيل سير المعارك وهذا الأمر يوحي لنا بأن هناك ثمة عبئ كبير ملقى على عاتق ابن قدامة في مسيرة الجهاد الإسلامي ، خارج مسيرته العلمية .

[1] أبو شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين ،جـ٣،ص ٢٩٧ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ،في اخبار بنى أيوب ، جـ٣ ، ص ٣٢٧.

# شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات ابن تيمية

## سيرته الذاتية والعلمية

مجد الدين [1] ابن تيمية الحراني [2] إحدى الشخصيات الحنبلية المهمة التي عاشت في كنف الدولة الأيوبية خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وهو جد الشخصية الشهيرة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني [3].

---

[1] هو عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم عبد الله الخضر بن محمد بن علي بن تيمية الحراني الفقيه ، ولد سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٤م تقريباً في حران وتربى فيها يتيماً وحفظ القرآن في صغره ، وارتحل في طلب العلم الى أن صار من أعيان العلماء ، وصار شيخ بلده والمقدم في المذهب ودّرس و أفتى وصنف. الى أن توفي يوم عيد الفطر بعد صلاة الجمعة من سنة ٦٥٢هـ ، بحران ، ودفن بظاهرها .
للمزيد من التفاصيل ينظر :
ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص ص ٢٤٩-٢٥٤ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص ص ٣٢٣-٣٢٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢٩١ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد، ط٢ ( الكويت :مطبعة حكومة الكويت ،١٩٤٨م) ، جـ٥ ، ص٢١٢ ؛ الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، تح : بشار عواد معروف، شعيب الارناؤوط ، صالح مهدي عباس ، ط١(جزئين ، بيروت ، مط مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤ ) جـ٢ ، ص٦٥٣ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٣٣ ؛ برهان الدين إبراهيم بن محمد ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام احمد ( ت ٨٨٤هـ ) ، ، تح : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط ١ (٣ أجزاء ، الرياض : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع / ١٩٩٠ م) ، جـ٢ ، ص١٦٢ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، م٣ ، ص٢٥٧ ؛ البغدادي : إيضاح المكنون ، جـ٢ ، ص٥٧٠.

[2] ينتسب شيخ الإسلام مجد الدين الى تيمية وهو لقب اشتهر به من بعده ابنه شهاب الدين وكذلك حفيده الشهير تقي الدين ابن تيمية ، وتوجد روايتان عن أصل هذه التسمية ودلالاتها . ينظر ابن عبد الهادي ، العقود الدرية تح : محمد حامد الفقي ، (مط دار الكتاب العربي ، بلا.ت ) ، ص ١٨؛ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ،الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تح :نجم عبد الرحمن خلف ، ط١ ( بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٦م ) ، ص٥٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣،ص ٢٩٨ .

[3] **حران** :- مدينة تاريخية مهمة من مدن المشرق الأيوبي ، أخذت شهرتها التاريخية من جملة أمور لعل من أهمها انتماءكثير من العلماء إليها ، خصوصاً أسرة ابن تيمية ، كما اشتهرت بديانة الصابئة . ينظر :- شهاب الدين ياقوت ابي عبد الله الحموي الرومي البغدادي ( ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان (٥ أجزاء ، بيروت : مط دار صادر ، ١٩٥٧ م) ، جـ٢ ، ص٢٣٥ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : مادة حران ، م٧ ، ص٣٥٤ ؛ ليدي دراوور ، الصابئة المندائيون ، تر : نعيم بدوي ، ط٢ ( بغداد : د. مط ، ١٩٨٧م ) ، ص١٦ ؛ وعن الصابئة ودينهم ينظر ابن كثير ، تفسير ابن كثير ( ٤ اجزاء، بيروت :مط دار الفكر ، ١٤٠١هـ )جـ١ ، ص١٠٤.

يأخذ مجد الدين بن تيمية مكانته وأهميته عند كثير ممن ترجم له من مصنفي كتب التراجم والوفيات – سواء كان ذلك يضم النفر ممن أفرد له ترجمة خاصة أو أولئك الذين تناولوا ترجمته في ثنايا ترجمات أخرى خصوصاً ترجمة حفيده شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية – من جملة أمور لعل من أهمها المكانة الرفيعة التي احتلها مجد الدين بين أقرانه في محيط المذهب الحنبلي الذي ينتمي اليه، حيث يشير الى هذه المكانة الإمام الشوكاني ( ت:١٢٥٠هـ) بقوله انه كان " ... علامة عصره المجتهد المطلق شيخ الحنابلة ... " [١] .

كذلك تأتي هذه الأهمية من مكانته العلمية وإمامته في العلم بين حنابلة الشام ، والمصنفات الكثيرة التي صنفها في حقول الفقه والحديث والتفسير [٢] . وتوجد عدة أقوال تشيد بإمامته في العلم وتفوقه على أقرانه ، حيث يتبين لنا من خلالها[٣]أن مجد الدين بن تيمية كان إماماً بارعاً في الفقه وأصوله ، وانه كان ذو ذكاء مفرط لا يبارى، فلم يكن في زمانه مثله ، على حد قول الذهبي ، وقد حصل في نهاية المطاف على الإمامة في الفقه الحنبلي [٤] .

---

[١] صديق بن حسن القنوجي ( ١٢٤٨-١٣٠٧ هـ) ، التاج المكلل من مآثر الطراز الاخر والاول تح : عبد الحكيم شرف الدين ( بيروت ، دار اقراء ، ١٩٨٣م ) جـ٣ ، ص١٥٢ ؛ كما يشير الى ذلك صاحب كتاب المقصد الأرشد ، أثناء حديثه عن ابنه عبد الحليم فيقول " وصار شيخ للبلد بعد والده " . ينظر : برهان الدين إبراهيم ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، جـ٢ ، ص٦٦ .

[٢] من مصنفات مجد الدين بن تيمية كتاب " أطراف أحاديث التفسير " ثم كتاب " المنتقى من أحاديث الأحكام " وهو كتاب انتقاه من الأحكام الكبرى . ثم المحرر في الفقة " منتهى الغاية في شرح الهداية " بيض منه أربع مجلدات كبار الى أوائل الحج ، والباقي لم يبيضه ، أيضاً لديه " مسودة في أصول الفقه مجلد ، وزاد فيها ابنه عبد الحليم ، ثم حفيده تقي الدين ، و " مسودة " في العربية على نمط المسودة في الأصول . وعلى كتابه المنتق شرح للشيخ القاضي العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني .

ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، جـ٢٣ ، ص٢٩١ ؛ ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة، جـ٢ ، ص٢٥٢؛ ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٣٢٤ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ٢ ، ص١٨١٦ .

[٣] ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٣٢٤ . ونص العبارة هي " ...وبالجملة كان إماماً بارعاً في الفقه والحديث وله يد طولى في التفسير ومعرفة تامة في الفصول والاطلاع على مذاهب الناس ، وله ذكاء مفرط ولم يكن في زمانه مثله" .ثم يقول عنه " ... تفقه وبرع واشتغل وصنف التصانيف وانتهت اليه الإمامة في الفقه ".

[٤] ومما يذكر في تفوقه في الفقه ما كان يردده حفيده ابو العباس بقوله كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول " ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداوود الحديد " ، وقد أكد الشيخ نجم الدين بن حمدان مصنف الرعاية على تبحره في العلوم بقوله " كنت أطالع على درس الشيخ المجد، وما أبقى ممكناً ، فإذا حضرت الدرس، أتى الشيخ بأشياء كثيرة لا أعرفها "ينظر :– الذهبي،سير أعلام النبلاء، جـ٢٣،ص٢٩١؛ ابن رجب،الذيل على طبقات الحنابلة،جـ٢،ص٢٥١.

كما اكتسب شهرة كبيرة عند الحنابلة البغداديين [١] خلال إقامته عندهم بين السنوات ٦٠٣-٦٠٩هـ ، وعودته اليها للمرة الثانية ، ومروره بها في طريقة الى الحج في آخر عمره.

## رحلاته في طلب العلم

تولى مجد الدين بن تيمية التدريس في المدرسة النورية الشهيرة بعد ابن عمه سيف الدين عبد الغني ، كما حدّث في أماكن مختلفة كالحجاز والعراق والشام ، فضلاً عن بلده حران [٢] . وقد تلمذ له العديد من العلماء [٣] ، الذين نبغوا في مختلف العلوم، وكان لهم وجود ملحوظ في شتى مناحي الحياة. كما كان له باع طويل في الإفتاء . كما أن له فتاوى تفرد بها [٤].

إن هذا الدور الذي اضطلع به مجد الدين بن تيميه قد تحقق له – كما يشير المؤرخون – من خلال مواهبه الخاصة التي منحهُ إياها الخالق( سبحانه وتعالى) والمتمثلة بالمستوى العالي من الذكاء والفطنة وقوة الذاكرة التي كانت السر وراء تحصيله لكل أنواع العلوم التي اشتهر بها وعلى نحو ما تؤكد

---

[١] يقول الذهبي : إن مجد الدين بن تيمية عندما ذهب الى الحج عن طريق بغداد اجتمع به الصاحب العلامة أستاذ دار الخلافة ببغداد محي الدين بن الجوزي ، وقد انبهر به وقال هذا الرجل ما عندنا ببغداد مثله . ويذكر انه التمس منه البقاء ببغداد إلا انه أصر على العودة متحججاً بالأهل . ينظر:- سير أعلام النبلاء،جـ٢٣ ،ص ٢٩٢.

[٢] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص٢٥١ .

[٣] من الذين تلمذوا لمجد الدين بن تيميه ، ابنه شهاب الدين ، والحافظ عبد المؤمن الدمياطي ، و الأمين ابن شقير الحراني ، والعفيف إسحاق الآمدي ، والشيخ نور الدين البصري، وغيرهم. كما انه قد أجاز للعديد من الطلبة منهم ، تقي الدين سليمان بن حمزة الحاكم ، وزينب بنت الكمال ، واحمد بن علي الجزري . ينظر ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص٢٥٣ .

[٤] من ذلك كما يذكر حفيده تقي الدين بن تيميه انه كان يفتي أحياناً ( إن الطلاق الثلاث المجموعة إنما تقع طلقة واحدة فقط، ويضيف انه كان يفتي بذلك سراً ) . ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ،ص ص ٢٥٣-٢٥٤.

جميع التراجم التي خصصت له [١] . كما يشير حفيده تقي الدين بن تيميه الى مقدرة جده مجد الدين في حفظ الأحاديث وسردها بلا كلفة ، وفي حفظ مذاهب الناس [٢] .

## مجد الدين بن تيميه ومنزلة شيخ الإسلام

لقد حظي ابن تيميه بمكانة مهمة ومنزلة علمية واجتماعية رفيعة بين أقرانه من الحنابلة ، فقد برع حتى أصبح المقدم بينهم ، وهذا القول نجد صداه عند الكثير من المشايخ في أثناء الحديث عن الشيخ مجد الدين بن تيميه، فهذا مثلاً الحافظ عز الدين الشريف يقول " ... ، وكان من أعيان العلماء ، وأكابر الفضلاء ببلده " [٣] ، وقال عنه الذهبي " كان الشيخ مجد الدين معدوم النظير في زمانه ، ... ، واشتهر اسمه ، وَبعُدَ صيته ، وكان فرد زمانه في معرفة المذهب ، مفرط الذكاء ، متين الديانة ، كبير الشأن " [٤] .

إن هذه الشهرة والمنزلة قد جعلت لقب شيخ الإسلام مقترناً باسمه عند الكثير ممن ترجم له ولاسيما الحنابلة وعلى رأسهم ابن رجب إذ يقول عنه في بسملة ترجمته " ... ، شيخ الإسلام ، وفقيه الوقت ، وأحد الأعلام " [٥] . كما ينعته بهذا اللقب أيضاً ابن شاكر الكتبي [٦] بقوله " ... ، الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات ابن تيميه الحراني ، ... " . وكذلك السيوطي عندما يترجم في طبقات

---

[١] من ذلك ما يذكر عنه عندما كان في بغداد لغرض خدمة ابن عمه ، وكان يسمعه يكرر مسائل الخلاف ، ثم يسأله ماذا حفظ ، فيقول حفظت الدرس ، ويعرضه عليه في الحال ، فبهت الفخر أسماعيل ، وقال لابن عمه : هذا يجي منه شيء . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢٩١ ، ومن ذلك أيضا ما يحكيه الشيخ المراني أنه اجتمع بالشيخ المجد فأورد نكتة عليه ، فقال المجد :الجواب عنها من ستين وجهاً – وقيل مائة وجه – الأول كذا ، والثاني كذا ، وسردها الى آخرها ، ثم قال للبرهان : قد رضينا منك بإعادة الأجوبة ، فخضع وانبهر . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٣٢٤ .

[٢] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٢٩١ .

[٣] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص٢٥١ .

[٤] المصدر ذاته ،جـ٢ ، ص٢٥٢ .

[٥] المصدر ذاته ،جـ٢ ، ص٢٤٩ .

[٦] الكتبي ، فوات الوفيات والذيل عليها ، جـ٢ ، ص٣٢٣ .

الحفاظ لحفيده تقي الدين نجده يسرد نسبه فيقول " شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن المفتي شهاب الدين بن عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين " [1].

والخلاصة إن الشيوخ الأربعة ابن الصلاح والعز بن عبد السلام وموفق الدين ابن قدامة ومجد الدين بن تيميه ،يمكن تقسيمهم على فئتين ، الفئة الأولى تضم كلاً من ابن الصلاح والعز بن عبد السلام حيث تجمعهم العديد من الصفات المشتركة ، منها انتماؤهم الى مدرسة الإمام الشافعي (رض) فضلاً عن اسهامهم العلمي الذي تميزا به على مستوى التدريس والإفتاء ، فضلاً عن الفتاوي السياسية التي ربطتهم بالسلاطين والملوك من أبناء البيت الأيوبي ( والمملوكي فيما يخص العز بن عبد السلام ) والتي من خلالها أدى كل منهما دوراً مهماً في قضايا الأمة الخاصة بالجهاد ضد الفرنج والمغول أو أعداء الدين في الداخل . إلا أن الشيء الأساس الذي يميز كلاً منهما عن الآخر انتماء الأول الى جماعة المحدثين حيث أدى دوره السياسي والاجتماعي من خلالهم ، في حين ينتمي الآخر وهو العز بن عبد السلام الى جماعة المتكلمين الاشاعرة حيث احتل مكانة بارزة ومهمة بينهم ، ضمن قوة الاشاعرة في المدرسة الشافعية .

أما الفئة الثانية فتضم كلاً من موفق الدين بن قدامه المقدسي ، و مجد الدين بن تيميه ، والسمة المشتركة بينهما تتمثل في أن كليهما من اتباع مدرسة الإمام أحمد بن حنبل (رض) بعقيدة مدرسته الكلامية المخالفة للأشاعرة ، فضلاً عن أن كلاً منهما احتل مكانة متميزة في هذه المدرسة من حيث التدريس والتبحر في العلوم الشرعية ، والإفتاء .

لكن الشيء الذي يجمع الشيوخ الأربعة المذكورين آنفا هو انهم دون غيرهم من كثير من شيوخ المذاهب وأئمة لمساجد تمتعوا بمنزلة شيخ الإسلام ، وهم دون الكثير من غيرهم أيضاً تقدمهم مصادر الطبقات بصفة شيخ الإسلام .

فما يجمع هؤلاء الأربعة بصفة شيخ الإسلام - كما أسلفنا - انهم جميعاً قد اسهموا بشكل واسع في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية في الدولة الأيوبية ، فهم كما رأينا ، قد تولوا التدريس في المدارس الموقوفة عليهم من قبل رجال البيت الأيوبي مثل المدرسة الرواحية والمدرسة الشبلية والمدرسة

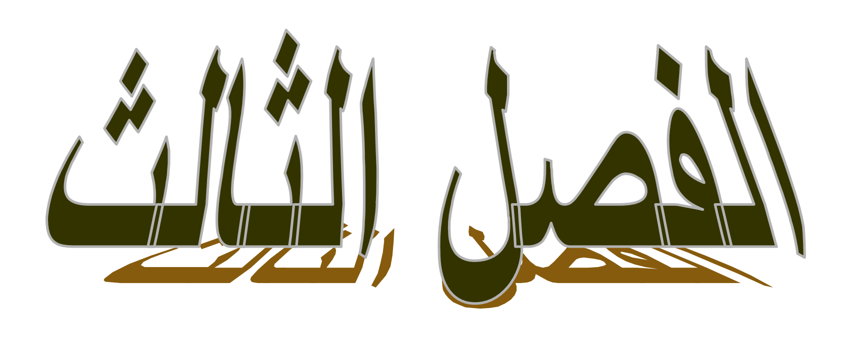
---

[1] السيوطي ، طبقات الحفاظ ، جـ١ ، ص٥٢٠ .

الصالحية وغيرها ، وبالنظر الى أهمية الدور الذي تضطلع به المدارس في حينها ضمن حرب الجهاد في الداخل والخارج يتبين لنا المنزلة التي احتلها هؤلاء الشيوخ لدى السلاطين والملوك الأيوبيين .

ومن الصفات التى تجمعهم أيضاً ان كلاً منهم قد تمتع بزعامة المدرسة التي ينتمي إليها ، من حيث انه المقدم على شيوخ مدرسته و ممثلهم عند الدولة بقدر الأمور التي تخص هذه المدرسة، فضلاً عن تميزهم بالمقدرة الفائقة على الإفتاء مقدمين الفتاوى السديدة في قضايا المجتمع المهمة مثل الجهاد ومسائل الرق والطلاق وغيرها . وقد احتفظت لنا المصادر بالكثير من النصوص التي تعكس حالات المواقف الصلبة والشجاعة التي تميز بها شيوخ الإسلام في ذودهم عن الدين ومحاربة البدع .

أما ما مدى تمتع هؤلاء الأربعة بمنزلة ما في الدولة بين رجال الدولة الرسميين من السلاطين والوزراء والأمراء ، فلم يكن لهؤلاء جميعاً أية دائرة وظيفية رسمية باسم شيخ الإسلام ، ناهيك عن وجود مؤسسة أصلاً ، من حيث انه كان مثلاً يأتي في المرتبة بعد السلطان أو الوزير ، أو أصحاب الوظائف العسكرية والإدارية الأخرى للسلطنة ، مع انه كان يتمتع عن طريق الجهاد والإفتاء التي يتميز بهما ، بمنزلة شبه رسمية في حضور احتفالات السلطنة ، وتعيين ولاة العهد ، والمشاركة في احتفالات النصر على الفرنج والمغول .




# شيوخ الإسلام عند المماليك البحرية

## مقدمــة في الدولة المملوكية الأولى

تعد دولة المماليك [١] البحرية [٢] ( ٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م ) امتداداً للدولة الأيوبية في كثير من أنظمتها العسكرية والإدارية والمالية و بشكل خاص في طابعها الجهادي الذي أخذت شرعيتها منه ومن إحيائها الخلافة العباسية في القاهرة .

---

[١] يعود المماليك في أصلهم الى مناطق أسيوية وأوربية فمنهم التركي والجركسي والرومي والزنجي والحبشي والفارسي . إذ يقعون في أيدي النخاسة تحت وطأة ظروف مختلفة عادة ما تكون الحروب أهمها . ويتم بيعهم في المدن العربية والإسلامية ، إذ يتسابق السلاطين والأمراء لشرائهم بباهظ الأثمان لاستخدامهم في أمور الدولة المختلفة ، أهمها استخدامهم في تكوين فرق عسكرية خاصة بالسلطان والأمراء .

يعتبر الخلفاء العباسيون خصوصاً المعتصم ( ت:٢٢٧هـ) أول من استخدم المماليك لهذه الأغراض . اما في مصر فأول من استخدم المماليك لهذه الأغراض احمد بن طولون ، ثم الفاطميون من بعده .

عن أصل المماليك ينظر ابن خلدون ، العبروديوان المبتدأ والخبر ( ٧ أجزاء ، بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ١٩٧١ ) ، جـ٥ ، ص٣٧٣ ؛ احمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ( بيروت : دار النهضة ، ١٩٦٩م) ؛ وانظر برنارد لويس " سوريا ومصر " في تاريخ كمبرج للإسلام ( لندن : ١٩٧٤م) م IA، ص ص ٢١٤ ، ٢١٥؛ وانظر ايضاً مارشال هوكسون ، مخاطرات الإسلام ( شيكاغو :مط الجامعة ، ١٩٧٤م) م٢ ، صص٤١٧ . ٤١٨ .

[٢] تنقسم دولة المماليك في مصر ( ٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠م - ١٥١٧م ) لدى المؤرخين الى دولتين :- الدولة الأولى هي ما تعرف باسم دولة المماليك البحرية ( ٦٤٨هـ-٧٨٤هـ / ١٢٥٠م - ١٣٨٢م ) وسموا بالبحرية نسبة الى مقرهم في جزيرة الروضة ، وهم جماعة من المماليك اشتراهم السلطان نجم الدين أيوب ، ومن هنا يطلق عليهم البعض اسم المماليك الصالحية او المماليك النجمية . وقد استطاعت هذه الجماعة بقيادات مثل الأمراء بيبرس واقطاي وقطز ، ان تصبح قوة عسكرية ضارية حققت عن طريق تمثيلها للمماليك السلطانية كثيراً من الإنجازات العسكرية كان أولها تثبيت الملك الصالح نجم الدين أيوب في السلطنة ، ثم دورها في محاربة الصليبيين حيث تجسد هذا الدور في صد الحملة الصليبية السابعة (٦٤٧هـ/١٢٥٠م) عن مصر ،في أثناء حكم السلطان نجم الدين وابنه توران شاه . ثم دفعها شعورها بالقوة أمام ضعف الحكام الايوبيين متمثلاً بتوران شاه الى استقلالها تماماً وتأسيسها للدولة المملوكية .

الدولة المملوكية الثانية هي دولة المماليك الجراكسة ( ٧٨٤هـ - ٩٢٣هـ / ١٣٨٢م - ١٥١٧م ) ويطلق عليها المؤرخون هذاالاسم لان أصل ملوكها من الجنس الجركسي مع انها تمثل امتداداً كاملاً لدولة المماليك الأولى في كل مظاهرها وانتهت هذه الدولة على يد الدولة العثمانية أثر هزيمتها في معركة مرج دابق الشهيرة ( ١٥١٧م ) .

للمزيد من التفاصيل ينظر :- ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، الأجزاء ٦ ، ٧ ، ٨ ؛ عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، ط٨ ( القاهرة : د.مط ، ١٩٦٨م ) ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المملوكي في مصر والشام (٤ أجزاء ، القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٩٧٦ ) ؛ انطوان خليل ضومط ، الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ١٤٩٠-١٢٤٢٢ ( القاهرة : مط دار الحداثة ، ١٩٨٠) ؛ عبد المنعم ماجد ، نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر (جزءان ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية

تربع على عرش الدولة المملوكية الأولى أربعة وعشرون سلطاناً [1] ، ابتداءًبالملك المعز " عزالدين ايبك " التركماني [2] ، وخلفه ابنه الملك الصغير المنصور علي ، الذي لم يكن مؤهلاً لادارة

=

، ١٩٥٣م ) ؛ علي ابراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية، ط٣ ( القاهرة :مط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م) ؛علي ابرهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر بوجه خاص ، ط٢ ( القاهرة : مط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م) ؛ نيقولا زيادة ، دمشق في عصر المماليك ( بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٦٦م) ؛ السير وليم موير ، تاريخ دولة المماليك في مصر،ط ١ (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٤١٥-١٩٩٥) ؛فايد حماد محمد عاشور ،الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي ، ط ا ( طرابلس: جروس برس ، ١٤١٥-١٩٩٥م) عبد الرزاق ذنون جاسم ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين المماليك وبلاد النوبة ، رسالة ماجستير ( كلية الآداب: جامعة الموصل ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ؛ مصطفى زياده : بعض ملاحظات في تاريخ المماليك البحرية ، مجلة كلية الآداب ، مج ٤ ، ج١ ( القاهرة : ١٩٣٦م) .

[1] وهم على وفق توالي سنوات حكمهم :- ١- الملك المعز " عز الدين أيبك " ( ٦٤٨-٦٥٥هـ / ١٢٥٠-١٢٥٧م) ٢- المنصور علي " نور الدين بن المعز " ( ٦٥٥-٦٥٧هـ / ١٢٥٧-١٢٥٩م ) ، ٣- المظفر " سيف الدين قطز " ( ٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م ) ، ٤- الظاهر " ركن الدين بيبرس " ( ٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م ) وهو المؤسس الحقيقي للدولة ، ٥- السعيد " أبو المعالي محمد " ( ٦٧٦-٦٧٨هـ / ١٢٧٧-١٢٧٩م ) ، ٦- العادل " سيف الدين سلامش " ( ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م ) ، ٧- المنصور " سيف الدين قلاوون " ( ٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م ) ، ٨- الملك الاشرف " صلاح الدين أبيك " ( ٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م ) ، ٩- الناصر محمد بن قلاوون ( ٦٩٣-٦٩٤هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م ) ثم حكم للمرة الثانية والثالثة خلال السنوات ( ٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨م ) و ( ٧٠٩-٧٤١هـ - ١٣٠٩-١٣٤٠م ) فيما شغل فترات عزله كل من ١٠- العادل " كتبغا المنصوري " ( ٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م ) ، ١١- المنصور " حسام الدين لاجين " ( ٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م ) ، ١٢- المظفر " ركن الدين بيبرس " (٧٠٨-٧٠٩هـ / ١٣٠٨-١٣٠٩م )، وبعد الناصر محمد بن قلاوون تولى مقاليد الحكم في السلطنة كل من ١٣- المنصور سيف الدين أبو بكر ( ٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م ) ، ١٤- الاشرف " علاء الدين كجك " ( ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ) ، ١٧- الكامل " شعبان بن الناصر محمد " ( ٧٤٦-٧٤٧هـ / ١٣٤٥-١٣٤٦م ) ، ١٨- المظفر " حاجي بن الناصر محمد " ( ٧٤٧-٧٤٨هـ / ١٣٤٦-١٣٤٧م ) ، ١٩- الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد ( ٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧-١٣٥١م ) وحكم للفترة الثانية من ( ٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦١م ) ، وشغل فترة عزله ٢٠- الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد ( ٧٥٢-٧٥٥هـ / ١٣٥١-١٣٥٤م ) وحكم بعده كل من : ٢١- المنصور " محمد بن المظفر حاجي " (٧٦٢-٧٦٤هـ / ١٣٦١-١٣٦٣م )، ٢٢- الاشرف " شعبان بن حسين " ( ٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٣-١٣٧٦م ) ، ٢٣- المنصور " علي بن شعبان " ( ٧٧٨-٧٨٣هـ / ١٣٧٦-١٣٨١م ) ، ٢٤- الصالح " أمير حاج بن شعبان " ( ٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م ) . للمزيد من التفاصيل ينظر :- محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، جـ١ ، ق١ ، ص ص ٢١-٤٠ .

[2] هو عزالدين أيبك الجاشنكير الصالحي التركماني ، اشترك في تدبير أمور الدولة بعد وفاة سيده الصالح نجم الدين أيوب ، تزوج من ارملته شجرالدر التي تولت أمور البلاد بعد مقتل توران شاه على يد الامير بيبرس ممثل المماليك البحرية ، والتي لم يكن بإمكانها رئاسة العسكر ، وقيادة أمرائه ،رغم تعدد قدراتها ومواهبها ، فأوكلت مهمتها الى سيدها

=

السلطنة التي تقوم على مبدأ تسلطن أقوى أمراء المماليك البحرية من العسكر ، وفي مواجهة الملمات التي كانت تعصف بالعالم العربي ، أهمها احتلال بغداد من العدو الجديد للإسلام المتمثل بجحافل المغول . فخلعه المماليك وولوا مكانه المظفر سيف الدين قطز [١] الذي اقترن اسمه بأول نصر كبير وحاسم للدولة الجديدة على جحافل المغول في عين جالوت [٢] بالقرب من بيسان ( شمال فلسطين)

---

= الجديد عزالدين أيبك الذي تولى مقاليد الحكم في ربيع الآخر سنة ٦٤٨هـ/ . ويعد المعز أيبك واحداً من أمراء البحرية وليس من قياداتها اللامعين ، الذي اختير كحل وسط لمعالجة مسألة من يتولى الحكم في أعقاب التحول من الأيوبيين الى المماليك . يوصف الملك المعز أيبك بكونه حازماً شجاعاً سفاكاً للدماء ، واجه حكمه العديد من المشاكل أهمها مقاومة الايوبيين – الشاميين –متمثلاً بشخص الملك الناصر الايوبي – الذي طالب بمقعد السلطنة الأيوبية السابق مصر ، وقد انتهت جهوده بالهزيمة على يد الملك المعز ، لكن الأخير لم يستطع معالجة المشكلة الأساسية للحكم الجديد المتمثلة في تحدي أمراء البحرية لشخص السلطان الحاكم – الذي لا يرتضون بزعامته لهم – رغم نجاحه في التخلص من أحد زعمائهم وهو فارس الدين أقطاي ، ولاسباب مختلفة وجدت هذه المؤامرات تشجيعاً من لدن زوجته شجر الدر التي دبرت مقتله سنة ( ٦٥٥هـ – ١٢٥٧م ) على اثر علمها بزواجه من بنت حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ . عن سيرته والحوادث الخاصة بعهده ينظر :–

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص ص ٣–١٥ .

[١] أصله من مماليك المعز أيبك وليس من قوة البحرية ، أبلى بلاًءحسناً مع سيده في التصدي للأيوبيين الشاميين ، عندما هاجموا مصر في ٦٤٩هـ وفي مواجهة الأزمات الداخلية ، الا انه انقلب على ابن سيده المنصور علي . وكان يعمل اتابكياً له واستولى على أمور السلطة بحجة ان المنصور ملك حدث ولا يستطيع مواجهة الخطر المغولي الذي يهدد مصر بعد استيلائهم على الشام . وفي عهده تحقق انتصار عين جالوت ، لكن الأمراء البحرية بقيادة الظاهر بيبرس لم يمهلوه كثيراً وقتلوه غدراً أثناء عودته الى القاهرة مزهواً بالنصر ، وذلك في أخريات سنة ( ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ) .

عن الملك المظفر قطز وأسباب الخلاف بينه وبين الظاهر بيبرس ، وتدبير مؤامرة قتله ينظر كل من : فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي ( ٧٥٢هـ / ١٣٥٢م ) ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، تح : جاكلين سوبلة ( دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٧٤ ) ، ص ص ١٢٨–١٢٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص ص ٧٢–٨٤ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، جـ١ ، ص٤٧٥ ؛ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، جـ١ ، ص٢٩ .

[٢] وهي معركة فاصلة حملت في انتصارها الكثير من المعاني العظيمة أهمها انقاذ ما تبقى من دار الإسلام من الوقوع بيد المغول ، الذين استهدفوا القضاء على الاسلام وتصفية قوى المسلمين وحكوماتهم بالتتابع ، فضلاً عن كونها أعادت الأمل للعرب المسلمين والثقة بأنفسهم لتحرير لعراق مجدداً ، بعد ان كانوا فقدوا تلك الثقة أثر احتلال بغداد واحتلال الشام . وانهت الأسطورة القائلة بأن الجيش المغولي قوة لا تقهر . عن معركة عين جالوت ينظر :– كمال الدين عبد الرزاق بن الفوطي ، مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تح : محمد عبد القدوس القاسمي ، جـ٥ ، ق٢ ، ص٥٨٨ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تص: مصطفى جواد ( بغداد : مط الفرات ،١٣٥١هـ) ص٣٤٤ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ( جزءان ، الهند :مط جمعية دائرة المعارف العثمانية ،١٣٦٤–١٣٦٥هـ ) جـ٢ ، ص ص ١٢٣–١٢٤ ؛ القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، جـ٢ ، =

. ثم ارتقى السلطنة بعد قطز الظاهر بيبرس البندقداري ، وهو واحد من أهم واشهر السلاطين الذين حكموا في الدولة المملوكية ، بل يعد في الواقع المؤسس الفعلي لدولة المماليك في مصر الذي يشبه عمله من عدة وجوه ، عمل صلاح الدين وانجازاته، فقد استطاع ان يوطد أركان الدولة أولاً بإحياء الخلافة العباسية مجدداً سنة ( ٦٥٩هـ/١٢٦١م ) وان يوسع من رقعتها بنقل وتثبيت حكم المماليك الى بلاد الشام، وفي محاربة كل من الصليبيين والمغول ، فضلاً عن اسهامه في إنعاش الحركة الفكرية ونصرة الدين الحنيف عن طريق تقريب شيوخ الإسلام والفقهاء للمؤسسة السياسية مثل تاج الدين ابن بنت الاعز (ت : ٦٦٥هـ / ١٢٦٨م ) وشمس الدين ابن خلكان ( ٦٨١هـ / ١٢٨١م ) وابن عبد السلام ( ت: ٦٦١هـ / ١٢٦٣م ) وابن دقيق العيد ( ت :٧٠٢هـ/١٣٠٢م ) ، وغيرهم من الشيوخ والفقهاء والمتصوفة . وقد ولى السلطة بعده لسنتين ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان الذي خلع من قبل الأمير قلاوون الألفي مؤقتاً لصالح أخيه الملك بدر الدين سلامش الذي سرعان ما عزل من قبل قلاوون نفسه ، فقط ليعلن نفسه سلطاناً على البلاد باسم الملك المنصور سيف الدين قلاوون [1] .

---

ص١٠٥ ؛ الامير صالح بن يحيي ، تاريخ بيروت واخبار الأمراء البحتريين من بني العرب ، نشر وتعليق : الاب لويس شيخو اليصوغي ، ط٢ ( بيروت : مط الكاثوليكية ، ١٩٢٢م ) ص٦٥ ؛ محمد بن احمد بن صصرى ، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ، ص ص ١٧٩-١٨٠ ؛ وانظر ايضاً فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ من جنكيز خان الى هولاكو خان (القاهرة : مط دار العلم ، ١٩٦٠م) ؛ محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ص ١٦١-١٦٩.

[1] هو سيف الدين قلاوون الألفي نسبة الى المبلغ الذي بيع به في سوق الرقيق ، ثم العلاني نسبة الى سيده الأمير علاء الدين آق سنقر ، ثم الصالحي النجمي نسبة الى السلطان – الملك الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب . نال حريته وترقى في الطباق حتى صار اتابكياً ثم سلطاناً ، وقد تابع سياسة بيبرس في محاربة الفرنج ثم المغول ، وله أعمال عمرانية وخيرية كثيرة أهمها البيمارستان المنصوري في القاهرة وهو عبارة عن مستشفى عام لكثير من الأمراض،فضلاً عن مدرسة طبية ، تميز هذا المستشفى عن غيره بأن كان الاستطباب مجاناً للفقراء . توفي الملك المنصور سنة ( ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ) بعد ان حكم ما يقرب إحدى عشرة سنة . للمزيد من التفاصيل ينظر :- محيي الدين عبد الظاهر ( ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م ) ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ( : مط الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦١م) ؛ الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص ص ١٢٩-١٣١ ؛ جميل حرب محمود حسين ، المنصور سيف الدين قلاوون ( سيرته ، حروبه ، علاقاته

الخارجية " دراسة تاريخية " ) ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م ) ؛ عن مصادره ينظر قمر الزمان يوسف ، السلطان المملوكي في مصر ، قلاوون " ٦٧٨-٦٨٩هـ " ، مجلة دراسات تاريخية ،بيت الحكمة ، صص١٢١ـ١٢٨ ؛ ينظر ايضاً انترنت ، المنصور قلاوون عند المؤرخيين

اما من وجهة أعماله في الحكم ، فلايقل السلطان قلاوون أهمية بالنسبة لإنجازات السلطنة عن مؤسس الدولة السلطان الراحل الظاهر بيبرس، فمن خصوصيات عهده لعقد من الزمن التوسع في الخارطة الجغرافية السياسية للسلطنة–عن طريق مواصلة الحملات العسكرية ضد الفرنج والمغول– واستقرارها سياسياً –بعد حوادث التمرد في بلاد الشام من قبل الامير الكبير سنقر الاشقر ، وازدياد نموها الحضاري ، خصوصاً ما يتعلق بالحياة الفكرية ، إذ عاصر مدة حكمه كثيراً من الفقهاء والعلماء الكبار الذين شغلوا للدولة الوظائف الدينية والتعليمية والإدارية ، ونبغوا في مجالات العلوم الدينية المختلفة . فضلاً عن ذلك فقداحتل سيف الدين قلاوون مكانةً وأهميةً خاصةً في تاريخ الدولة المملوكية لنجاحه بتحويل السلطنة وحصرها بأسرته مباشرةً ، إذ تولى لسلطة منها أربعة عشر ملكاً . ويعدّ إبنه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[1] أكثر أولاد الأسرة شهرة، وأطول سلاطين المماليك حكماً

---

= WWW. Islamoncine . net /Arabic / history / 1422 / 07 / article 21. SHTMR –66K . وعن مجموعة السلطان قلاوون ( البيمارستان –القبة–المدرسة ) ينظر WWW.al-eman. com / monwat/Islamicplaces/Qalawoon asp-69k.

(1) الناصر محمد بن قلاوون تولى مقعد السلطنة ثلاث مرات ، كانت الأولى سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م بعد مقتل أخيه الملك الاشرف خليل محرر عكا من الصليبيين، وكان صغر سنه قد شجع امراء الخاصكية والمماليك السلطانية على خلعه، ثم أعادوه الى الحكم بأستدعائه من الكرك للمرة الثانية سنة ( ٦٩٨هـ – ٧٠٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٨م ) ، ومن أهم الاحداث خلال مدة حكمه الثانية هي مهاجمة المغول لبلاد الشام ، بقيادة سلطانهم غازان حيث انتصروا على جيوش الناصر في سلميه ( ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩هـ/١٢٩٩م) فاضطر أهل دمشق وعلمائها لطلب الآمان من غازان . الا ان الناصر خرج مرة ثانية في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وصحب معه الخليفة المستكفي بالله وقضاة مصر الأربعة ، وانتصر على التتار في شقحب سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م . وبعد تحقيق النصر عاد الى القاهرة فوجد ان الأمير بيبرس الجاشنكير قد افسد عليه السلطنة فخرج من مصر بحجة الحج وفي الكرج خلع نفسه من السلطنة وتولى بيبرس السلطنة ، لكن سياسة بيبرس في ملاحقة نواب الناصر أدت الى التفافهم مجدداً حول زعامة سيدهم الناصر فنصبوه مجدداً بمبايعة الخليفة المستكفي بالله ، وذلك سنة ٧٠٩هـ/١٣١٢م لتبدأ فترة حكمه الثالثة التي استمرت حتى سنة ( ٧٤١هـ/١٣٤٠م ) ، وكان من أهم القرارات التي اتخذها هي إلغاء نيابة السلطنة . تميز عصره وبالذات الفترة الثالثة من حكمه بالاستقرار حيث هابه الاعداء ، ولم يجرأوا . بعد الانتصارات التي شهدها مفتتح القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي . على مهاجمة البلاد . كما نشطت الحركة الفكرية فضلاً عن نهضة ادارية وعمرانية واسعة. للمزيد من التفاصيل حول الناصر محمد بن قلاوون ، والنهضة الفكرية في عهده ينظر : أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري : الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تح : هانس روبرت روجر ، ( القاهرة : مصادر تاريخ مصر الإسلامية يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، ( ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ) ؛ رونالد لتل ،دراسة هيستريوغرافية عن المصادر الخاصة بشخص الناصر بعنوان An introduction to Mamluk Historiography ( )

=

بتولي السلطنة . ويأتي في المرتبة الثالثة منزلةً بعد قلاوون الألفي والظاهر بيبرس ، والى هذا العهد ينتمي شيخ الإسلام لدى جماعة الحنابلة تقي الدين ابن تيميه .

وقد حكم من أولاد الناصر محمد ثمانية سلاطين ، جميعهم لم يحتلوا نفس المكانة التي احتلها والدهم . وكان آخر السلاطين في الدولة المملوكية الأولى هو الصالح أمير حاج بن شعبان حيث انتقلت السلطة في عهده الى الجنس الجركسي عن طريق الظاهر برقوق أول سلاطين الدولة الجركسية .

ما يميز عصر المماليك هو ذلك النشاط الذي شهدته الحركة الفكرية فضلاً عن النهضة الإدارية والعمرانية الواسعة . والنمو الهائل للمجتمع الشامي المصري ومدنه خلال حكم هؤلاء المماليك في كل من القاهرة والقدس والكرك ودمشق وحلب ، وهي مراكز حضرية شهيرة ، كانت القيادة فيها لممثلي المؤسسة الدينية وعلى رأسهم شيوخ الإسلام كل من محيى الدين النووي ، وابن دقيق العيد ، وتقي الدين بن تيمية.

وفيما يأتي تحليل لعمل هؤلاء الشيوخ وسيرتهم في ضوء العلاقة القائمة بين المؤسسة الدينية من جهة والمؤسسة السياسية للدولة وممثلها السلطان ومجمع الأمراء من جهة أخرى .

=

# شيخ الإسلام محي الدين النووي

## نبذة عن سيرته الذاتية والعلمية

محيى الدين [1]النووي[2] واحد من أربعة شيوخ شافعية اشتهروا بلقب شيخ الإسلام ، وهم كل من ابن الصلاح ، والعز بن عبد السلام ، وابن دقيق العيد ، ومحيي الدين النووي ، ويعدّ هو شخصياً أصغر الشيوخ الاربعة الشافعيين سناً .

بداية ، لا يوجد اختلاف بين المؤرخين في أهلية محيي الدين النووي كشيخ للإسلام من زوايا التخصص في الحديث والفقه والتدريس ورياسة المذهب والإمامة منذ اشتهاره بين أئمة المدرسة الفقهية الشافعية ، والإقرار برياسته للمذهب الشافعي في الشام ، فقد وصفه كثير من العلماء والمصنفين بالعلم والتمكن والتخصص وتعدد المواهب ، فهو – كما يصفه الذهبي – الإمام، الفقيه، الحافظ، الأوحد، القدوه، شيخ الإسلام علم الأولياء [3]. وتابعه السيوطي في هذا الوصف [4] . وبتسمية السبكي ، شيخ الإسلام

---

[1] محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن موسى بن حسن بن حسين بن حزام بن محمد بن جمعة الحراني النووي. كان أبوه مستوطناً بنوى من اعمال حران ، فولد له محيي الدين هناك في المحرم سنة ٦٣١هـ ، وتربى فيها ، حيث عاش مدة صباه عازفاً عن اللهو وميالاً للهدوء والسكينة وقراءة القرآن ومذاكرته. تشير الروايات الى انه كان مبروك الطالع ، موفقاً منذ صغره . ترك بلدة نوى عندما هاجر والده الى دمشق سنة ٦٤٩هـ ، حيث أقام في المدرسة الرواحية احدى مدارس الشافعية ، وأخذ العلم على العديد من المشايخ ، ونبغ فيه حتى علا نجمه وفاق أقرانه . لم يغادر دمشق سوى مرتين ذهبفيهما الى مكة لاداء فريضة الحج ، الا انه غادرها مرةً ثالثة الى بيت المقدس ومنها الى نوى حيث مرض هناك ، وانتقل الى جوار ربه في ١٤ رجب سنة ( ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ) .
للمزيد من التفاصيل عن سيرته ينظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٧٣ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٥ ، ص٣١٢ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٣٩٥ ؛ ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص٢٧٨ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، جـ١ ، ص٥١٣ ؛ صدر كتاب النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تح : علي عبد الحميد ابو الخير ، ط٢ (دمشق: مط دار الفكر ، ١٤١١هـ/١٩٩٩م ) الصفحات خ . ز ؛ الغزالي حرب ، الإمام النووي ، مجلة العربي ، العدد ٤٥ ، ص ص ٢٢-٤٧ .

[2] النووي نسبة الى نوا أو نوى بلفظ جمع نواة التمر وغيره ، بليدة من أعمال حران وقيل هي قصبتها ، وتوجد نوى أخرى وهي من قرى سمرقند على ثلاثة فراسخ منها . ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٣٠٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٧٨ .

[3] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٧٣ ؛ الذهبي ، المعين طبقات المحدثين ، ص٢١٥ .

[4] السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص٥١٣ .

أستاذ المتأخرين،وفيها انه يرقى من هذه الوجهة الى أعلم أهل زمانه[١]. اما بتصريح ابن ناصر فهو يعرف على انه " الحافظ ، القدوة ، الإمام ، شيخ الإسلام [٢] . وفي وصف ابن كثير ، شيخ المذهب كبير الفقهاء في زمانه [٣]. فضلاً عن تمكنه في القرآن والحديث والعبادات وشروحها [٤].

ومن هذه النصوص يتبين ان شيخ الإسلام في المفهوم السائد لدى المصنفين من أهل المذاهب انه كان " الأعلم بين معاصريه من الأقران ، وانه يرقى الى مثابة أستاذهم في العلم والتدريس ، وان اجتماع هذه المؤهلات لديه جعلت من النووي شيخ الإسلام في زمانه بغير شك على رأس مدرسته الفقهية الشافعية . وكانت هذه مؤهلات كبيرة في شخصية النووي ، الذي لم يكن عند وفاته في ٢٤رجب ( ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ) [٥] قد تجاوز خمساً واربعين سنة .

في بادئ الأمر اشتغل النووي عند استقراره بدمشق منذ السنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م معيداً لطلبة الشيخ كمال الدين اسحاق المغربي [٦]ـ احد شيوخ الشافعية المشهورين . ثم مارس التدريس بعد سنة ( ٦٥١هـ / ١٢٥٣م )في المدارس الشامية بدمشق، بصفة النيابة تارةً ، وبالأصالة أخرى ، واستمر في التدريس الى حدود سنة ( ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م ) . حيث تفرغ بعدها للتصنيف في كتب الفقه والمذهب بقية حياته .وقد مارس مهمة التدريس هذه في المدرسة الاقبالية أولاً وهي المنسوبة الى الأمير جمال الدولة

---

(١) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨، ص٣٩٥ .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٣٥٦ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧٩ .

(٤) فقد حفظ القرآن الكريم في صغره ، ويقول النووي عن سيرته ايام صباه انه عندما سافر الى دمشق كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً ، ودرساً في صحيح مسلم ، ودرساً في اللمع لابن جنى ، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السكيت ، ودرساً في التصريف ، ودرساً في أصول الفقه تارة في اللمع لأبي إسحاق وتارة في المنتخب لفخر الدين، ودرساً في اسماء الرجال ، ودرساً في أصول الدين . ويقول كنت " اعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ووضوح عبارة ، وضبطة لغة " .
ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، م٥ ، ص٣٥٥ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧٩ ، لكنه يذكر أيضاً ٧ محرم ٦٧٦هـ تاريخاً لوفاته ، ينظر المصدر ذاته ، جـ١٣ ، ص٢٧٤ .

(٦) ابن العماد : شذرات الذهب ، م٥ ، ص٣٥٥ ، وقد عبر النووي عن ذلك بقوله " ولازمته فأعجب بي وأحبني ، وجعلني أعيد لأكثر جماعته " .

إقبال [1] ( ت : ٦٠٣هـ/١٢٠٥م ) وقد درس فيها نيابة عن قاضي القضاة الشهير شمس الدين بن خلكان ( ت: ٦٨١هـ/١٢٨١م )ثم مارس التدريس نيابة ايضاً في المدرستين الخلفية والركنية المنسوبتين الى كل من فلك الدين بن سليمان ( ت :٥٩٩هـ/١٢٠٢م) [2]، وركن الدين منكورس ( ت:٦٣١هـ/١٢٣٤م)[3]، اما في حالات الأصالة ، فقد تولى التدريس بمشيخة دار الحديث الاشرفية [4]، المنسوبة الى الملك الاشرف موسى ( ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) ، نائب السلطنة بدمشق خلال حكم السلطان الايوبي الملك الكامل محمد ( ت ٦٣٥هـ/١٢٣٨م ) .

اما مصنفاته التي باشر بها في حدود الستين وستمائة فكثيرة ، منها ما أكمله ، ومنها ما لم يكمله ، الأولى تزيد على التسعة [5]، ولا يعرف- كما يقول - ابن كثير في كتب الفقه أحسن منها [6].

ولكن الاعتراف بمحي الدين النووي كشيخ الإسلام ( ضمن المدرسة الفقهية الشافعية ) لا يحمل من وجهة نظر الدولة ، صلاحيات ومسؤولية وظيفية في المجتمع المملوكي الشامي . فبالنسبة للدولة والسلطان ، فلا يوجد لحد الآن ما يشير في مسؤولياته لشيء رسمي يدلل على ان شيخ الإسلام كان وظيفة رسمية لها حقوقها وامتيازاتها ، أولاً ، لان اللقب بحد ذاته لم يكن يمنح من قبل الدولة ومؤسستها الإدارية ، بل الأمر الخاص به وبشخصيته كشيخ للإسلام يأتي دوماً من خلال ممثلي المؤسسة الدينية في المدن الشامية والمصرية التي تضم المدارس الفقهية الأربعة وطبقاتها من أئمة هذه المذاهب ، ومن

---

[1] هو جمال الدولة إقبال خادم السلطان صلاح الدين الايوبي ،وعتيق ست الشام ، والمدرسة المعنية خاصة بالشافعية وهناك مدرسة اقبالية أخرى خاصة بالحنفية ، وكلتا المدرستين في دمشق . ينظر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، جـ١ ، ص١٥٨-١٥٩ ؛ محمد كرد علي ، خطط الشام ، م ٦، ص٧٥ .

[2] فلك الدين سليمان أخو الملك العادل سيف الدين أبو بكر لامه ، وقد ولى النووي هذه المدرسة أيضاً نيابة عن ابن خلكان . ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧٩ ؛ النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، جـ١ ، ص ص ٤٣١-٤٣٢ ؛ محمد كرد علي ، خطط الشام، م٦ ، ص٨٥ .

[3] ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين سليمان ، وقد ناب فيها النووي أيضاً عن شمس الدين بن خلكان . ينظر النعيمي ، الدارس ، جـ١ ، ص٤٣١ ؛ محمد كرد علي ، خطط الشام ، م٦ ، صص٧٨-٧٩ .

[4] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧٩ .

[5] وهي كل من أ) شرح صحيح مسلم ، ب) الروضة ، جـ) المنهاج ، د) الرياض ، هـ) الاذكار ، و) التبيان ، ز) تحرير التنبيه وتصحيحه ، ح) تهذيب الأسماء واللغات ، ط) طبقات الفقهاء . ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ص ٢٧٨-٢٧٩ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٣ ، ص٣٥٥ . ويقول ابن العماد ( ثم أخذ التصنيف في حدود الستين وستمائة الى ان مات ) .

[6] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧٩ .

تطور المجتمعات المدنية في المدن الشامية والمصرية الكبيرة –وثانياً لأن أفراد المؤسسة الإدارية كانت تتعامل مع الذي يحمل صفة شيخ الإسلام على أساس من مسؤولياته الشخصية التي أوكلت به من قبل الواقف على مستوى التدريس والإفتاء والخطابة ( ورياسة المذهب ) وليس لصفة أخرى قائمة ( مميزة ) . فقط في هذا المحتوى يمكن متابعة خصوصيات الخلاف الذي قام بين محي الدين النووي ، والظاهر بيبرس .

## علاقة شيخ الإسلام محيي الدين النووي و السلطان المملوكي الظاهر بيبرس

للسلطان بيبرس [1] علاقات خاصة بكثير من العلماء والفقهاء والمتصوفة في المؤسسة الدينية المملوكية ، وله المواقف المشرفة في نصرة الإسلام وإقامة شعائر الملك . لكن هذا السلطان المملوكي الشهير ، وجد نفسه أيام وجوده على رأس السلطنة – على خلاف مع شيخ الإسلام محيي الدين النووي – وبتأييد من إدارته – أفضت في النهاية الى معاقبته وفرض الإقامة الجبرية عليه بمقر سكناه بنوى ، دون حصول العفو عنه الى نهاية أيامه [2] .

---

[1] الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ، رابع سلاطين المماليك البحرية ولد في الكبجاق في ( ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ) ، استرق وبيع حتى وصل الى يد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وتقدم بين امراء المماليك البحرية واصبح احد مقدميهم ، وشارك معهم في الجهاد ضد الصليبيين ثم شارك في المؤامرة التي ادت الى مقتل توران شاه ( ٦٤٨هـ / ١٢٤٩م ) ، وكذلك اشترك مع فارس الدين اقطاي في تدبير مؤامرة ضد المعز أيبك ، وشارك مع الملك المظفر قطز في تحقيق انتصار المسلمين في عين جالوت ،لكنه انقلبعليه بعد النصر مباشرةً وقتله ، وأعلن نفسه سلطاناً سنة ( ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ) وعمل على توطيد أركان السلطنة مدة عقدين من الزمن وذلك بإعادة الخلافة العباسية ونقلها الى القاهرة في ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م . كما عمل على التخلص من بقايا الايوبيين المطالبين بحقهم في حكم مصر ، واضعاف المغول على حدود دولته الشرقية ،وتصفية قلاع الفرنج في الشام بالتتابع ، وعمل على نشر العدل ، والقضاء على الفساد . وفي عهده ازدهرت الحياة الفكرية والمذهبية ، واصبح الإفتاء والقضاء على المذاهب الأربعة بعد ان كان مقصوراً على المذهب الشافعي ، كما أعاد فتح الجامع الازهر الذي أقفله الايوبيون ، توفي في ( ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ) .

ينظر : السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٤٥ ؛ بدر الدين العيني(ت :٨٥٢هـ/١٤٥١م) ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر( القاهرة :مط دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٢م)..

[2] عندما رفض النووي ان يفتي للسلطان بجواز أخذ الأموال من الرعية لغرض حرب التتار ، غضب السلطان وقال له : اخرج من بلدي – يعني دمشق – فقال النووي ، السمع والطاعة ، وخرج الى نوى . السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص١٥ .

ولا يحدد السبكي [١] رغم انتسابه الى المذهب الذي ينتمي اليه المترجم له. وكذلك ابن كثير [٢] وابن العماد [٣] ، أي شيء حول موضوع الخلاف هذا وطبيعته ، ناهيك عن المسببات والنتائج التي انتهت اليه [٤] .

وهذا شيء غريب ، فقد كان السلطان المملوكي يتودد عادة بالتقرب من شيخ الإسلام الذي يعاصره ، ويعمد الى وضع جملة من الوظائف الدينية تحت تصرفه كالتدريس والإفتاء و إمامة الصلاة والخطابة والنظارة وغيرها ، اما ان يتقدم بالإشراف عليها مباشرة او بتكليف من ينوب عنه في تمشية أعمالها ، تماماً مثلما كان يشاركه في هذا التودد ، من منطلق المنافسة بين القوى المملوكية ، كثير من نواب السلطنة ومجمع الأمراء الكبار ، في كل من مصر والشام سوية ، وهو ما كان يسمح لشيخ الإسلام بالانتساب الى حلقة السلطان أو مناوئيه ، فمثلاً كان السلطان الظاهر بيبرس يتقرب الى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام ويتودد لمحبته ، على الرغم من عدم ارتياحه لتدخل ابن عبد السلام في الشؤون التي يعدها السلطان من اختصاص أهل الملك [٥] .

لا شك في ان الاجتهاد في مسائل الملك لم تكن من الواجبات التي ترتبط بالوظيفة التي يؤديها شيخ الإسلام داخل المؤسسات التابعة للمجتمع السياسي الذي ينتمي اليه . وما يدخل ضمن هذا الباب كان يعد من وجهة نظر السلطنة تدخلاً مباشراً في الشؤون السياسية ، وفي مصالح الدولة العسكرية والمالية . في المقابل ، كان عمل شيخ الإسلام كإمام او رئيس للمذهب يؤهله للتدخل في هذا الشأن من باب نصرة الدين والتمسك بقواعد الشرع .

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨، ص ص ١٦٦-١٦٧ .

[٢] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٧٩ .

[٣] شذرات الذهب ، م٥ ، ص ص ٣٥٤-٣٥٦ .

[٤] أشار الذهبي الى دوره في مواجهة الملوك بالإنكار عليهم والى انه كان له مراسلات عديدة مع بيبرس ، كما أورد بسملة الرسالة التي أرسلها النووي الى ملك الأمراء بدر الدين والى ان قال وفي طي ذلك ورقة الى الملك الظاهر فرد جوابها رداً عنيفاً مؤلماً فتنكرت خواطر الجماعة . الا ان الذهبي لم يسجل لنا نص مراسلات النووي بهذا الخصوص . ينظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٧٣ .

[٥] لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : مرتضى النقيب ، العز بن عبد السلام ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٤٩، ص ص ٤٠-٧٤ .

الى أي مدى كان هذا الأمر واضحاً في الخلاف الذي شهدته أيام سلطنة الظاهر بيبرس مع محي الدين النووي ؟

توجد مجموعة من المراسلات يحتفظ بها لنا السيوطي [١]، تلقي ضوءاً على المسائل التي كانت محوراً للخلاف بين النووي والسلطان الظاهر بيبرس التي أدت الى نقمته على الإمام ومعاقبته : واحدة تتعلق برغبة السلطان في جمع الأموال من الرعايا لتمويل الجهاد القائم ضد الفرنج والمغول ، دون الأخذ بنظر الاعتبار ، الأمور الشرعية من المسألة . على نحو المسألة التي أثيرت بين السلطان قطز والعز بن عبد السلام . ، وأخرى تتعلق بمصير بساتين وقرى شامية تعود الى الأعيان الدمشقيين تركها المغول عند انسحابهم منها ووّد السلطان وضع يده عليها ، لأسباب شخصية .

ومع ان السيوطي من المصادر المتأخرة بالنسبة لسجل التاريخ السياسي المملوكي البحري ، الا ان المراسلات التي احتفظ بها والمتعلقة بهذه المسألة والتي تعود الى مدة الأحداث الخاصة بالسلطان بيبرس وشيخ الإسلام النووي تستحق التحليل والمقارنة :-

الموضوع الأول المتعلق بالمكوس والضرائب وردت بشأنه رسالتان [٢] من قبل النووي الأولى بعث بها مع جماعة من العلماء ضمن رسالة وجهها الى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار [٣] ، وطلب منه إيصالها الى السلطان ، وقد قال له فيها بعد البسملة " وننهى الى العلوم الشريفة ان أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال بسبب قلة الأمطار ، وغلاء الأسعار ، وقلة الغلات والنبات ، وهلاك المواشي وغير ذلك . وانتم تعلمون انه تجب الشفقة على الرعية ، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم " [٤] ، اما عن محتوى الرسالة المطلوب إيصالها للسلطان فيقول له " وقد كتب خدمة الشرع الناصحون

---

[١] السيوطي ،حسن المحاضرة،جـ٢ ص ٩٩ ؛ محمد ماهر حماده : (٦) سلسلة وثائق الإسلام ، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي ( ٦٥٦-٩٢٢هـ / ١٢٥٢-١٥١٦م) دراسة ونصوص ، ط٢ ( بيروت : مط مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣-١٩٨٣م)

[٢] للاطلاع على نص رسالة النووي الأولى ينظر الملحق رقم (٤ )

[٣] هو الأمير بدر الدين بيليك الخازندار الظاهري ، كان مملوك بيبرس البندقداري وخازنداره في أيام أمرته ، وكان يتصف بالصفات الحميدة ، فلما ملك الظاهر بيبرس ، رتبه نائباً بمصر ، فدبر أمور الجيش أحسن تدبير ، ( توفي سنة :٦٧٦هـ ) . ينظر ترجمته في الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص ص ٥٢-٥٣ .

[٤] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٩٩ .

للسلطان ، المحبون له ، كتاباً يذكره النظر في أحوال رعيته والرفق بهم وليس فيه ضرر ، بل هو نصيحة محضة وشفقة وذكرى لأولي الألباب " [١] .

وما نعلمه انه عندما تسلم السلطان الظاهر بيبرس هذه الرسالة واطلع على محتواها، غضب ورد رداً عنيفاً – حسب تعبير الذهبي – [٢]. ومما جاء في رده ما مفاده ان الجهاد عملية مشتركة بين الأجناد والرعية ( وليس على ما يدعي النووي )، حيث يحمل الأجناد السلاح بينما يتحمل الآخرون النفقة وتكلفة الحرب. كذلك أنكر على العلماء عدم إنكارهم على الكفار كيف كانوا في البلاد ، وانما يركزون إنكارهم على سلاطين المسلمين فقط . كما تضمن الرد انكار وتوبيخ وتهديد للرعية ولطائفة العلماء ممن هم حلقة النووي ، فضلاً عن تهديداته للإمام النووي شخصياً .

وقد بعث النووي برسالة تعقيبية الى السلطان اوضح فيها كثيراً من القضايا التي يظهر من خلال محتواها انها التبست على السلطان . وقد جاء فيها[٣] ما يأتي[٤] :- (١) التبريرات التي تقف وراء ارسال الرسالة من منطلق أن الله (جل جلاله ) أوجب على العلماء إيضاح الكلام عند الحكام عند الحاجة اليه فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [٥] . من اجل هذا جاءت رسائل النووي لتنفيذ أوامر الخالق قبل أي شيء آخر . (٢) ان العلماء عندما يقصرون أمر الجهاد على الأجناد فقط لا يعني أبداً ان الرعية يقفون موقف المتفرج من المسألة ، بل ان إسهامهم في دفع مؤونة الحرب أمر واجب وضروري ولكن يظل هذا الوجوب مقترناً بما في بيت المال من نقدٍ او متاع ، او أرض او ضياع تباع . (٣) فيما يخص عدم الإنكار على الكفار كيف كانوا في البلاد يقول النووي كيف يقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان والقرآن بطغاة الكفار ؟ وبأي شيء كنا نذكر طغاة الكفار ، وهم لا يعتقدون شيئاً من ديننا ؟ وفي هذا الأمر أشار الى ان السلاح الوحيد الذي يشهره شيخ الإسلام محي الدين النووي في وجه الحكام المسلمين هو التذكير بما أمر الله سبحانه وتعالى به . (٤) ما يخص تهديد السلطان – بسبب هذه النصيحة – للرعية ولطائفة العلماء ، يحاول النووي ان يخفف من غضب السلطان وتهديده بقوله " فليس هذا المرجو من عدل السلطان وحلمه ، وأي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢، ص٩٩ .

(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٧٣ .

(٣) للاطلاع على رساة النووي الثانية ينظر الملحق رقم (٥)

(٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٩٩-١٠١ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٨٧ .

نصيحة للسلطان ، وهم لا علم لهم به ؟ وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ؟ . (٥) ما يخص تهديد السلطان الحقيقي لشخص النووي قال النووي " أما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان، فاني أعتقد ان هذا واجب علي وعلى غيري وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة ... " ، وحقيقة الأمر الواقع ان هذه الاقوال التي وردت ، والتي لا يشك في أصالتها تعكس شجاعة النووي في قول الحق ، وانه لا شيء في الدنيا من ترغيب او ترهيب يمكن ان يثنيه عن ذلك .

وفي محاولة من النووي لتطيب خاطر السلطان ا شار في النهاية الى ما أورده السلطان عن نفسه شخصياً من انه مهد للبلاد وأدام الجهاد ، وفتح الحصون وقهر الأعداء ، لكنه أوضح ان هذه من الأمور الشائعة التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة ، وطارت في أقطار الأرض ، وان ثواب ذلك مدخر للسلطان . ثم كرر المسوغات التي جعلته يبعث بالرسالة الى السلطان بقوله " ولا حجة لنا عند الله تعالى ، اذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا " .

اما الموضوع الثاني في المراسلات بين النووي والظاهر بيبرس التي يحتفظ لنا بنصوصها السيوطي فتتعلق ببعض البساتين[١] الخاصة في دمشق التي أستحوذ عليها السلطان عنوة من أصحابها بحجة ان أصحاب هذه البساتين ليس لديهم ما يثبت ملكيتها.

وقد بدأ النووي الرسالة بديباجة طويلة وضح في بدايتها ان السبب وراء إرساله لهذه الرسالة يعود الى انه ملزم من قبل الله سبحانه وتعالى بتذكير السلطان بأوامره ، ثم اورد جملة من الآيات القرآنية ،والأحاديث النبوية ،على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم ، التي يظهر من خلالها للسلطان أهمية العدل في الرعية ومسؤوليته عنهم . استهدف من خلالها تهيئة نفس السلطان لقبول النصيحة في الموضوع الأساس الذي يرفع اليه وهو موضوع البساتين المصادرة من قبل نوابه . حيث يورد اولاً بعض الخصال الحميدة التي يتصف بها السلطان ونعم الله عليه في ذلك ، وثانياً رجاه ان يشكر الله حتى يزيده من فضله ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [٢] ، وشُكر السلطان لله يتمثل بنشر العدل واعادة الحقوق الى أصحابها ، وفي هذا المحتوى ذَكر السلطان شخصياً بما " قد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على

[١] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ص ١٠١-١٠٣ ؛ او ينظر الملحق رقم (٦) .

[٢] سورة ابراهيم : الآية ٧ .

أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها ، وطلب منهم إثبات ما لا يلزمهم ، فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين ، بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل الاعتراض عليه، ولا يكلف بإثباته . وقد اشتهر من سيرة السلطان انه يحب العمل بالشرع فيوصي نوابه ، فهو أول من عمل به ، والمسؤول : إطلاق الناس من هذه الحوطة والإفراج عن جميعهم " [١]. ثم يستطرد حيث يترجى السلطان ويرغب له في قبول طلبه ، برفع اليد عن تلك الأملاك والقرى .

ولدينا رسالة أخرى تتعلق بموضوع بساتين دمشق بعث بها شيخ الإسلام النووي الى ابن النجار . احد علماء دمشق . حيث كان يقف في صف السلطان بيبرس وقد أفتى بجواز تدويل بساتين دمشق الأمر الذي آثار حفيظة النووي ، فأرسل اليه رسالة طويلة اتهمه في بدايتها بالتقصير في أمور دينه ، وكراهيته في نصرة الدين والنصيحة للسلطان وللمسلمين . كما أكد له فيها وأقسم انه لايترك شيئاً يقدر عليه من السعي الى مناصحة الدين والسلطان والمسلمين في هذه القضية ، وان رغمت أنوف الكارهين ، وان كره ذلك أعداء المسلمين .

وهذه الرسالة الأخيرة تكشف عن جانب مهم من الدور الذي قام به محي الدين النووي في الدفاع عن قضايا الشرع الحنيف، كما تكشف لنا عن محاولة السلطان احتواء جملة من العلماء الى جانبه عند فشله في احتواء شيخ الإسلام النووي[٢].

من خلال وصفنا وتحليلنا للرسائل المتبادلة بين شيخ الإسلام النووي والسلطان الظاهر بيبرس، يتبين لنا مدى المكانة المتميزة التي كان يتمتع بها النووي بين علماء عصره حيث نجده المتقدم على أقرانه في التعبير عن قضايا المسلمين وفي التصدي لتجاوزات السلطان والأمراء دون أدنى اهتمام لردود أفعالهم وخطرها على حياته . كما يتضح لنا أيضاً من خلال هذه المراسلات ان النووي كان يتخذ المواقف السديدة في الدفاع حتى عن العلماء الذين قد يكونوا عرضة لغضب السلطان نتيجةً لسبب أو لآخر. مما يشير الى ان النووي كان يمثل الصدارة بالنسبة لعلماء دمشق وأعيانها وفقهائها، وقد جاء تقرير هذه المكانة على لسان علماء دمشق وفقهائهم أنفسهم ، عندما نفذ نواب السلطان قراره في إجبار النووي على مغادرة دمشق والرحيل الى مسقط رأسه في نوى بوادي حوران . حيث طالبوا الظاهر بيبرس بإعادة

---

[١] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص١٠٣.

[٢] عن رسالة النووي الى ابن النجار ينظر السخاوي ، ترجمة شيخ الإسلام النووي ، ص ص ٥٠-٥٥ . نقلاً عن الغزالي حرب ، الامام النووي ، مجلة العربي ، العدد ٤٥ ، ص٢٦ .

النووي الى دمشق وعودته الى التدريس قائلين له " ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ، وممن يقتدى به " ، وتهمنا هذه الشهادة لأمرين ، الأول : ان هذا الموقف من قبل العلماء تجاه قضية شيخ الإسلام النووي يؤكد على ان النووي كان حقاً يحتل مكانة عظيمة لديهم يستحق عندها هذا الموقف كشيخ الإسلام من فئة الشافعية مقابل شخص السلطان ، الذي اصبح في منزلة الخصم بالنسبة للنووي ، ويكون موقف هؤلاء الأصحاب بقولتهم كلمة الحق هذه أمام غضب السلطان قد قاموا بأعظم الجهاد الذي يستحقه الإمام النووي منهم شخصياً . الأمر الثاني هو موقف النووي نفسه بعد عفو السلطان عنه ، ورسمه الى نوابه بالسماح للنووي بالرجوع الى دمشق مقابل اقتناع النووي وتجاهله للأمر قائلاً " لا أدخلها والظاهر فيها "[1] ، ومثل هذا الموقف من لدن النووي حقيقة لا نجده يتكرر كثيراً في أوساط الفقهاء .

خلاصة الأمر نقول ان النعت بشيخ الإسلام للإمام النووي الذي جاء من قبل جل من ترجم له كان نتيجة طبيعية أولاً لما تميز به في نفسه من العلم و معاني التدين والأخلاق ، ومن ناحية أخرى في الدور الذي لعبه في أداء مهامه على مختلف الأصعدة سواء منها في قيامه بمهمة التدريس والتصنيف ، أو في حمايته لأمور الشرع الحنيف من خلال مطالبة جانب السلطان والأمراء بتنفيذ فتاويه فيما يخص قضايا عامة المسلمين . هذه الأمور التي كانت وراء تفوقه على أقرانه ، وجعلته الأجدر بين فقهاء الشافعية بنيل هذه المنزلة .

## محيي الدين النووي ومنزلة شيخ الإسلام

منزلة شيخ الإسلام من خلال شخص محي الدين النووي تتجلى بشكل أساس في تفوقه على أقرانه وفي رئاسته للمذهب الشافعي من خلال قيامه بالإفتاء والتدريس ، فضلاً عن نبوغه في العلوم الشرعية المختلفة من فرائض وخلاف والفقه وأصوله وغيرها . الأمر الثاني تجلى في دوره في الدفاع عن قضايا المسلمين في الشام سواء العلماء منهم او عامة المسلمين ، أمام تجاوزات رجال المؤسسة العسكرية والسياسية على رأسهم السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ، الذي رفض التماساً من العلماء بحقه يخص اتيان جميع الإجراءات التي أمر بها ضده ، .

---

[1] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص١٠٥.

كما ان دوره في الجهاد والدعوة اليه لا يقل أهمية عن الأمرين السابقين فقد كان للإمام النووي بحكم هذه المنزلة دور مهم في حركة الجهاد ضد المغول الذي كان سلطانهم ابغا يستهدف الانتقام من المماليك دون طائل، وكذلك دوره في الحث على قتال الفرنجة وتصفية قلاعهم ومراكزهم في الشام ، ومثل هذا الأمو نجد الإشارة اليه ضمن مراسلاته الشخصية ، فضلاً عما تحتويه مصنفاته من موضوعات تدعو الى الجهاد ضد الكفار وترغب فيه . لكن محنته مع السلطان تعدّ اهم ما يميز عمله شيخاً للإسلام في الشام .

# شيخ الإسلام ابن دقيق العيد

## شخصيته وسيرته

يرجع ابن دقيق العيد [١] ، كأحد مشايخ الإسلام ، الى المدرسة الفقهية الشافعية ، بعد ان كان في بداية عهده يعد من اتباع المدرسة المالكية فهو مثل سابقيه شيوخ الإسلام محيي الدين النووي و العز بن عبد السلام ،كان من أئمة المذهب الشافعي وأحد أعمدته الكبار باتفاق أئمة المشايخ من هذه الجماعة جميعهم دون معارض ، ولهذه الصفات ، شهد السبكي لابن دقيق العيد بقوله بانه هو " العالم المبعوث على رأس المائة السابعة "[٢] ، فما من شيخ للإسلام اجتمعت في شخصه كل المؤهلات التي تقرر ارتقاءه الى مثل تلك المنزلة من رئاسة العلم والتدريس وبلوغ الاجتهاد ، واشغال الولايات والوظائف الدينية المهمة والمدنية( الإفتاء ) . غير ان ابن دقيق العيد ، على عكس من سبقه ، كان مصرياً في النسب والسكن (ملازماً لبلاده في خدمة السلطنة )، وفي الوقت نفسه مساوياً ، ان لم يكن مضارعاً لمنزلة شيخه في الدرس العز بن عبد السلام .

---

[١] هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري ، أبو الفتح تقي الدين بن دقيق العيد ( ١٥ شعبان ٦٢٥هـ – ١١ صفر ٧٠٢ هـ / ١٢٣١-١٣٠٢م ) ، ودقيق العيد هو لقب جده وهب. ولد تقي الدين بساحل ينبع ، ووالده متوجه الى الحجاز في البحر . وقد أخذه على يده وطاف به وجعل يدعو له ، بأن يجعله الله عالماً عاملاً .
عاش في كنف والديه في قوص جنوب مصر ، وتلمذ لأبيه فدرس القرآن في صغره ، ثم انتقل الى القاهرة حيث تتلمذ بها على الكثير من مشايخ الشافعية ، حتى بزغ نجمه وعلا ، وذاع صيته وفاق اقرانه . تولىالعديد من المناصب اهمها منصب قاضي القضاة للديار المصرية ، ثم منصب التدريس ، وقصده التلاميذ من كل مكان . للمزيد من التفاصيل ينظر :– أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الادفوي ( ت: ٧٤٨ هـ) ، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحـ : سعد محمد حسن ( القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٠ ) ، ص ص ٥٦٧-٥٩٩ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص٢٦٢ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، ص١٥٨ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص ص ٤٤٢-٤٥٠ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٩ ، ص ص٢٠٧-٢٤٩ ؛ جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين ألا سنوي ( ت: ٧٧٢هـ ) ، طبقات الشافعية ، تح : عبد الله الجبوري ، ط ١ ( بغداد : مط الإرشاد ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م ) ،جـ٢، ص٤٧٧ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص ص٢٣٠-٢٣٢ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٩١ ؛ ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٨ ، ص٢٠٦ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص ص٥-٦ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، م٧ ، ٢٣٤ .

[٢] طبقات الشافعية الكبرى ، م٩ ، ص٢٠٩ .

لابن دقيق العيد عدة تراجم شافعية وغير شافعية تتفق جميعها على علو منزلته ومكانته كشيخ للإسلام ، وفي رئاسة العلم وبلوغ الاجتهاد فقد نعته الذهبي بـ " الإمام شيخ العصر ... وسارت بمصنفاته الركبان " [١] . وقال فيه ابن كثير : " الشيخ الإمام العلامة الحافظ قاضي القضاة ... انتهت اليه رياسة العلم في زمانه وفاق أقرانه " [٢] . وافتتح ابن العماد ترجمته بشيخ الإسلام تقي الدين الشافعي – المالكي المصري [٣] ، إشارة الى تحوله من المالكية الى الشافعية ، وله باع طويل في مختلف العلوم ولاسيما في علم الحديث فقد فاق فيه أقرانه وتفوق على أهل زمانه [٤] ،ومن مصنفاته كتاب الإلمام في الحديث والاقتراح في معرفة الإصلاح ، وهو في علم الحديث [٥] .

وقد تقلد شيخ الإسلام ابن دقيق العيد جملة من الوظائف الدينية ، أهمها منصب قاضي قضاة الديار المصرية مدة ثمان سنين [٦] وتولى التدريس ومشيخة دار الحديث الكاملية[٧]بمصر ، والخطابة في مسجد قوص [٨] ، بين أيام حكم سلاطين الدولة المملوكية من عهد الظاهر بيبرس ( ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ) والمنصور قلاوون ( ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ) الى عهد الاشرف خليل ( ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م ) وأخيه الناصر محمد ( ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م ) ، وسلاطين المدة التي عزل فيها الناصر ، وليس في سجلات الدولة المملوكية ما يدل على ان ابن دقيق العيد ، كان قد اختلف مع هؤلاء السلاطين في مسائل الشرع الحنيف – رغم انه عزل نفسه غير مرة على حد قول السبكي – [٩] أو انه خرج بفتاوى تعارض توجهات السلاطين المماليك ومواقفهم الرسمية بشأن المغول والفرنج [١٠]، وحقوق بيت المال من المملوك غير المعتق ، وغيرها .

---

[١] الذهبي ، معجم الشيوخ ، الترجمة رقم ٨٠٥ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦، ص٥ .

[٢] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٢٧ .

[٣] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص٥ .

[٤] المصدر ذاته ، م٦ ، ص٦ .

[٥] الادفوي : الطالع السعيد ، ص٥٧٦ .

[٦] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص٦ .

[٧] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٢٧ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص٦ .

[٨] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص٦ .

[٩] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٩ ، ص٢١٢ ، حيث يقول " وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد " .

[١٠] من المحتمل انه كتب رسائل في نصيحة الملوك ، لكنها . بحسب علمنا . لم تصل الى المكتبة التاريخية .

## علاقة ابن دقيق العيد بالمؤسسة السياسية المملوكية

ليس لدينا معلومات مباشرة عن علاقة ابن دقيق العيد بالمؤسسة السياسية المملوكية وبممثلها السلطان المملوكي ومجمع الأمراء من عساكر السلطنة من مقدمي المراتب او نواب السلطنة ، وما يتوفر في هذا الصدد يشير الى ان ابن دقيق العيد كان قد تولى في أواخر عمره [1] منصب قاضي قضاة الديار المصرية عن الشافعية مدة ثمان سنوات [2]، يحددها ابن تغري بردى بالسنة ٦٩٥هـ [3]، خلفاً للقاضي تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز [4] ( ٦٩٣-٦٩٥هـ / ١٢٩٣-١٢٩٥م ) وذلك خلال حكم ثلاثة من سلاطين المماليك ، هم كل من الملك العادل كتبغا المنصوري المغتصب الجديد للسلطنة (ت: ٧٠٢هـ) [ ٦٩٥- صفر ٦٩٦ ] ، وخلفة السلطان الملك المنصور لاجين ( ت ٦٩٨ /١٢٩٨م) [١٠ صفر ٦٩٦- ٦٩٧هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م ] ، ثم في ولاية السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية ( ٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٨-١٣٠٨هـ ) ونعرف أيضاً من معاصريه الادفوي ( ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ) [5] ، وتاج الدين السبكي [6] ان ابن دقيق العيد كان قد عزل نفسه أكثر من مرة من جانب واحد ربما لاسباب تعود الى خلافه مع ادارة السلطان ، لكنه بعد كل عزل يعاد للولاية. وهذا

---

[1] الادفوي ، الطالع السعيد في نجباء الصعيد ، ص٥٩٦ : " لكنه تولى القضاء في آخر عمره " .

[2] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص٦ .

[3] ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص١٢٣ : " ثم ولى القاضي تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد سنة خمس وتسعين وستمائة " ضمن ذكره قضاة الشافعية في قائمة القضاة الأربعة ، أنظر ذاته ، جـ٧ ، ص١٢٣ .

[4] عبد الرحمن بن تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز ، ولد في ١٢ رمضان ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م كان عالماً فقيهاً شافعي المذهب ، أخذ العلم عن أبيه وعن العز بن عبد السلام ، اشتهر بعلمه وورعه ، فقربه السلاطين منهم ، وتولى العديد من المناصب ، منها توليته الخزائن المعمورة في عهد الملك المنصور قلاوون ، ثم أصبح ناظراً للمدرسة الصالحية ( مدرسة الصالح نجم الدين ايوب )والتربة الصالحية خلفاً لاخيه ، ثم أصبح في عام ٦٨٥هـ قاضياً على مصر والوجه القبلي ، بعد وفاة القاضي وجيه الدين البهنسي ، ثم أصبح قاضياً للبلاد كلها فضلاً عن منصب الوزارة الذي أسند اليه . الا ان هذه الحالة لم تستمر حيث عزله السلطان الاشرف خليل وشهر به ، ثم أعاده الى منصبه ، ثم عاد وسجنه وغرمه . وكان وراء هذه الأحداث الوزير بن السلعوس بسبب خلاف بينه وبين ابن بنت الأعز ، الا ان هذا الخلاف انتهى بوفاة الوزير ابن السلعوس حيث أعيد ابن بنت الأعز الى الوزارة ، وكان يطلق عليه ذو الرئاستين ، وظل في منصب القضاء حتى وفاته في ١٦ جمادي الأول سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م . للمزيد من التفاصيل ينظر : السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ،ص ص١٧٢.١٧٥ .

[5] الادفوي ، الطالع السعيد في نجباء الصعيد ، ص٥٨٢ ، ص٥٩٦ : "على انه عزل نفسه مرةً بعد مرة وتنصل منه كرةً بعد مرة " .

[6] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٩ ، ص٢١٢ .

معناه انه لم يبقى في القضاء مدة ثمان سنوات على نحو ما ذكر ابن العماد ، لكنه كان يعاد تعيينه في كل مرة يعزل نفسه فيها [١] .

الا انه ينبغي ان يقال انه في وضع السلطنة السياسي هذا غير المستقر في العقد الأخير من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، لم يحصل ان امتحن ابن دقيق العيد من قبل هؤلاء السلاطين او تعرض لمواقف تستوجب إقالته ، او كانت السلطات قد فرضت الإقامة الجبرية عليه ، مثلما حصل لسابقيه من شيوخ الإسلام العز بن عبد السلام ، ومحي الدين النووي وابن تيميه لاحقاً ، بالرغم من انه كان يتخذ المواقف الثابتة ضد مصالح بعض الأمراء المتنفذين في السلطنة ، مثل الخلاف [٢] الذي حصل له مع نائب السلطنة – أيام السلطان لاجين – المدعو منكوتمر [٣] .

ومن المواقف الأخرى في هذا الاتجاه كذلك ما حدث لابن دقيق العيد حول اعتزاله برغبته خلال المدة القصيرة من سلطنة كتبغا المنصوري [٤] ( ٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م ) وحلول السلطان حسام الدين لاجين مكانه ( ٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م ) حيث كلفه السلطان الجديد

---

(١) ربما كان تكرار العزل والإعادة بسبب الظروف السياسية التي كانت تمر بها السلطنة ووثوب واغتصاب كل من كتبغا المنصوري ولاجين السلطة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

(٢) الخلاف بين شيخ الاسلام تقي الدين بن دقيق العيد ونائب السلطنة منكوتمر يدور حول أرث رجل متوفى أراد منكوتمر من القاضي ابن دقيق العيد ان يحكم بهذا الإرث لرجل يدعي منكوتمر انه أخوه ، غير ان القاضي رفض الحكم للامير بحجة ان الأدلة لم تقم لديه على الأخوة المذكورة ، سوى شهادة منكوتمر وحده ، التي لايمكن القطع بها .
ينظر : محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، جـ١ ، ق٢ ، ص١٠٤ .

(٣) منكوتمر الحسامي مملوك السلطان لاجين ، الذي ظل يترقى في المناصب في عهد ولاية لاجين حتى أصبح نائباً للسلطنة، يقال انه كان سيئ السيرة ظالماً كثير الاعتداء على حقوق الآخرين ، كثير الدس للأمراء ، بحيث أغتاظ الأمراء منه ومن السلطان لاجين الذي كان دوماً عوناً له ، فدبروا له مؤامرة انتهت بقتل السلطان وسجن منكوتمر ثم بذبحه في ٦٩٨هـ/١٢٩٨م . من آثاره مدرسته المنكوتمريه ، بحارة بهاء الدين بالقاهرة .
ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٢ ؛ محمود رزق سليم ، جـ١ ، ق١ ، ص١٠٠ .

(٤) العادل : كتبغا المنصوري ( ٦٩٤هـ/١٢٩٤م – ٦٩٦هـ/١٢٩٦م ) تولى الملك بعد ان خلع السلطان الشرعي الملك الناصر محمد عام ٦٩٤هـ، وهو من مماليك السلطان المنصور قلاوون ، أسره في موقعة حمص ، ثم أعتقه ، ترقى في المناصب حتى صار نائباً ثم انقلب على السلطان . من الظروف التي سادت خلال فترة حكمه القصيرة ، هو وقوع الغلاء وانتشار الوباء ، وقصر ماء النيل ، كما انه جلب الى مصر طوائف من المغول تعرف " بالأويرانية " . حدثت في عهده بعض المشاكل في بلاد الشام ، فرحل لتمهيدها ، الا ان أمراء مصر انتهزوا فرصة غيابه فخلعوه .ويعرف انه ولَي في عهد الناصر ملكاً على ولاية حماه وظل بها حتى وفاته سنة ٧٠٢هـ .
ينظر : محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ج١ ، ق١ ،ص٣٦ .

بالولاية كرة أخرى مع الاحترام الفائق لشخصه ، فقد ظل السلطان واقفاً لما أقبل ... حتى قبل السلطان يده رغم ان رجال الإدارة الحسامية ظلوا يحثونه على احترام المراسيم التي تخص لقاءات أصحاب المناصب مع السلطان ، دون اهتمام كبير منه(أي من ابن دقيق العيد) [1] . وابدى مواقف مماثله في أثناء استرجاع الملك الناصر محمد عرشه للمرة الثانية على أثر عودته من المنفى في الكرك، حين حضر مع القضاة حفلة تدشين عودة الناصر الى الحكم سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م .

## ابن دقيق العيد ومنزلة شيخ الإسلام

لم يكن ابن دقيق العيد مهماً خلال مباشرة العز بن عبد السلام ، ومحي الدين النووي لمركز شيخ الإسلام، ولم يكن قد نال إمامة الشافعية حينئذ ، ولكن بعد رحيل النووي (ت :٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) وعدم وجود من يمثل شيخ الإسلام من رجال المدارس الفقهية الأربعة ، خلال العقد الاخير من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .برز ابن دقيق العيد شيخاً جديد للإسلام ممثلاً عن الشافعية ، خلال حكم الملك المنصور قلاوون ( ٦٧٩-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م ) والاشرف خليل ( ٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م ) والناصر قلاوون ( ٦٩٣-٦٩٤هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م ) والسنوات الثلاث الأولى من مدة حكم السلطان الناصر الثانية ( ٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٨-١٣٠٨م ) فضلاً عن سنوات حكم كلاً من زين الدين كتبغا وحسام الدين لاجين . ومع انه من الصعب ان يحدد الباحث واجبات شيخ الإسلام كمؤسسة ممثلاً بابن دقيق العيد وان يفرق بين مسؤلياته كشيخ الإسلام وواجباته في منصب قاضي قضاة الشافعية .

[1] يتحدث الادفوي عن ذلك نقلاً عن من حضر المجلس من الحاضرين مراسيم التقليد قوله ان السلطان ظل واقفاً في انتظار وصول ابن دقيق العيد الذي كان يتعمد المشي على مهله ، وعندما قيل له أن السلطان واقف قال " ادينى أمشي " بالعامية المصرية ، وكأنه يريد ان يقول ماذا تريدون أكثر من موافقتي على العودة ، الى القضاء. ينظر :- الادفوي ، الطالع السعيد في نجباء الصعيد ، ص٥٨٢ . وهذا النص يشير الى حرص السلاطين على كسب ود شيخ الإسلام ونيل رضاه ، لعلمهم بدوره الحيوي في المجتمع المدني المصري، وأثره عند الرعية ، والا لما تقبلوا أسلوبه هذا في التعامل تجاه السلطان .

لان التدريس [1] ورياسة العلم يأتيان كعمل لابن دقيق العيد ضمن واجباته العامة التي يمارسها بحكم مؤهلاته لرياسة المذهب في الفروع والأصول . الا ان خصوصيات منزلة الإمام ( على النحو الذي يمثله ابن دقيق العيد )كانت تظهر دوماً في حالات الجهاد القائمة ضد الفرنج والمغول ، العدوان اللذان كانا يستهدفان القضاء على بيضة الإسلام متمثلاً بمقر السلطنة بمصر ، وفي دعم مواقف السلطان الشرعي ضد العدو الخارجي الذي يستهدف الدين الحنيف ، فليس غريباً حينئذٍ ان يدعو ابن دقيق العيد أمراء السلطنة من تشكيلات الخاصكية والسيقية والقرانيص وغيرها من الثبات للمغول ،وسوق البشري لهم بالنصر من خلال الخطب والدعوات الدينية ، على نحو ماحصل أيام التهديدات التي شكلها عسكرهم في أثناء الاشتباك مع المماليك على أبواب حمص في ٦٨٠هـ / ١٢٨٠م [2] . وليس غريباً أيضاً ان يصاحب السلطان الناصر محمد في حملته على الشام في أثناء قتال المماليك لجيوش السلطان الايلخائي محمود غازان [3] و"قائده قطلع" شاه الذي توج بانتصار

---

[1] عمل ابن دقيق العيد في منصب التدريس في العديد من المدارس المهمة منها المدرسة الفاضلية. المنسوبة الى القاضي الفاضل البيساني احد رجال صلاح الدين . والمدرسة المجاورة للشافعي ، وكذلك في المدرسة الكاملية التي بناها السلطان الملك الكامل والمدرسة الصالحية في القاهرة العائدة لابنه السلطان الصالح نجم الدين ايوب ، كما عمل في دار الحديث بمدينته الأولى قوص وكان من ثمار عمله في التدريس ان تخرج عليه كثير من المشايخ لعل من اشهرهم قاضي القضاة شمس الدين محمد ابن أبي القاسم عبد السلام التونسي ، وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن حيدره ، وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن عدلان ، وقاضي القضاة شيخ الشيوخ علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي ، والشيخ فتح الدين البعمري ، وغيرهم .
ينظر : الادفوي ، الطالع السعيد ، ص٥٧٢.

[2] عن تهديدات المغول التي واجهها المنصور قلاوون في حمص سنة ٦٨٠هـ . ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية، جـ١٣ ، ص ص٢٩٤-٢٩٥ .

[3] السلطان غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار ، اصبح ملكاً على المغول الإلخائيين ( ٦٩٣هـ/١٢٩٣م ) ، أسلم على يد نائبه الامير نوروز سنة ( ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م ) ، وأسلم معه الكثير من اتباعه ، فضلاً عن ان الدولة اصبحت في زمانه دولة اسلامية المعتقد بعد ان كانت بوذية العقيدة ويعتبر عهده عهد الاصلاح في الدولة الالخائية ، ورغم اسلامه كانت تدور له حروب طاحنة مع المماليك انتهت بهزيمة جيشه وهزيمته شخصياً اذ اودت بحياته في النهاية وعمره لايتجاوز الثالثة والثلاثين .وله لقاء مشهور مع شيخ الاسلام ابن تيمية . ينظر عنه : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص١٤، وصفحات أخرى ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ، ص ص٢٩٢-٢٩٣ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، جـ١ ، ص٤٨٣ . وعن سيرته وحروبه في الشام ينظر Boyel, The Momg. Invasion The Cambridge History Of Iram, Vo 15, PP 386-89 /395 -96

المسلمين الكبير في مرج الصفر سنة٧٠٢هـ [١] ، وهو الموقف نفسه الذي اتخذه قرينه شيخ الإسلام عند الحنابلة تقي الدين بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ) في الحث على الجهاد للدفاع عن دمشق ومقاومة السلطان الايلخائي [٢] . والشيء ذاته يقال عن حثه لعساكر الأمراء والجند في الجهاد ضد الفرنج لكن المصادر في طبيعتها لم تكشف عادةً على الرغم من أهمية الموضوع مثل هذه الفعاليات ، وتبقى التفاصيل الخاصة بها غائبة عن ذهن القارئ .

الأكثر خصوصية في عمل شيخ الإسلام على نحو ما يتمثل بابن دقيق العيد هو الإفتاء الذي كان يتقدم به في مسائل تخص السلطنة في جمع الأموال لقضايا الحرب ضد أعداء الدولة العربية الإسلامية ، رغم امتلاك أمراء العسكر للأموال، والافتاء في حق بيت المال من ثمن المملوك المعتق ، وكذلك في قتال العربان المنتشرين في الصعيد وأعلى النيل ، وفي مسائل التعامل مع أهل الذمة من اليهود والنصارى من سكان مصر والشام ، وغيرها من القضايا الحيوية ذات العلاقة المباشرة باستقرار الدولة المملوكية .

فبالنسبة للأولى التي تدخل في إطار حرب الجهاد المقدسة عند المسلمين نعرف مثلاً أن ابن دقيق العيد كان في قضية محاربة المغول قد رفض طلباً للسلطان الناصر محمد بأن يفتي بجواز أخذ الأموال من عامة المسلمين لانفاقها في تجهيز الأمراء بالأموال والمؤن لتجريده على بلاد الشام يقوم بها جيش المماليك لمحاربة المغول الايلخائيين . رغم ان مواقف ابن دقيق العيد التقليدية كانت في روحها وطبيعتها تؤيد جهاد السلطان والعسكر لصد عدوان المغول على المدن الشامية ، ورغم وقوفه المعلن الى جانب رجال المؤسسة السياسية في شرعية قتالهم ضد الأعداء [٣] ، او في مثل آخر ذات صلة بهذا

---

[١] معركة مرج الصفر التاريخية نسبة الى منطقة مرج الصفر ، تقع بين الجولان ودمشق ، ودارت المعركة بين جيش السلطان المملوكي الناصر محمد ( ت: ٧٤١هـ/١٣٤٢م ) والجيش المغولي بقيادة نائب السلطان قطلغ شاه وكان النصر في نهايتها للمسلمين .

عن المعركة ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،جـ٨ ، صص١٥٩ . ١٦٤ .

[٢] ينظر ص ١٢٠ من هذه الرسالة .

[٣] أحتج الأمراء على ابن دقيق العيد بخصوص هذه الفتوى ، بالفتوى التي أفتاها العز بن عبد السلام للمظفر قطز بجواز أخذ مال الرعية دعماً للمجهود الحربي المملوكي . وقد رد عليهم ابن دقيق العيد بان الوضع عند الاعداد لمعركة عين جالوت يختلف عن الغزو الجديد للمغول لبلاد الشام حيث ان العز بن عبد السلام لم يتقدم بفتوى هناك الا بعد ان أحضر الأمراء كل ما لديهم من مال وحلّي هم وأولادهم ونساؤهم ، وبعد ان اقسم كل واحد منهم انه لا يملك غير ما تقدم به ، وعندما اظهر الجرد النقص في الأموال ، حصل السلطان على الفتوى . ينظر : محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ق٢، جـ١ ،ص٩٥ .

المحور رفضه لطلب تقدم به نائب السلطنة في زمن ولاية السلطان لاجين ، وهو الأمير منكوتمر الحسامي ( ت : ٦٩٨هـ/١٢٩٨م )يطلب فيه الحكم لصالح شخص يرث رجل متوفياً باعتبار انه أخوه ( بشهادة منكوتمر وحده ) وانه بموجب ذلك يطلب الحكم بالثروة التي تركها المتوفى لصالحه . وكان رفض ابن دقيق العيد لهذا الطلب بحجة أن تلبية هذا الطلب سيكون مخالفة لما يأمر به الشرع الحنيف [١] .

وفي مسائل السلطنة الأخرى لدينا فتوى تخص إثبات نسب الخليفة العباسي وإقرار أمر صلاحيته للحكم والقيام بشؤون الخلافة العباسية . وكان السؤال الذي قد وجه الى ابن دقيق العيد على أثر وفاة خليفة العصر آنذاك الحاكم بأمر الله ( ت: ٧٠١هـ / ١٣٠١م ) ، والوصاية بولاية العهد الى ولده سليمان ، فيما إذا كان ولد المتوفى سليمان المذكور يصلح للخلافة أم لا ؟ أجاب نعم ، وأثنى عليه ولقب حينئذ بالخليفة المستكفي [٢] ( ٧٠١-٧٤٠هـ / ١٣٠١-١٣٣٩م ) ثالث الخلفاء العباسيين من خط القاهرة بعد كل من المستنصر ووالده الحاكم .

أما عن الاستفتاء الذي أجاز به قتال العربان [٣] المنتشرين في الصعيد ، فقد حرص السلطان الناصر محمد بن قلاوون على عقد اجتماع يضم القضاة والفقهاء واستصدر فتوى بجواز قتالهم ،بحجة انتشار خطرهم على عناصر المجتمع الحضري المصري . وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم تسجل لنا ملاحظات ابن دقيق العيد الشخصية في هذه الفتوى وما ترتب عليها ، إلا انه بناءً على كون مثل هذه الفتاوى تدخل ضمن واجباته واختصاصاته وبناءً على دوره في المجتمع كمدافع عن وجهة نظر

---

[١] محمود رزق سليم ، عصر السلاطين والمماليك ، جـ١ ، ق٢ ، ص١٠٤ .

[٢] ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٨ ، ص ص ١٤٨-١٤٩ .
الخليفة المستكفي هو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ولد في نصف محرم سنة ٦٨٤هـ ، بويع بالخلافة بعهد أبيه في جماد الأولى سنة ٧٠١هـ وخطب له على المنابر في سنة ٧٠٢هـ ، خرج مع السلطان لقتال المغول حيث تم للمماليك النصر عليهم . من أهم الأحداث في عهده تولي بيبرس الجاشنكير مقاليد الحكم أثناء غياب السلطان الناصر في الكرك . ينظر ترجمته في السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، جـ١ ، ص٤٨٤ .

[٣] كان العربان يشكلون مصدر قلق مستمر للسلطة المملوكية ، بما يقومون به من أعمال الشغب والاعتداءات المتكررة على المسافرين والتجار ، وفي عهد السلطان الناصر استشرى فسادهم حين استخفوا بالولاة ، ومنعوا الخراج ، وتسموا بأسماء الأمراء ، مما اضطر السلطان لتجريد حملة لقتالهم .
لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٨ ، ص ص ١٤٩-١٥٠ .

الدين الحنيف وأهمية فتاويه كقاضي قضاة كذلك ، فتكون الفتاوى التي حصل عليها السلطان بهذا الخصوص هي إصدارات شيخ الإسلام ابن دقيق العيد بالإضافة الى فتاوى بقية القضاة والفقهاء .

الموضوع الثالث من الموضوعات التي يدخل الإفتاء بخصوصها ضمن دائرة اختصاص ابن دقيق العيد بصفته شيخاً للإسلام وقاضي قضاة الشافعية ، هو موضوع أهل الذمة من النصارى واليهود في مصر [١] ، الذين كانوا قد بالغوا في تحسين مظهرهم ومسكنهم ، خلال عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فضلاً عن تقلدهم المناصب المهمة التي كانوا يشغلونها ، الأمر الذي أثار حفيظة المسلمين ، واستمر الحال على ذلك حتى وقت تدخل السلطان الشخصي في المسألة حين أمر الناصر محمد بن قلاوون بتخصيص زي خاص بهم تمييزاً لهم عن المسلمين فضلاً عن إجراءات أخرى مذلة لهم ، وتم تنفيذ ذلك في العشرين من رجب سنة ٧٠٠هـ ، فسكنت الفتنة .

ومن هذه الأمثلة الثلاثة بشأن فتاوي ابن دقيق العيد يتضح انه كان له دور إيجابي في خدمة المجتمع ، فكانت اسهاماته في صالح المجتمع المملوكي سواء منها تلك المتعلقة بدعاوي نائب السلطنة منكوتمر او في تثبيت نسب الخليفة العباسي المستكفي وصلاحيته للولاية ، وكذلك في معالجة خطر العربان على الحياة المدنية المصرية ، وفي كل هذه الأحوال لم يكن ابن دقيق العيد يتصرف كشيخ إسلام ضمن وظيفة رسمية خاصة ، لانه لم تكن بعد قد وجدت وظيفة رسمية بهذا الاسم .

---

[١] ينظر ، الدوادوري ، كنز الدرر ، م٩،ص ص٢٧-٥١ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة، جـ٨ ، ص ص١٣٣-١٣٤.

# شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية

## سيرته الذاتية والعلمية

لم يكن تقي الدين ابن تيمية [1] أحد شيوخ الإسلام من المدرسة الحنبلية النشطة في بلاد الشام أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون فحسب ، بل يعد أهم شيوخ الإسلام الحنابلة في هذه المدة التي خرجت لنا المدرسة الفقهية الحنبلية هناك . الأكثر أهمية ان ابن تيمية في منزلته ومواقفه كشيخ للإسلام

---

[1] احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم عبد الله الخضر بن محمد ، تقي الدين ابي العباس بن تيميه الحراني ، ثم الدمشقي ، من أسرة تيميه المشهورة بالزهد والعلم . ولد بحران يوم الاثنين ، ١ ربيع الأول سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م ، ثم انتقل مع والده وإخوانه الى دمشق سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م . وفي دمشق سمع من عدد من شيوخها حتى نبغ وصار له الباع الطويل في مختلف العلوم ، كان له إسهامات وحضور قوي بين رجال الفكر والسياسة في عهده ، وصنف الكثير من التصانيف ، عمل في التدريس والخطابة في الكثير من المؤسسات التعليمية والدينية بدمشق وكان له آراء وأقوال وفتاوى حول كثير من القضايا الحيوية في مجتمعه ، والتي أعلن بها على نفسه الحرب والبَّ الكثير من الخصوم عليها ، وسجن بسبب هذه الفتاوي أكثر من مره ، توفي ابن تيمية في سجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين العشرين من شهر ذي القعدة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م .

لمزيد من التفاصيل ينظر :- الذهبي ، المعجم المختص بالمحدثين تح : محمد الحبيب الحنبلي ، ط١ ( الطائف : مكتبة الصديق ، ١٩٨٨م ) ص٢٥ ؛ أبو حفص عمر بن علي البزار ( ت ٧٤٩هـ ) ، الأعلام العليه في مناقب شيخ الاسلام ابن تيميه ، تح : صلاح الدين المنجد ،ط١ ( بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٦ ) ص٢١ ؛ ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ ٢ ، ص ص٣٨٦-٤٠٨ ؛ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ( ت ١٠٣٣ ) ، الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيميه، تح : نجم عبد الرحمن خلف ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، بلا. ت ) ص٢٣ ؛مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، الكواكب الدرية ، ص٥١ ؛ محمد بن علي الشوكاني ( ت:١٢٥٠هـ) ، البدر الطالع بمحاسن القرن السابع (جزءان، القاهرة : مط السعادة ، ١٩٤٨ ) جـ١ ، ص٦٣ ؛ ابو الطب الحسين البخاري القنوجي ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، ط١ ، تح : عبد الحكيم شرف الدين ، ( بيروت ، دار اقراء ، ١٩٨٣م ) ص٤٢٠ ؛ ابن عبد الهادي ، العقود الدرية ، ص١٨ ؛ محمد أبو زهرة ، ابن تيميه ( دار الفكر العربي ، ١٩٧٧م ) ؛ عبد العزيز المراغي ، ابن تيميه ، ( القاهرة : دار احياء الكتاب العربي ، مط عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بلا.ت ) ؛ سعدي احمد زيدان ، منهج ابن تيميه في التفسير ، ( جامعة بغداد ، كلية العلوم الاسلامية ، تشرين الأول ١٩٩٨م ) اطروحة دكتوراه غير منشورة، ص ص٩-٢٧ . ؛ خالد ملاوي ، آراء ابن تيميه الفقهية المخالفة لجمهور الحنابلة ، ( جامعة بغداد : كلية الآداب ، جمادي الثانية ١٤٢٠هـ / أيلول ١٩٩٩م ) رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ص٤-٢١ ؛ خليل هراس : ابن تيمية ، مجلة الفكر الإسلامى ، ١٩٧١م . انظر ايضاً، انترنت : WWW.Khayma.Com./almuneer/ibntaemeah. Nim-HK.

ابن تيمية جزء من النظام الايد يولوجي للسلطة المملوكية .

لا يتساوى مع كل شيوخ الإسلام السابقين الذين كانوا قد دخلوا في نزاع مع الدولة الأيوبية والمملوكية كالعز بن عبد السلام ومحيي الدين النووي . فهو باتفاق المؤرخين قد امتحن من قبل الدولة مرات عديدة ، لعل أكثرها قوة هي امتحانان أودع خلالهما السجن ، كانت الأولى في المدة (٧٠٥-٧٠٧هـ / ١٣٠٥-١٣٠٨م ). وبدأت هذه المحنة في دمشق وبأمر السلطان ، حيث جمع نائبه في دمشق القضاة والعلماء وأحضروا الشيخ ابن تيمية ، وناقشوه في عقيدته المعروفة بالواسطية [١] . ويبدو ان العلاقة الودية القائمة بين الأمراء ورجال المدرسة الشافعية عادة ما كانت تُعرض شيوخ الحنابلة وبصفة خاصة ابن تيمية لكثير من المحن مع الدولة ، ويؤكد ذلك ما يشير اليه الدوادوري في كتابه الدر الفاخر عند حديثه عن هذه المسألة والمجلس الذي انعقد لمناقشة ابن تيمية بقوله أن ابن تيمية أقر في نهاية المجلس بأنه شافعي [٢] ، وبناءً عليه انفرجت الأزمة ، واعتذر السلطان نفسه عن سابق توجيهاته بهذا الشأن بكتاب بعث به الى دمشق قال فيه " انما قصدنا تبرئة ساحة الشيخ وتبين لنا انه على عقيدة السلف" [٣]. ويبدو اختلافات الفقهاء المذهبية في هذه الفترة كانت من القوة بحيث تمكن خصوم ابن تيمية مرةً اخرى من إحضاره الى القاهرة ومحاكمته حيث تم سجنه مدة عام وبضعة أشهر ، ولم يفرج عنه الا بعد توسط امير العرب مهنا بن عيسى[٤].الا انه لم يلبث ان اعيد الى السجن مرة

---

[١] العقيدة الواسطية هي مجموعة فتاوى أجاب بها ابن تيميه عن أسئلة قدمت له من واسط وهي تمثل آراء ابن تيميه في الصفات . عن هذه العقيدة ينظر :- احمد بن عبد الحليم بن تيميه الحراني ( ت : ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ) ، العقيدة الواسطية ، تح : محمد بن عبد العزيز بن مانع ، ط٢ ( الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء ، ١٤١٢هـ ) ؛ ابي بكر الحصني الدمشقي ( ت ٨٢٩هـ ) ، دفع شبه من شبه ، تح : محمد زاهر بن الحسن الكوثري ، ( القاهرة ، د . ط ، بلا.ت ) ، جـ١ ، ص١٤ ؛ حافظ بن احمد حكمت ( ت ١٣٧٧هـ ) ، معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول ، تح : عمر بن محمود أبو عمر ، (٣ أجزاء ، الدمام : دار ابن القيم ، ١٤١٠-١٩٩٠م ) ، جـ١ ، ص٣٠ .

[٢] الدوادوري ، كنز الدرر ، جـ٩ ، ص١٣٤ . وربما كان المقصود بقوله انه شافعي أي ان هذه الفتوى لا تتعارض مع ما يعتقده الشافعي (رض) في الصفات .

[٣] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ ٢ ، ص ٣٩٦.

[٤] هو الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى أحد أفراد أسرة الأمراء العرب ، ومن سراة الشام ورؤسائها الأقوياء . كان صاحب تدمر ثم ولى ملك العرب بالشام ورئاسة آل فضل بعد وفاة والده سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ، كانت له منزلة عالية عند السلطان ، وعلاقة طيبة مع ابن تيميه ، وكان ذا زهد وتعبد ، توفي سنة ٧٣٥هـ .
الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٤ ، ص٣٦ ، جـ٥ ، ص٣٤٤ .

أخرى على أثر اتهام زعماء الصوفية له بتحامله على ابن عربي [1] الصوفي الاندلسي الشهير صاحب الفتوحات المكية ، وذلك زمن السلطان بيبرس الجاشنكير ، وظل في السجن حتى أطلقه السلطان الناصر محمد بن قلاوون في شوال سنة ٧٠٩هـ وأكرمه وبالغ في إكرامه [2] .

اما المحنة الثانية لابن تيمية فكانت أيضاً في دمشق سنة ٧٢٦هـ إذ اعتقل وسجن بسجن القلعة حتى مات كما تزامن اعتقاله مع حملة اعتقال وامتحان للكثير من مشايخ الحنابلة . وكانت هذه المحنة نتيجةً لفتوى شد الرحال ، التي كانت تدور حول زيارة قبور الأولياء [3] .

ان منزلة ابن تيميه كشيخ للإسلام ، رغم عدم اعتراف بعض الفقهاء والمعارضين تظل حقيقة واقعة من لدن المؤرخ ، فقد كان أحد شيوخ الإسلام دون أدنى شك ، والاهم من ذلك ان هذه المنزلة لم تقم على أساس من دعاية حنبلية محضة أو وثائق حنبلية يروج لها مؤرخو الحنابلة مثل ابن رجب او مؤرخ يميل الى اهل الظاهر من الحنابلة مثل شمس الدين الذهبي ، بل نتيجة طبيعية لتمتعه برئاسة العلم لمدرسة الحنابلة الفقهية [4]. ولمواقفه السديدة في الإفتاء والجهاد ضد أعداء الإسلام من المغول ومن أهل البدع .وكل ذلك جعله موضع اهتمام لكثير من الباحثين من لدن المستشرقين والمؤرخين العرب معاً [5] ، وما يهمنا هنا ليس استعراض مصنفاته وآراءه المتطرفة ، و إنما عمله كشيخ للإسلام خلال الربع الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، عندما تعرضت بلاد الشام للغزو المغولي على يد السلطان محمود غازان .

---

[1] هو محمد بن علي بن محمد الشيخ محيي الدين أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المشهور بابن عربي ولد سنة ٥٦٠هـ بمرسيه بالأندلس وتوفي سنة ٦٣٨هـ بدمشق ، ولابن تيميه انتقادات لبعض آرائه ، حول ذلك ينظر : الندوي ، الحافظ احمد بن تيمية ، ص ص٦٨-٧٧ ؛ وانظر عبد الجبار محمود شريمص ، محي الدين بن عربي مؤرخاً ( بغداد : مكتبة كلية الاداب ، ١٩٩٩م ) اطروحة دكتوراه غير منشورة .

[2] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٥٤ .

[3] درس هذه المحن السيد قاسم مراد في رسالة ماجستير غير منشورة ، بعنوان محن ابن تيمية ( بالانكليزية ) (منتريال :جامعة مليل ، ١٩٧٥) .

[4] تولى ابن تيمية رئاسة الحنابلة في الشام بعد وفاة شيخ الحنابلة الشيخ زين الدين بن منجي سنة ٦٩٥هـ .

[5] على رأس المؤرخين المستشرقين دراسات دونالد لتل ، ومن بين الكتاب المسلمين : محمد مهدي الاستانبولي ، ابن تيميه بطل الإصلاح الديني ، ط٢ ( بيروت : مط المكتب الإسلامي ، ١٩٨٣م ) ؛ عبد الرحمن الشرقاوي ، ابن تيميه الفقيه المعذب ( القاهرة : دار الموقف العربي ،١٩٨٣م ) ؛ محمد حربي ، ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره ، ط٢ ( بيروت :مط عالم الكتب ، ١٩٨٧م ) ؛ محمد بن ابراهيم الشيباني ، أوراق من حياة شيخ الإسلام بن تيمية ، ط١ ( الكويت : مكتبة بن تيمية ، ١٩٨٩م ) .

فبماذا تميز ابن تيمية عن غيره من شيوخ الإسلام الذين عاصروه ، وما هي الصفة التي تمتع بها ضمن هذه المنزلة ؟ وما هي خصوصيات عمله من وجهة نظر الدولة ؟ وبداية لابد من أن نحدد المؤهلات التي توفرت في ابن تيميه للرقي الى منزلة شيخ الإسلام ، في ضوء التراجم التي تتوفر للمؤرخ عنه .

إن المصادر التي تحتفظ بتراجم عن ابن تيميه كثيرة منها الحنبلية وغير الحنبلية ، توفر وجهتي نظر متعارضة في الشيخ وفي آرائه وفتاويه ، واحدة ترى في الشيخ شخصية لا تبارى وهي قائمة على توقيره وتبجيله وهذه في معظمها حنبلية ، وأخرى تقوم على التحفظ تجاه كثير من آرائه وأقواله ومواقفه الدينية- السياسية وتتعامل معها بكثير من الحذر ، فيما تتوفر روايات أخرى تقف من ابن تيميه موقفاً عدائياً واضحاً وتتهمه باتهامات مختلفة .

يمثل وجهة النظر الأولى الذهبي ، وابن شاكر الكتبي والبرزالي وابن كثير ثم ابن رجب وابن ناصر الدين وابن العماد . فالذهبي يتناول شخصيته بكثير من الإعجاب على نحو ما يظهر في مصنفاته المختلفة فيقول عنه في معجم شيوخه " شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاًء " [١] . وعند حديثه عن وفيات سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م في دول الإسلام ينعته بشيخ الإسلام [٢] ، ويصفه في تذكرة الحفاظ [٣] بشيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر . ثم يقول عنه في بيان زغل العلم " فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقدر ذكاًءمن رجل يقال له ابن تيمية " [٤] ثم يستطرد في الحديث عن سبب المحن التي تعرض لها فيقول " وما سبب ذلك الا الكبر والعجب وفرط الغرام في رئاسة المشيخة والازدراء بالكبار " [٥] ( يقصد بذلك المشايخ من غير الحنابلة ومؤيديهم من الامراء ). ويقول عنه ابن شاكر الكتبي " شيخنا الإمام الرباني ، إمام الأئمة ، مفتي الأمة ، وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، فارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، قريع الدهر ، شيخ الإسلام ، قدوة الأنام، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم

---

[١] الذهبي : معجم الشيوخ ، الترجمة رقم (٤٠) .

[٢] الذهبي ، دول الإسلام ، جـ٢ ، ص١٨٠ .

[٣] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٤٩٦ .

[٤] الذهبي ، بيان زغل العلم ، ص ص١٧-١٨ ، نقلاً عن صلاح الدين المنجد ، شيخ الإسلام بن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين ( بيروت : دار الكتاب الجديد ، بلا . ت) . ص ص ١١.٩ .

[٥] المصدر ذاته ، ص ص ١١.٩ .

الزهاد ، وأوحد العباد ، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين " [١] ، ويتابع ابن كثير الحوادث المتعلقة بابن تيميه مبرزاً دوره كشخصية مهمة وفعالة في المجتمع [٢] . وهو في نظر البرزالي [٣] مؤرخ الشام الكبير " الشيخ الإمام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد شيخ الإسلام " [٤] ، ومن هؤلاء المعترفين بامامته الشيخ ابن الزملكاني [٥] الشافعي أحد أصدقائه المقربين الذي تحول فيما بعد الى صف الخصوم بسبب الخلافات المذهبية يقول عنه " اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها " [٦] . واحتفظ لنا ابن الزملكاني برأيه فيه بابيات من الشعر يعتز بها كثير من الحنابلة يبدأ مطلعها بقوله :-

**ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر** [٧]

اما ابن رجب الحنبلي في ذيله على طبقات الحنابلة فيخصص ترجمة طويلة لابن تيمية يقول في بسملتها بعد ذكر اسمه " الإمام الفقيه ، المجتهد ، المحدث ، الحافظ ، المفسر ، الأصولي ، الزاهد تقي الدين ابو العباس شيخ الإسلام ، وعلم الإعلام ، وشهرته تغنى عن الإطناب في ذكره ، والإسهاب في أمره " [٨] ، وهو في هذا المفتتح في البسملة يعبر عن وجهة نظر حنبلية سائدة . ويصنف ابن ناصر الدين ( ت: ٨٤٢ هـ/١٤٣٩م) [٩] ، مصنفه الموسوم "الرد الوافرعلى من زعم ان من سمى ابن تيمية شيخ

---

[١] الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ١ ، ص٧٤ .

[٢] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٨، ١٤، ١٥، ٣٥-٣٧، ٤٥-٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ١٣٨ ، وغيرها .

[٣] القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي بهاء الدين الدمشقي الحافظ ، ولد في جمادي الأولى سنة ٦٦٥هـ ، درس وحصل علوم مختلفة ، ومن مصنفاته معجم الشيوخ ، ثم تاريخ البرزالي بدأه من عام مولده وهي السنة التي مات فيها ابو شامة فجعله ذيلاً على تاريخ أبي شامة ، توفيَّ في رابع ذي الحجة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م . ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص١٨٥ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص ص٢٧٧-٢٧٩ .

[٤] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص١٣٥ .

[٥] هو محمد بن علي بن عبد الكريم الانصاري الدمشقي ابن الزملكاني كمال الدين أبو المعالي ولد في شوال سنة ٦٦٧هـ ، وكان أحد المتقدمين في العلوم والتدريس ، والمشاورين في المجالس ، والمرجوع اليه في المناظرة ، اطلق عليه الذهبي عالم العصر وأمير الشافعية ، صنف في الرد على ابن تيميه رسالة في الطلاق وأخرى في الزيارة وعلق على كتاب المنهاج للنووي ، انتهت اليه رئاسة المذهب تدريساً وافتاءًومناظرة . توفي في ١٦ رمضان ٧٢٧هـ / ١٢٢٦م. ينظر عنه ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٥ ، ص ص ٣٢٨-٣٣٥ .

[٦] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص١٣١ .

[٧] المصدر ذاته ، جـ١٤ ،ص١٣١.

[٨] ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص٣٨٧ .

[٩] ابن ناصر الدين ، الرد الوافر ، ص ص ٢١- ٢٤ .

الإسلام فهو كافر" يدافع فيه عن ابن تيميه ، ضد خصومه بإبراز فضائله ، وإيراد شهادة العديد من العلماء الذين يقرون لابن تيمية بهذه المنزلة ، وفي هذا الصدد يأتي أخيراً ابن العماد الحنبلي ( ت: ١٠٨١هـ/١٦٧١م ) في شذرات الذهب فيصف ابن تيمية بالمجتهد المطلق، في علوم الشرع ، و يورد تبجيلات المصنفين قبله، مثل الذهبي وابن الزملكاني وابن كثير . ثم يورد لنا ثناء الشيخ عماد الدين [١] الواسطي المعاصر لابن تيمية ، حيث يقول ما نصه " فوالله ثم والله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيميه " [٢] .

وفيما يخص وجهة النظر الأخرى فترد على لسان كثير من المصنفين معظمهم من الشافعية ، وتتسم هذه الروايات بالتحفظ تجاه كثير من آراء ابن تيمية وفتاويه ومواقفه الشرعية ، وتركز عند إيراد ترجمته على سرد الأحداث والوقائع بلا تعليق عليها . من هؤلاء المصنفين الدوادوري في مصنفه الدر الفاخر وهو مخصص لدراسة سيرة السلطان الملك الناصر محمد ، وقد خصص فيه عنواناً يتحدث عما جرى للشيخ ابن تيمية ايام سلطنة الناصر ، ويسرد المحن التي تعرض لها والوقائع المختلفة التي أدت الى سجنه [٣]، ويقتصر ابن الوردي ( ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) على وصفه بشيخ الإسلام ، ثم يبين شدة تعلق الناس به فيقول عند الحديث عن موكب جنازته " والقى الناس عليه مناديلهم وعمائمهم للتبرك " [٤] ، كذلك يكتفي الصفدي ( ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) بتسميته بشيخ الإسلام ، كما نجد لابن تيميه تراجم من هذا القبيل عند اليافعي في مرآة الجنان [٥]، والمقريزي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م ) في كتابه السلوك [٦]، ويحتفظ لنا ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ/١٤٤٦م) بترجمة طويلة عن ابن تيمية ، الا ان ابن حجر على الرغم من التنوع في مادة الترجمة ، لا يعلن

---

[١] احمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن، الشيخ عماد الدين الواسطي الصوفي، نزيل دمشق ، تفقه وتأدب وكتب المنسوب– خط ينسب الى ابن مقلة . من اعماله شرح منازل السائرين واختصار سيرة ابن هشام ، دلائل النبوة . ينظر ، الكتبي ، فوات الوفيات والذيل عليها ،م١ ،ص٧٨ .

[٢] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص٨٣ .

[٣] الدوادوري ، كنز الدرر ، ص ص ١٣٣–١٤٤ .

[٤] ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص ص٤٠٦–٤١٣ .

[٥] اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ٤ ، ص ص ٢٧٧–٢٧٨ .

[٦] المقريزي ، السلوك ، جـ٢ ، ص٣٠٤ .

بصراحة عن رأيه تجاه مواقف ابن تيمية بشأن العقيدة ، وان كان لا يتردد كغيره من المصنفين في إبداء إعجابه بابن تيميه كأحد المتفوقين على أقرانه من علماء العصر [١] .

أما وجهة النظر الثالثة فهي المناوئة لشخصية واراء ابن تيمية والتي لاشك في ان الكثير يتوقعونها وذلك لكون ابن تيميه بآرائه التي تفرد بها قد آلّب على نفسه الكثير من الخصوم ، فاتهم باتهامات شتى ، لا يتسع المجال هنا لإيرادها ، وانما نكتفي بالإشارة الى ما قاله ابن بطوطة مثلاً في رحلته عن وصفه لما شاهد في دمشق عن الشيخ بقوله " وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون الا ان في عقله شيئاً وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم " [٢] ، ثم يواصل حديثه فيقول " ... وكنت اذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درجات المنبر " [٣] . وعلى هذا المنوال نجد ابن حجر الهيثمي ( ت ٩٧٣هـ/١٥٥٥م) يفتي بتكفير كل من أطلق لقب شيخ الإسلام على ابن تيميه [٤] ، ويحرم عليه هذا اللقب وهي الفتوى التي استهدف ابن ناصر الدين الرد عليها من خلال مصنفه الموسوم " الرد الوافر على من زعم ان من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام فهو كافر " . وما زالت وجهات النظر الثلاث هذه في ابن تيمية تتردد حتى اليوم [٥] ، وما يهمنا منها هنا هو التعرف على مواقف ابن تيمية كشيخ الإسلام في دولة السلطان الملك الناصر محمد .

---

[١] ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص ص١٦٨-١٨٧ .

[٢] محمد بن محمد بن عبد الله الطنجي ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة المسماة ( تحفة النضار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ) ، تح : علي المنتصر الكتاني ، ط٤ ( جزءان ، بيروت : مط مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ ) جـ١ ، ص١٠٩ .

[٣] المصدر ذاته ، جـ١ ، ص١٠٩.

انبرى كثير من الحنابلة للرد على الرحالة ابن بطوطة فيما يخص هذه الرواية ، مؤكدين ان ابن تيميه لم يكن في يوم ما خطيب جامع دمشق ، فضلاً عن انه في الوقت الذي كان فيه ابن بطوطة في دمشق في ٧٢٧هـ ، كان ابن تيميه معتقلاً في سجن القلعة ، وهذا يشير من وجهة نظرهم الى ان الأمر قد التبس على ابن بطوطة او نقل الخبر عن أحد خصوم ابن تيميه ، ينظر : النووي ، ابن تيميه ، ص١٤٥ .

[٤] الندوي ، شيخ الإسلام بن تيمية ، ص١٤٩ .

[٥] انظر – على سبيل المثال – انترنت . محمد الخضر:

WWW. ansar .org /arabic / articals .htm- 11 k

لقب شيخ الإسلام بين السنة والشيعة ، رداً على ما أثاره علي الكوراني حول ابن تيمية الحراني .

## مواقف ابن تيمية في إطار علاقاته مع السلطان الناصر محمد والأمراء المماليك

بداية ينبغي لنا ان نشير الى انه لابد لأي سلطان او لأي أمير من أمراء السلطنة سواء كان يقف الى جانب السلطان في دست الحكم او ضمن فريق الأمراء المعارضين والمتحينين الذين يبحثون عن الفرص للوثوب الى السلطة ، من مد جسور المودة مع جماعة العلماء والفقهاء خصوصاً منهم مقدمي الطوائف ، سواء كانت هذه الجسور حقيقية ومثالية او يقيمونها كوسيلة من وسائل التقرب الى جماعة العلماء والفقهاء واحتوائهم اما عن طريق السيطرة على المؤسسات الدينية التي تعد من أهم وسائل تواصل العلماء مع عامة المسلمين او عن طريق تقديمهم على الأقران والاعتراف المباشر بزعامتهم الروحية .وكان الغرض من هذه العلاقة هو حصول السلطان والأمراء على الدعم المعنوي للسلطنة فضلاً عن إسباغ الصيغة الشرعية على قرارات السلطنة سواء منها المتعلقة بالحرب اوحتى المتصلة بالشؤون المدنية عن طريق تأييد هذه القرارات بالفتاوى الشرعية المناسبة ، كما تظل الحاجة للعلماء والفقهاء حتى في دعم ومساندة الطموحات الشخصية لبعض السلاطين والأمراء .

في هذا المحتوى تطورت العلاقة القائمة بين شيخ الإسلام ابن تيمية والسلطة الحاكمة في أيام دولة الناصر محمد في محورين :– تمثل المحور الأول في المواجهة الدائمة مع المغول حيث شعرت السلطة الحاكمة في القاهرة فضلاً عن نيابتها في دمشق بالحاجة الى مساندة ابن تيمية في تهيئة الدمشقيين والشاميين للحرب ضد المغول ودعم جهود نيابة السلطنة الدمشقية في المقاومة ، وربما في مصاحبة جيش السلطان في أثناء الحرب مع العدو ، ومثل هذا كان يتوقع من ابن تيمية باعتباره عنصراً دينياً نشطاً وشجاعاً ومقدماً علي اتباعه الحنابلة في الأقل عند الدولة ، ومثل هذه الصورة تظهر في المبادرة التي قادها ابن تيمية مع جماعة من العلماء الدمشقيين لمقابلة السلطان محمود غازان الزاحف على بلاد الشام [1]، وفي إقناعه باعتباره سلطاناً مسلماً بالرجوع عن دمشق وعن عامة المسلمين . كما يظهر هذا الأمر أكثر وضوحاً في طلب نائب دمشق الأمير أقوش الافرم من العلماء والفقهاء ان يلتمسوا من ابن تيمية ان يتوجه على راس وفد من علماء دمشق الى السلطان في القاهرة لتحفيزه على الحضور

---

[1] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٧ .

لمواجهة المغول [١]، وأخيراً وليس آخراً في طلب السلطان الناصر محمد بن قلاون نفسه من ابن تيمية التواجد الى جانب الجيش المصري وذلك عند موقعة شقحب خلال شهور سنة ٧٠٢هـ/١٢٣٠٢م حيث اعتذر له ابن تيميه بأنه ينبغي ان يقاتل الى جانب قومه الدماشقة [٢] .

اما المحور الثاني فتمثل بالمواقف التي برزت من خلالها علاقة ابن تيمية مع السلطة عن طريق فتاويه التي تسببت في خلق نزاعات متكررة بين الطوائف الشامية المختلفة -خصوصاً منها الحنبلية والشافعية - والتي كادت تتطور الى فتنة داخلية بين الدمشقيين ، الأمر الذي كان يؤدي بالضرورة الى إقحام جانب السلطة في الخلاف كمحاولة منها للسيطرة على العناصر المسببة للخلاف، كما يظهر لنا من خلال تفاوت مواقف أمراء و رجال الدولة إزاء قضايا الخلاف بين كل من العلماء والفقهاء ، محاولة استغلال الأمراء والعلماء بعضهم لبعض ليستفيد كلٌ منهم من خلال الآخر في الترويج لقضيته .

لقد برزت مثل هذه القضايا بين الدمشقيين في البداية في سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م ، على أثر الفتاوى التي سميت بالحموية [٣] والمتعلقة بمسائل الصفات ، هذه العقيدة هي التي أثارت حنق أصحاب العقائد الأخرى ضد الحنابلة ، خاصة أصحاب العقيدة الاشعرية ، الأمر الذي ألب زعماء الإشاعرة ضده ، ودفع بهم الى التشهير به وبعقيدته في الأسواق والطرق ، ويقول ابن كثير نقلاً عن البرزالي انه كادت تحصل فتنة عظيمة في دمشق لولا تدخل نائب الشام سيف الدين جاغان وإصدار أوامره بالكف عن إطلاق أي حديث حول موضوع العقائد والصفات . ويعد تدخل الأمير سيف الدين في هذه المرحلة بالذات تدخلاً لصالح ابن تيمية وذلك لكون ان هذه الإجراءات قد أنقذت الحنابلة من التورط في محنة كبيرة كادوا ان

---

[١] المصدر ذاته ، جـ١٤ ، ص١٥ .

[٢] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص٢٦ .

[٣] العقيدة الحموية : هي أجوبة ابن تيمية على استفتاءات قدمت له من بعض أهل حماه في سنة ٦٩٨هـ ، سألوه فيها عن تحقيق العلماء في الصفات التي وصف الله بها نفسه ، في بعض الآيات مثل قوله تعالى " الرحمن على العرش إستوى " ، وفي بعض الأحاديث مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن " الى غير ذلك .
عن هذه العقيدة وما ترتب عليها ينظر :-
عبد الرحمن محمد قاسم ، كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة ، جـ٣ ، ص ص ١٨٠ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧ ، جـ٥ ، ٢٤٠ ؛ احمد بن ابراهيم بن عيسى ( ت : ١٣٢٩هـ ) ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، تح : زهير الشاويش، ط٣(جزءان ، بيروت : مط المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ ) جـ١ ، ص ص ١٤٩-٥٠٥ ، جـ٢ ، ص٤٣٩ ؛ الندوي ، شيخ الإسلام ابن تيميه ، ص ص ٤٤-٤٨ ؛ محمد يوسف ، ابن تيمية ، ص٩٦ .

يقعوا فيها مع كل من ممثلي السلطنة واصحاب العقائد الأخرى ، وقد يكون هذا ما يقصده ابن كثير بالإشارة الى ذلك بقوله " فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان وأرسل يطلب الذين قاموا عنده فاختفى كثير منهم ... " [١] .

وبخصوص المحنة التي امتدت خلال السنوات ( ٧٠٥-٧٠٧هـ/١٣١٢-١٣١٤م ) والتي كان السبب المباشر لها مجموعة الفتاوى الواسطية اوما يعرف بالعقيدة الواسطية ، و هي التي زجت بابن تيمية وبقية الحنابلة في محنة أخرى ، أصعب من المحنة الأولى .فقد كشفت عن موقفين للأمراء المماليك تجاه شيخ الإسلام ابن تيميه موقف يسعى – الى حدٍ ما – الى إيجاد جسور مودة مع شيخ الإسلام ابن تيمية على اعتبار انه شخصية لها أهميتها ومكانتها في المجتمع الشامي ، وموقف آخر يقف الى جانب خصوم ابن تيمية ، يمثل الموقف الأول نائب السلطان في دمشق الأمير جمال الدين الافرم الذي حاول إقناع ابن تيمية بعدم الذهاب الى مصر لمقابلة السلطان الناصر ، وان يؤجل السفر الى ان يبحث له عن مخرج من هذه المشكلة ، كما يمثل هذا التوجه ايضاً شخص السلطان الناصر نفسه وذلك بموقفه المهادن من العناصر التي تشارك في مسألة مقاضاة ابن تيمية، رغم الضغط عليه من قبل نائبه في القاهرة الأمير بيبرس الجاشنكير ، وجماعة العلماء المنتمين الى المدارس الدينية المعادية للحنابلة لاحضار ابن تيمية الى القاهرة ، وهذا الموقف الأخير للسلطان يظهر من خلال رسالته التي بعث بها الى دمشق والتي يقول فيها لنائبه الأمير الافرم " انما قصدنا براءة ساحة الشيخ وتبين لنا انه على عقيدة السلطان " [٢] .كما يظهر هذا التوجه أيضاً في موقف السلطان من ابن تيميه بعد عودته الى مقعد السلطنة للمرة الثالثة حيث أخرج ابن تيميه من السجن وأكرمه وأنب جميع خصومه [٣] الموقف الاخر المعارض لابن تيمية تمثل بمواقف الأمير بيبرس الجاشنكير الذي كان يؤيد أراء الشيخ نصر المنبجي

---

[١] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٤ .

[٢] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص٣٩٦ .

[٣] في المدة الثانية التي عزل فيها السلطان الناصر اتفق الشيخ المنبجي وبيبرس الجاشنكير الذي كان سلطاناً في حينه على نفي ابن تيميه الى الاسكندرية ، حيث أقام بها ثمانية أشهر فلما عاد السلطان الناصر لم يكن له دأب – على حد تعبير البرزالي -الا طلب الشيخ تقي الدين ابن تيميه من الاسكندرية معززاً مكرماً مبجلاً وأقام له مجلساً حافلاً بالقضاة والأمراء ويذكر ان السلطان عندما حضر ابن تيميه وقف له وعانقه، ثم انفرد به في البستان ساعة ثم عاد ، ألح عليه خلالها ان يفتيه بجواز قتل القضاة الذين تأمروا على السلطان وعلى ابن تيميه ، فرفض ، وعفى عن كل من تسبب له بأذى . ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص ص ٥٣-٥٤ .

[1] في ابن تيمية ، ويبدو انهما كانا وراء التوجيهات التي أصدرها السلطان الناصر محمد بإحضار ابن تيمية الى مصر ، حيث تمت محاكمته ، فضلاً عن المرسوم السلطاني [2] الذي بعث به الى الشام ، يشرح فيه عقيدة لبن تيميه ، ويحذر من اتباعها ، وتجلى هذا الموقف بصورة أكثر وضوحاً عند تولي الجاشنكير لمقاليد الحكم إثر انقلابه على السلطان الناصر قلاوون حيث تم تضييق الخناق على ابن تيميه حتى تم إيداعه في السجن اكثر من عام ولم يطلق سراحه الا بعد توسط أمير العرب حسام الدين مهنا بن عيسى لصالحه ، كما ذكرنا آنفاً .

اما المحنة الثالثة التي نستطيع ان نحدد من خلالها طبيعة العلاقة بين شيخ الإسلام ابن تيمية والسلطة المملوكية فهي تلك التي حدثت سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٢م وقد تمثلت بفتوى شد الرحال [3] التي تنص على تحريم زيارة قبور الأولياء الصالحين، وهي التي مثلت القشة التي قصمت ظهر البعير – حيث كانت خاتمة فتاوٍ عديدة تسببت في اشكالات عديدة لامارة دمشق كان من أهمها الفتوى الخاصة بالطلاق التي تقول ان الطلاق لايقع بالحلف به بدل الحلف بالله وانما على الحالف اذا حنث في يمينه كفارة اليمين ، كما ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد لايقع به الا طلقة واحدة رجعية [4] . ، وقد تسببت هذه الفتوى باضطهاد قوي لجماعة الحنابلة الدمشقيين .

---

[1] هو نصر بن سليمان بن عمر المنبجي نزيل القاهرة ولد سنة ٦٣٨هـ/١٢٤١م ، تصدر في القراءات وشارك في العلوم ، من تلامذته بيبرس الجاشنكير ولذلك فقد علا شأنه في دولة الجاشنكير ( ٧٠٨-٧٠٩هـ / ١٣٠٨-١٣٠٩هـ ) كان يحط على ابن تيميه من أجل حطه على ابن عربي ، توفي في جمادى الآخر سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٨م. ينظر : الذهبي ، المعين في طبقات المحدثين ، ص٢٣٢ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٦ ، ص١٥٨ .

[2] عن المرسوم السلطاني ينظر الدوادوري : الدر الفاخر ، ص ص ٣٩-٤٢ ؛ أو ينظر الملحق رقم ( ٧ ) في هذه الرسالة .

[3] فتوى شد الرحال : هي الفتوى التي صرح ابن تيميه من خلالها برأيه في مسألة زيارة قبور الأولياء الصالحين ، وقد قوبلت هذه الفتوى بمعارضة شديدة من مختلف الفئات الدينية وأدت الى غضب السلطة عليه، عن الفتوى ينظر : ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تح : محمد حامد الفقي، ط٢ ( القاهرة : مط السنة المحمدية ، ١٣٦٩هـ ) ، ص٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٤٣٠ .

[4] وكان من نتيجة هذه الفتوى صدور مرسوم سلطاني سنة ٧١٨هـ/١٣١٧م بمنعه من الإفتاء، ثم سجن خمسة أشهر ، ينظر ، ابن تيمية : الطلاق، جـ٢ ، ص٦٧ .

ما تجدر الإشارة اليه في هذا الصدد ايضاً هو ان موقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونائبه في دمشق كان قوياً تجاه التعامل مع ابن تيميه وجماعة الحنابلة حيث كان السجن هذه المرة هو أيسر ما نالهم ،فضلاً عن منعه من مزاولة الافتاء في قضايا الشرع الحنيف .

ان هذا الموقف الأخير الذي وصل اليه تطور الأحداث في العلاقة بين شيخ الإسلام ابن تيميه والسلطان الناصر يشير من جانب ابن تيميه الى انه لم يكن على استعداد للتخلي عن آرائه وفلسفته الخاصة بمسائل الشرع التي يتعامل من خلالها مع مخالفيه من جماعة العلماء ومع الأمراء و رجال الدولة المملوكية بمقتضى ما يراه يمثل السياسة الشرعية للفقهاء . كما تشير هذه الأحداث من جانب السلطان ونوابه الى انهم فشلوا في احتواء شيخ الإسلام ابن تيميه وتسييره على وفق المنهج الذي ترسمه الدولة . والواقع ان مواقف ابن تيمية هذه ومواقف السلطة منه تشير حتماً الى ان ابن تيمية كان يمثل ظاهرة مهمة لها تأثيرها في المجتمع المملوكي بمختلف اتجاهاته، وليس مجرد رئيس لطائفة حنابلة الشام فقط.

## ابن تيمية ومنزلة شيخ الإسلام

نستطيع القول ان منزلة شيخ الإسلام على نحو ما مر معنا في دور شيخ الإسلام ابن تيميه تتمحور فيما يلي :-

١- تفوق ابن تيمية على أقرانه خصوصاً الحنابلة حيث يمثل هذا التفوق برئاسته للمذهب في نواحي التدريس والإفتاء والدفاع عن آراء الحنابلة الفقهية .

٢- مبادرته في جهاد المغول بشتى الوسائل المتاحة لديه .

٣- اندفاعه المستمر في الدفاع عن قضايا الشرع الحنيف ضد من يراهم – من وجهة نظره – مارقين عن الدين او لديهم خلل في تصور العقيدة الإسلامية الصحيحة .

٤- ان إقرار ابن تيمية كشيخ للإسلام هو إقرار المجتمع المدني الشامي متمثلاً بعنصر الحنابلة وفئات العامة التي كانت تناصر هؤلاء الحنابلة الذين كانوا يمثلون قوة سياسية مهمة في محاربة العدو، سواء كان ذلك يشير الى الفرنج او المغول .

٥- أخيراً نستطيع القول ان السلطة قد أقرت هذه المنزلة المتمثلة بشيخ الإسلام ابن تيميه إقراراً غير رسمياً بحرصها ومتابعتها المستمرة لدور ابن تيميه هذا ومحاولتها لاحتوائه، تلك المحاولة التي بائت بالفشل على نحو ما رأينا .

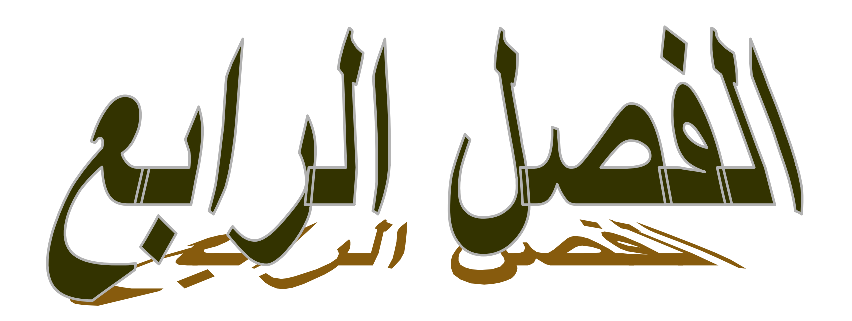
والخلاصة ان كثرة المشاكل التي تستدعي الإفتاء في حكم المماليك البحرية ، أوجبت على السلطان المملوكي ، النظر في تقريب شيخ الإسلام الى المؤسسة السياسية المملوكية والانتفاع منه رسمياً على مستوى الولايات العامة للدولة ، فالتركيب السياسي للدولة المملوكية كان يضم عنصرين أساسيين ذات صلة بالإفتاء وطبيعته ، من جهة حرب الجهاد القائمة ضد عدوين أساسيين للإسلام وهما الصليبيون – الفرنج بداية ، والمغول الايلخائيون لاحقاً ، الذين لم تنقطع تهديداتهم للمدن الشامية ولمقعد السلطنة المملوكية ، ومن جهة أخرى ، وضع المماليك الأمراء كعبيد أرقاء ، الذين يكّونون حجر الزاوية في المؤسسة العسكرية السياسية لدولة المماليك البحرية ، وهو إقرار للمنزلة الدينية – السياسية التي كسبها آنذاك مشايخ المدارس الفقهية الأربعة داخل المجتمع المملوكي في كل من مصر والشام ، خاصةً المدرسة الفقهية الشافعية .

والسؤال هو أي العوامل الداخلية التي شاركت في حصول هذا التطور تجاه السيطرة على ممثل المؤسسة الدينية ، وفيما بعد تحويله الى آلة سياسية بيد ممثلها السلطان ؟

لقد شاركت في هذا التطور عوامل مختلفة منها ان الحقبة طيلة استمرار المماليك في الحكم تميزت بانتشار المؤسسات التعليمية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ المؤسسات التعليمية ، التي كانت تتطلب الإشراف على التدريس ومؤسساته والوقوف المرتبطة به ، وهي من الأعمال التي تدخل في نظارات هذه المدارس والمشيخات والدور التي يشرف عليها شيخ الإسلام شخصياً او نوابه ، بقدر ما يتعلق الأمر بتلك التي تعود له إدارتها بإقرار من الواقف . ومنها ان العصر شهد ازدياد المناسبات الرسمية والاحتفالات واللقاءات الكثيرة بين قادة الأمراء والعسكر ومشايخ رجال الدين من الفقهاء والعلماء ، ومراسيم السلطنة والخلافة والإشراف على وضع أهل الذمة من اليهود والنصارى ، الذين كثر خروجهم على القواعد التي تنظم معيشتهم ونشاطهم داخل حدود المجتمع الإسلامي . ومنها ان العصر شهد ازدياد الألقاب المتوافرة للمشايخ من الفقهاء والعلماء بشكل لم يسبق له مثيل ، وتطلب الاتجاه من جانب السلطنة في العمل نحو تنظيم ذلك بالتعاون مع ممثلي المؤسسة الدينية .

وحقيقة الأمر الوقع ان شيخ الإسلام لم يكن من الممكن ان يبقى مطلقاً ليتسبب في احداث الأزمات المتتابعة مع الإدارة المملوكية وما يصاحبها من امتحان للشيوخ المتمردين عليها .

وفي هذا المحتوى كان المقتضى بشيخ الإسلام ان تكون لديه مؤهلات خطابية ولغوية قائمة ، وان يكون مميزاً فيهما برئاسة العلم وبلوغ مرحلة الاجتهاد والإفتاء . فشيخ الإسلام لم يكن اسم بالسمعة او منزلة بالتخصيص من أفراد . بل هي منزلة ترقى الى اعتراف المجتمع الديني به . فليس من الصدفة ان نجد عز الدين بن عبد السلام ومحي الدين النووي وابن دقيق العيد وابن تيميه بين الأسماء اللامعة التي تمثل شيخ الإسلام لهذه الحقبة من تاريخ الإسلام ، فهؤلاء جميعاً كانوا من أئمة المدرسة الدينية التي ينتمون اليها وهم يمثلون المدارس الفقهية النشطة في الشام ومصر ، الشافعية والحنبلية . مع ان هذا في المفهوم الفيلولوجي للكلمة لم يكن مجرد تحول من مقدم للطائفة الى شيخ الإسلام لان الأخير كان يتمتع بمكانة وامتيازات واسعة جداً لا تتقارب مع تلك التي كان يحظى بها الأول . لكن هذا التحول انتقل بالتدريج من حالة الصفة غير الرسمية الى الوضع الرسمي الثابت .




# شيخ الإسلام بين المجتمع والدولة

كان شيخ الإسلام ، على نحو ما يتضح من تحليل مجمل التراجم الخاصة به ، شخصية مهمة في الدولتين الأيوبية والمملوكية عادة ما يواجه السلطان بالمواقف الشرعية الشديدة ويتحدى في مرتبة أدنى الأمراء المتنفذين من مقدمي المراتب والفرق السلطانية ، وفوق ذلك يتحدث باسم جمهور العامة والعلماء والفقهاء الذين ينتمي إليهم بكل شيء . لكن هذا الشيخ ذا المكانة المميزة التي يحظى بها والعلم الذي يلزم بناصيته لم يحصل أن نال مباشرة أو بشكل غير مباشر على اعتراف الدولة به من زاوية أي وجهةٍ وظيفية كانت تخص مكنتها الإدارية ، ولم يحصل أن تقرر للدولة خلال أية مرحلة من مراحل حكمها السياسي على البلاد من المجيء به إلى مركزية الإدارة والحكم وتوجيهه الوجهة الوظيفية التي يخدم بها السلطنة لكلا الدولتين . ولم يظهر شيء ثابت في الدولة العربية الإسلامية بهذه الوجهة ، حسب علمنا ، إلا خلال أيام حكم الدولة العثمانية حين تحول حامل هذا اللقب الى منصب إداري متحد يمثل الدولة ويحتل مركزا مرموقا في تكويناتها الأرستقراطية ، بصفة مباشرة بعد السلطان والصدر الأعظم ، ومثل هذه الظاهرة للدولتين تثير الاستغراب حقا ، والحاجة تدعو المؤرخ المبتدئ الى أن يسأل لماذا لم تعترف الدولة الأيوبية وبعدها المملوكية الأولى به ضمن حدود والتزامات أي وظيفة إدارية – رسمية تمثل الشيخ ؟ ولماذا لم تعمد الجهات الإدارية الى تحويله الى وسيلة من وسائل السيطرة على المؤسسة المتنفذة في البلاد ؟ فقد كانت عناصرها في شتى المدارس الفقهية وشيوخ المحدثين والقراء والصوفية بدون شك تتمتع بامتيازات هائلة – داخل المراكز التي تقوم بتأدية واجباتها الدينية والتعليمية والشرعية – مصدر بعضها رجال و أمراء الدولة وبعضها الأخر شرائح المجتمع وتكويناته . والاهم من ذلك أن مثل هذا المجتمع الديني في كل من الشام ومصر كان يهيئ من بين صفوفه ومراتبه اكثر من شيخ إسلام واحد في آن واحد ، كل واحد منهم يتمتع باعتراف الجماعة التي تمثله ، فلماذا لم تفكر الدولة في اتخاذ أية إجراءات تستهدف إنهاء حالة التعددية في هذا المركز لصالح منصب تمثله شخصية موحدة لشيخ الإسلام تعترف به الدولة ؟

من الأمثلة التي حللنا من خلالها شخصيات شيوخ الإسلام ، كل من ابن الصلاح ، والعز بن عبد السلام ، ومحيي الدين النووي ، وابن دقيق العيد من رجال المذهب الشافعي ، ثم شخصيات شيوخ الإسلام من الحنابلة كابن قدامه المقدسي ، ومجد الدين بن تيمية ، ثم حفيده الشهير تقي الدين ابن تيمية

[1] يتبين لنا أن شيخ الإسلام كان مركزاً متطوراً جداً في المجتمع في الدولتين الأيوبية والمملوكية الأولى، لا نجد أعلى منه منزلةً بين كل الفئات والعناصر الدينية المكونة للمؤسسة الدينية ، تماماً مثلما لم يكن بإمكان الدولة أن تتجاهل دوره في المجتمع والدولة معاً ، أو جعله صنيعة يرقى الى قبول صفته داخل حدود هذا المجتمع وتشكيلاته . إن كل شيخ من هؤلاء الشيوخ المذكورين آنفاً كان له وظيفته التي يؤديها ضمن مؤسسته التعليمية التي يباشر بها وظيفته كمدرس مسؤول عن درس الفقه وأصوله ، أو وظيفة ناظر للمدرسة التي يتقرر بها وصية الواقف ، أو إمام للصلاة أو خطيب لاحد جوامع الدولة ، وكذلك مفتي لقضايا الشرع الحنيف ، فمثلاً كان العز بن عبد السلام يتولى الخطابة والإمامة للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب [2] ، وكان ابن دقيق العيد يتولى الإمامة والتدريس والإفتاء فضلاً عن القضاء الذي تولاه مدة ثمان سنوات وقد تولى هذه المناصب خلال حكم سلاطين المماليك ابتداءًبعهد السلطان الظاهر بيبرس حتى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون [3]، كل هذه الوظائف في حقيقة الآمر فيها شيء من المهام الرسمية التي تقترن بالدولة وتتولى الإشراف عليها ، على الرغم من أن هذه المؤسسات التعليمية والدينية المتنوعة لم تكن مؤسسات رسمية عائدة للدولة ومن تنفيذها ، بل هي خليط من مؤسسات بعضها رسمية لصلتها بالسلطان أو نائبه ، وبعضها غير رسمية من عمل المجتمع ومن مساهمة التجار الميسورين من عناصره التي تعترف بزعامة شيخ الإسلام وتتبعه ، لكن كل هذا لم يضع شيخ الإسلام في القالب الرسمي للدولة خلال حكم البيت الأيوبي أو خلفائهم سلاطين المماليك وتدعو الى التعاون معه أو التصدي لنفوذه على الرغم من وجود صفة من التمييز بين منزلة هذا الشيخ أو ذاك من وجهة نظر السلطان أو ممثله. وكما أن شيخ الإسلام باعتباره رئيس للطائفة أو المذهب الذي ينتمي أليه كان أيضا يشغل صفةً ما ذات صلة بالدولة ، فما موقف الدولة من الحالة التي تطور بها مركز شيخ الإسلام في المجتمع الأيوبي أو المملوكي وما وجهة نظرها به كأحد أهم العناصر في المؤسسة الدينية للبلاد والمجتمع الذي تسير شؤونه السياسية والدينية ؟

---

[1] انظر بالتتابع الفصل الثاني ص ص ٤٩–٨٣ من الرسالة ، والفصل الثالث ص ص٩٣–١٢٥ من الرسالة أيضا .

[2] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٢١٠، ٢١١ ؛ السلامي ، المنتخب المختار ، ص ١٠٥ .

[3] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م ٦ ، ص٦ .

من وجهة نظر الدولة ، توجد فئتان من شيوخ الإسلام في مجتمع الدولة السياسي فئة تأخذ مواقف متشددة جداً من القضايا التي تخص السلطنة كالإجراءات ذات المساس بالأموال العامة كالأموال التي تجمع لسد نفقات حروب الجهاد ضد أعداء الدولة العربية الإسلامية ، ومثل هذه الفئة تنفذ عادة مسئوليتها من خلال مواقف يتقدم بها شيخ الإسلام عن طريق مهمة الإفتاء ، او التشهير بأعمال بعض السلاطين من خلال الخطب والدعوات العامة التي يمارسها في ضوء الواجبات التي كان يضطلع بها والامتيازات التي يحصل عليها ويتمتع بها، وفئة تناصر الدولة وتؤيد مواقفها العامة، على الرغم من إنها لا تتطابق مع وجهة نظر الدولة في كل شيء من هذه المواقف وتحمل صفة من الاعتراضات الشرعية المسموح بها من لدن السلطان الرئيس الأعلى للبلاد . ولا يوجد أدنى ريب في وجود هاتين الفئتين وعملها ضمن تشكيلات المجتمع السياسي الأيوبي والمملوكي والتي في ضوئها كانت تتحدد مواقف السلطنة من هؤلاء الشيوخ في قضايا الثواب والعقاب والقضايا التي تؤدي بالشيخ الى محنة شخصية مع السلطان قد تصل الى حد أمر القبض عليه واعتقاله بل ومحاكمته في بعض الأحيان لان ما كان يمثل شخص شيخ الإسلام لتلك الأجيال لم يكن مقتصراً ظهوره بين ظهرانيهم على فئة مذهبية واحدة، بل كانت حرية الاختيار و توفر من يمثلها لكل هذه الفئات من شيوخ الإسلام أمراً قائماً دوماً ، الى حد مستوى وجود اكثر من شيخ واحد من شيوخ الإسلام ضمن المذهب أو الطائفة الواحدة . وفي هذا المحتوى كان شيوخ الإسلام من الحنابلة هم الذين يمثلون الاتجاه الأول ، فيما كان شيوخ الإسلام الشافعية يمثلون الاتجاه الثاني .

إن الفئات التي كانت مصالحها تتأثر بمواقف شيخ الإسلام من خلال فتاويه أو إجراءاته الشرعية والدينية المختلفة كثيرة أهمها كل من :.

١- السلطان هو الجهة العليا في الدولة، ومواقفه تشمل عادةً سياسة البلاد في مسائل الجهاد والحرب، فضلاً عن تدخل مصالح السلطان الشخصية في امتلاك الأموال وشراء المماليك ، وترشيح خليفة السلطان من أولياء العهد وغيرها .

٢- الأمراء من مراتب السلطنة، ومصالحهم تشمل بالأساس قضايا البيع والشراء للمماليك والغلمان ، وحق المال العام للمسلمين ، كون المماليك من الأمراء الأرقاء لا يحصلون على الإعتاق في حالة الرق إلا بعد دفع ما بذمة الأمير المملوك من حصة بيت المال يقررها شيخ الإسلام .

٣- فئات الدولة والمجتمع الأخرى .

ومع ذلك ، لم تعمد الدولة ، في هذه المدة قيد الدراسة ، الى عمل صنيعة من شيخ الإسلام ترفعه الى مستوى المنزلة الرسمية ، أو حتى الى تقديم الدعم المباشر له ليتبوأ مثل هذه المنزلة ، من اجل ان يسهل هذه المهمات التي كانت تعول عليها الدولة كثيراً ، فالدولة لم تجرب حظها في هذا الجانب ، من عهد الى آخر ومن سلطان شديد البأس والسطوة الى آخر ضعيف الهمة والعزم ، بل تقبلت ما كان يتقدم به المجتمع من زعامات لهؤلاء الشيوخ ، إلا أن الدولة في حقيقة الأمر الواقع تتصدى بشخص السلطان لشيخ الإسلام الذي يهدد مصالح السلطنة أو يرتقي الى اتخاذ المواقف العدائية من شخص السلطان . غير أن السؤال يبقى فيما يخص كيفية عمل شيوخ الإسلام هؤلاء ضمن حدود الدولة التي يتولون مسؤولية الدين والمجتمع فيها ؟ والذي يتطلب الجواب هنا التعرف أولاً على كيفية عمل مثل هؤلاء الشيوخ ضمن تشكيلات المجتمع الذي ينتمون إليه ، والاهم أن نتعرف فيما إذا كانت هناك على هذه الشخصيات من تحديدات أو عوائق تضعها الدولة في مجريات أعمالهم بالمجتمع.

تمثل مراجعة سيرة شيوخ الإسلام وعملهم في الدولة الأيوبية كل من المجموعتين الشافعية والحنبلية في المجتمع الديني للبلاد . وهم يتمثلون بتيارات فكرية مختلفة لا تعترف الواحدة بالأخرى من حيث زعامة كل منهما تجاه الأخرى ، ففي مجال علم الحديث وتفرعاته يوجد تيار مهم بين الشافعيين يمثله شيخ الإسلام هو تيار ابن الصلاح ، الذي يلتقي بممثلي فئات أخرى مؤكدة لتيار أهل الحديث هم قادة الحنابلة من أهل الظاهر . إلا أن هذا التيار للمحدثين من الشيوخ لم يكن التيار الأقوى في المدرسة الفقهية الشافعية ، ودون أدنى ريب لم يكن التيار المقرب للسلطة ، بالرغم من وجود لعناصر منه ممن تمتعت بمنزلة شيخ الإسلام ، صلة بشخصيات البيت الأيوبي الحاكم أو الأمراء من أرباب السيوف غير السلطان [1]، أما التيار الآخر الممثل لشيخ الإسلام فهو تيار المتكلمين الممثل للشافعية- الأ شعرية ، متمثلاً بشيخ الإسلام العز بن عبد السلام ، وهو التيار الأقرب للسلطان الأيوبي سواء كان الأخير هو السلطان الكامل محمد أو ابنه الصالح نجم الدين أيوب وهو، من وجهة نظر الدولة، التيار الذي يعول على عناصره في تمثيل المؤسسة الدينية في المناسبات العامة، وقضايا إقرار ولاية العهد والاحتفال

---

[1] على نحو العلاقة التي كانت قائمة بين شيخ الإسلام ابن قدامة و الملك العزيز . ينظر ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٨٩ . كما كانت العلاقة قائمة دوماً بين جماعة المحدثين من الشافعية والحنابلة ونواب السلطنة الأيوبية في دمشق كل من المعظم عيسى ٠( ت: ٦٢٤هـ/١٢٢٧م )والاشرف موسى ( ت : ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ) ثم الصالح إسماعيل وغيرهم .

بالانتصارات على أعداء البلاد من الكفار . لكن مشكلة هذا التيار تكمن في كراهية أصحاب التيار الأول لعلم الكلام الذي ترى فيه قوة الشافعية . ألا شعرية الوسيلة الأساس للذود عن الدين والحجاج عن العقائد الإيمانية ، على نحو ما تمثل في مذهب أبى الحسن الأشعري . فكيف كان يعمل هؤلاء الشيوخ في مراتب الدولة ومؤسساتها ؟ .

كان هؤلاء الشيوخ يعملون في إطار الدولة الأيوبية من خلال الوظائف المتاحة لهم خصوصاً وظيفتي الإفتاء والخطابة ، لكن الأهم انهم كانوا يؤدون دورهم بالشكل المطلوب منهم كشيوخ للإسلام من خلال التأييد المستمر الذي يتلقونه من عناصر المجتمع الشامي والمصري ، ذلك التأييد الذي كان يجعلهم في مكانة يستطيعون من خلالها تحقيق حضورهم ووجودهم في أجهزة الدولة العليا على نحو تحملهم مسؤلية رياسة المذهب والعلم ، ثم تصبح الدولة أمام أمر لا مفر منه وهو تقرير هذا الوجود وأخذهم بعين الاعتبار عندئذ أثناء صنع أي قرار سياسي يتعلق بها خصوصاً منها تلك القرارات المتعلقة بالقضايا العامة مثل الجهاد ضد أعداء الإسلام من الصليبيين أو المغول . ومن جهة أخرى نجد السلاطين والأمراء الأيوبيين قد كانوا دوماً يحرصون على الحفاظ على تلك المكانة التي يحظى بها شيوخ الإسلام في المجتمع الأيوبي ، وهذا الحرص يتمثل في إقامة جسور المودة بينهم وبين هؤلاء الشيوخ ببناء مؤسسات تعليمية وعمرانية ودينية وتقديم "الجامكيات" لتلاميذهم ، وتظهر هذه المودة من السلاطين والأمراء الأيوبيين تجاه شيوخ الإسلام في موقفين :

الموقف الأول يخص السلاطين في مقعد السلطنة في مصر ، حيث حظي ألا شاعرة بعلاقات وطيدة معهم ، واستطاع مركز شيخ الإسلام من الشافعية ألا شعرية من خلال هذه العلاقة أن ينال مكانة مهمة في المجتمع الأيوبي ، كما رأينا عند تحليلنا لشخصية شيخ الإسلام العز بن عبد السلام الذي استطاع من خلال جملة الوظائف التي أنيطت به أن يمارس مهامه كشيخ للإسلام ومقدم لفئته من الشافعية الأ شعرية ، واصبح له تأثير في مجريات الحياة العامة ، كما حظيت فتاواه باحترام وتبجيل من مختلف الجهات في دولة الخلافة العباسية [1] ، إلا أن العلاقات الودية هذه كثيراً ما كانت تتعرض لنكسات مختلفة مؤقتة في معظم الأحوال ودائمة في حالات اقل ، والسبب في نظرنا يعود بدرجة أساسية الى قوة مركز شيخ الإسلام في المجتمع الى الحد الذي لم يكن عنده على استعداد لقبول أي تجاوزات

---

[1] انظر السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢١١ .

سياسية على حساب وظيفته ودوره في المجتمع مهما كان نوع هذه التجاوزات أو حجمها ، ودون شك ان مركز شيخ الإسلام قد اثبت مدى الدعم الذي كان يتلقاه من المجتمع بحيث مكنه من إظهار مثل هذا المركز القوي تجاه العناصر المتقدمة في مسؤلية الحكم من البيت الأيوبي .

الموقف الآخر من جهة الدولة الأيوبية تجاه مركز شيخ الإسلام مثله نواب السلطنة في بلاد الشام خاصة دمشق وذلك بحرصهم على تقريب شيخ الإسلام من جماعة المحدثين سواء من الشافعية أو الحنابلة ، وتجسد هذا الموقف بشكل أساس لدى نواب السلطنة في دمشق كالمعظم عيسى ( ت: ٦٢٤هـ/١٢٢٧م) والاشرف موسى ( ت:٦٣٥هـ/١٢٣٧م) والصالح إسماعيل ، حيث تمكن مركز شيخ الإسلام من تيار المحدثين من مزاولة عمله من خلال الدعم الذي كان يتلقاه من قبل هؤلاء النواب بحرصهم على تقريب شيخ الإسلام من المحدثين إليهم ومن ورائهم العامة الذين يساندون زعامة هؤلاء لمواجهة تحديات السلطان في الإقالة والعزل ، وفي التصدي للتحالفات التي كانت تقام بهذا الشأن . ولكن ما هي الحيثيات التى تقف وراء وجود موقفين من قبل السياسة الأيوبية تجاه مركز شيخ الإسلام في الشام ومصر ؟ في تقدير الباحث المتواضع أن الإجابة تكمن بدرجة أساسية في كون الدولة الأيوبية لم تكن دولة مركزية الى الحد الذي يخلف توجه واحد نحو مثل هذه القضايا تتبناه الإدارة الأيوبية في المركز وتفضي به كسياسة على الأطراف ، ولذلك نجد نائب السلطنة في دمشق لهذا الاعتبار ولاعتبار آخر أساس هو انه يرى من نفسه سلطاناً مساوياً لسلطان الوقت في مصر يحمل تطلعات دائمة للتوسع والاستحواذ على مقعد السلطنة نفسه .ومن الأمور التي يمكن أن تكون مؤشراً تجاه هذا التطلع أيضاً هو وجود تلك العلاقة الوطيدة القائمة بين نائب السلطنة بدمشق وبين شخص شيخ الإسلام من محدثي الشافعية والحنابلة المعارضين للسلطان الأيوبي في مركز السلطنة في مصر ، الأمر الذي يشير أيضا الى رغبة الأيوبيين من أولاد البيت الأيوبي الحاكم في دمشق في الحصول على دعم عناصر المجتمع الشامي في دمشق وتأييده ممثلا بالفقهاء والعلماء وقياداتهم من شيوخ الإسلام ، الذين اكتسبوا اعتراف المجتمع وتأييده لهم . ومقابل هؤلاء المحدثين وجد شيوخ الإسلام من ألا شاعرة معارضة شديدة لنفوذهم من قبل نواب السلطنة هؤلاء بالتتابع ، مثلا موقف الصالح إسماعيل خلال نيابة السلطنة من شيخ

الإسلام العز بن عبد السلام [١] ، كذلك بالمقابل وجد مركز شيوخ الإسلام من جماعة المحدثين معارضة شديدة من قبل السلاطين الأيوبيين في مصر ، على نحو ما حصل أيام السلطان الكامل محمد عندما حضر الى دمشق وقابل أخاه الاشرف موسى نائب السلطنة حينئذ حيث عاتبه وزجره . على حد تعبير السبكي . على موقفه المتخاذل تجاه شيخ الإسلام العز بن عبد السلام قائلاً " والله مليح ، ما هذه إلا سياسة وسلطنة ! تساوي بين أهل الحق والباطل ،( يقصد بين الأشاعرة والحنابلة) ....كان الطريق أن تمكن أهل السنة ...وان تشنق من هؤلاء المبتدعين عشرين نفساً ، ليرتدع غيرهم " [٢] يريد بذلك جماعة الحنابلة الدمشقيين الذين كانوا يكونون قوة مهمة في المدينة .

اما في الدولة المملوكية البحرية فكان هناك أيضا مركزان لشيخ الإسلام ، الأول يمثل الشافعية ألاشعرية ومن هؤلاء شيخ الإسلام محيي الدين النووي وشيخ الإسلام ابن دقيق العيد فضلاً عن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام وقد حظي هذا التيار عموما كما كان في عهد الدولة الأيوبية بالتقريب من السلاطين المماليك في مصر إذ تركوا بين أيديهم جملة من الوظائف مارسوا من خلالها دورهم كمشايخ للإسلام واصبح التعاون قائما بين مركز شيخ الإسلام و سلاطين المماليك في مختلف المسائل التي تخص السلطنة سواء الجهاد أو تقرير الوضع الداخلي للعامة رغم الخلافات القائمة بين سلطان الوقت وكل شيخ من هؤلاء الشيوخ وطالما كانت العلاقة هنا قائمة بين مركز شيخ إسلام قوي من جهة يستمد قوته من المجتمع ومن تعاليم الدين الحنيف ويتطلع في الوقت نفسه إلى تنفيذ توجيهات الشرع الحنيف كاملة كون هذه التوجيهات والسعي في تنفيذها هي روح هذا المركز الذي يحظى به ، وبين السلطة السياسية من جهة أخرى التي تسعى عادة إلى إيجاد مبررات عن طريق هذا المركز للتسامح عن تجاوزاتها التي حصلت في السياسة الداخلية .وفي هذا المحتوي كان من الطبيعي أن نجد كثيراً من حالات الخلاف التي تقوم بين ممثل مركز شيخ الإسلام والسلطة القائمة على الرغم من حالة الود والتعاون القائمة فيما بينهم والتي كما قلنا انها كانت طبيعية وآنية في وقت واحد ، وليست سياسة عامة للسلطان بهذا الشأن .والشيء الذي يثير الانتباه هنا هو أن المشاكل الدائمة التي كانت موجودة بين هذا التيار من شيوخ الإسلام و نواب السلطنة في دمشق لم تعد موجودة أيام المماليك .

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٤٣.

[٢] المصدر ذاته ، م٨ ، ص ٢٣٨ .

أما بالنسبة للحنابلة الشاميين فيمكن أن يقال أن مركز شيخ الإسلام اتسم بموقف عدائي مع السلطان المملوكي على نحو ما يتضح من الحالة القائمة بين شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية واشهر سلاطين المماليك البحرية ، وهو السلطان الناصر محمد بن قلاوون خلال فترات مختلفة من أيام سلطنته الطويلة (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤٠م ) وكذلك في العلاقات مع الأمير بيبرس الجاشنكير خلال فتره سلطنته القصيرة التي تخللت فترة عزل السلطان الناصر محمد (٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٨-١٣٠٩م ) فقد تسببت هذه العلاقة بالكثير من المحن لجماعة الحنابلة الشاميين ولممثلهم شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية [١] . في إطار هذه العلاقة لجأ السلطان الناصر محمد إلى وضع العراقيل أمام ممارسة شيخ الإسلام لعمله منها منع ابن تيمية من أداء عمل الإفتاء والخطابة اللذين يعتبران من أهم الأمور التي يتحملها شيخ الإسلام على عاتقه ،وقد تصل هذه العراقيل إلى الاعتقال والسجن لمدد طويلة فضلاً عن التشهير بشخص شيخ الإسلام وتحذير العامة من السير وراءه.

وتم تنفيذ معظم هذه العراقيل عن طريق ممثل نيابة السلطنة في دمشق الأمير الافرم وهذا الأمر يجرنا حتما إلى سؤال مهم وهو لماذا اختفى ذلك الدعم الذي كان يجده مركز شيخ الإسلام من المحدثين من نائب السلطنة في دمشق ؟ وبالمقابل لماذا انتهت المشاكل التي كانت تعترض شيخ الإسلام الشافعي من قبل مركز السلطة في دمشق ؟

والإجابة عن هذا السؤال تعود إلى طبيعة العلاقة القائمة بين مركز السلطة في مصر ونيابتها في الشام حيث أن وضع هذه العلاقة في عهد الدولة المملوكية اصبح من القوة والمتانة و أصبحت نيابة السلطنة تابعة لمركز السلطنة إلى الحد الذي اختفى معه وجود موقفين في آن واحد ، ومع ذلك نجد بعض الود الشخصي القائم من قبل نيابة السلطنة في دمشق " أي من قبل الأمير الافرم " تجاه شيخ الإسلام ابن تيمية إلا أن مركز شيخ الإسلام أيام ابن تيمية كان من الصلابة بحيث رفض هذا الشيخ تقديم أي تنازل قد يساعد على تطوير هذه العلاقة التي تسعى سلطات دمشق إليها حتى تحصل على تأييد من جماعة المحدثين الحنابلة في دمشق .

---

[١] عن المحن التي تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية ينظر ، ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص ص ٣٩٦. ٤٠١ ؛ محمد يوسف موسى ، ابن تيمية ، ص ص ٩٥. ١٠٨ .

لكن يبقى السؤال الأكثر أهمية قائماً وهو ماذا قدم شيوخ الإسلام هؤلاء لأفراد المجتمع العربي الإسلامي من خلال المكانة التي رفعهم هذا المجتمع أليها ؟

وقبل الشروع في الإجابة عن هذا السؤال لابدّ من الإشارة الى انه في أي مجتمع من المجتمعات العربية الإسلامية . كما هي الحال في دمشق والقاهرة . تعمل فئاته المختلفة دوماً على إفراز جماعة من المتميزين يمثلون الصفوة في هذا المجتمع ، وكلمة الصفوة هذه التي تحظى بها تلك الجماعة تأتي دوماً من مصادر مختلفة لعل من أهمها مصدران : الأول يتصل بصفات خاصة بهم سواء كانت ذاتية أو مكتسبة والمتمثلة بقدراتهم العالية على التحصيل في مختلف العلوم الدينية وبالتالي أيضا قدرتهم على تقديم الفائدة المتعلقة بهذه العلوم لأبناء مجتمعهم ، فضلاً عن قدرتهم على استنباط الأحكام التي يقدمونها كحلول ناجحة لمعظم قضايا المجتمع سواء منها العامة أو الخاصة، فضلاً عن قدرات أخرى مختلفة تتصف بها هذه الجماعة . أما المصدر الثاني فيتأتى من اعتراف المجتمع و إقراره بهذه المكانة لهذه الصفوة ويعبرون عادةً عن هذا الاعتراف بالاستجابة الفورية لتوجيهات وإرشادات ممثليهم والمتعلقة بالتعاليم الدينية ، والفتاوى الشرعية التي يقدمونها مهما كانت التبعة المترتبة من جراء الاستجابة لهذه الفتاوى . كما يعبر المجتمع عن هذا الاعتراف بحرص أفراده على النهل من علوم هؤلاء الصفوة ، والالتحاق بالمدارس التي أوكلت مهمة التدريس فيها إليهم . ولا شك في أن هذه الأمور المتعلقة بالصفوة في أي مجتمع من المجتمعات العربية الإسلامية ، خصوصاً مجتمعات الدولتين الأيوبية والمملوكية قد تجسدت في شخصيات شيوخ الإسلام الذين قاموا بالمهام الموكلة إليهم بناءً على وحي من هذه المكانة والمنزلة التي تبوأوها . وتفاعلاً مع تطلعات المجتمع إليهم باعتبار أنهم الأقدر و الأجدر من غيرهم على معرفة طبيعة وخطورة أي مشكلة تطفو على السطح قد لا يدركها غيرهم من أفراد المجتمع ، وبالمقابل كان المجتمع يقف دوماً خلف هؤلاء الشيوخ في مواجهة أية مشكلة يتصدون لها مع العناصر المتنفذة في المؤسسة العسكرية . السياسية للدولة . فما هي مشاكل المجتمع العربي الشامي والمصري التي كان يتصدى لها شيوخ الإسلام ؟ وماذا قدموا للمجتمع بهذا الخصوص ؟ . و ما هي المشاكل الاجتماعية التي كانت قائمة في المجتمع العربي الإسلامي آنذاك ؟ و دور مشايخ الإسلام في التصدي لها ومعالجتها ؟

لقد تعرض المجتمع العربي الإسلامي خلال فترة حكم الأيوبيين والمماليك لهجمات شرسة من الصليبيين أولا ثم المغول الالخائيين فيما بعد ، حيث استطاعوا أن يخلفوا وراءهم مشاكل اجتماعية عديدة نتجت معظمها عن طريق اختلاط العناصر الغريبة بأفراد المجتمع ، وبعضها الأخر عن طريق بعض المندسين داخل المجتمع العربي المسلم من الحاقدين عليه ، وسوف نقتصر هنا على ذكر بعض تلك المشاكل لنبرز دور مركز شيخ الإسلام من خلالها :

أهم واخطر مشكلة واجهت المجتمع العربي الإسلامي هي انتشار الفساد ولا سيما الفساد الأخلاقي فضلاً عن انتشار الكثير من البدع واختلاطها بالتعاليم الإسلامية السمحة الأمر الذي ترتب عليه جهل كثير من الناس بتعاليم دينهم . فانبرى شيوخ الإسلام بالوسائل المختلفة المتوفرة لديهم لمحاربة هذا الفساد ، حتى ارتقى البعض في نظر اللاحقين الى اعتباره من مجددي القرن الذي عاش فيه كما هو الحال بالنسبة لشيخ الإسلام ابن دقيق العيد [١] ، حيث يعد المجدد لهذه الأمة دينها . ومن إسهام شيوخ الإسلام في هذا الإطار إسهام شيخ الإسلام العز بن عبد السلام في إزالة كثير من بدع الخطباء [٢] ، فضلاً عن إسهامه في إبطال صلاتي الرغائب والنصف من شعبان [٣] ، التي لم يصلي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ان له اسهام آخر في هذا المجال يتمثل بموقفه من السلطان الصالح نجم الدين في القاهرة وذلك عندما زاره يوم العيد مع بقية العلماء وفي الوقت الذي قدم فيه جميع العلماء التهاني للسلطان وقف له شيخ الإسلام العز بن عبد السلام موبخاً على إهماله وتقصيره في محاربة المنكرات [٤]، ومن مواقفه الأخرى في محاربة الفساد هو تلك المواجهة بينه وبين الأمير فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ الذي عمد الى أحد مساجد مصر فعمل عليه بناء لطبل خانات عسكره ، حيث أمر العز بن عبد السلام بهدم البناء وإسقاط الأمير فخر الدين ابن الشيخ ، ثم عزل نفسه من القضاء [٥] . كذلك أدى مركز شيخ الإسلام منجماعة المحدثين الحنابلة ممثلاً بتقي الدين بن تيمية دوراً كبيراً في هذا

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٩ ، ص٢٠٩. [ اذ يقول عنه العالم المبعوث على رأس المئة السابعة ] .
[٢] المصدر ذاته ، م٨ ، ص ٢١٠ .
[٣] المصدر ذاته، م٨ ، ص ٢١٠ .
[٤] المصدر ذاته ، م٨ ، ص ص ٢١١-٢١٢
[٥] المصدر ذاته ، م٨ ، ص ٢١٠ .

المجال، الأمر الذي عرضه لكثير من المحن على نحو ما مر معنا ، كما أن مصنفاته في معظمها تسير في الاتجاه نفسه ( أي نحو محاربة الفساد ) .

أما المشكلة الثانية من المشاكل التي تقع مسؤلية التصدي لها على عاتق شيوخ الإسلام هي تلك المتعلقة بالعلاقة بين جماعة الأمراء وأفراد المجتمع ، التي كانت تتخللها في كثير من الأوقات تجاوزات من قبل بعض جماعة الأمراء واعتداءاتهم على أفراد المجتمع ونهب ممتلكاتهم سواء كان ذلك عن طريق نهب المال العام أو المال الخاص العائد لبعض أفراد المجتمع ، فمن خلال تحليل الباحث لشخصيات شيوخ الإسلام في الدولتين الأيوبية والمملوكية ، يظهر بجلاء أن مركز شيخ الإسلام قد أعطى هذه المسألة كثيراً من الاهتمام ، دون الاهتمام بالعواقب التى تنطوي عليها هذه المواقف وتمثل هذا الأمر في تصدي شيوخ الإسلام لكل التجاوزات التي استهدفت الإساءة الى أملاك المجتمع الخاصة والعامة ، مثلاً من تلك المواقف التى تحتفظ لنا المصادر بتفاصيل عنها هو موقف شيخ الإسلام العز بن عبد السلام [١] من رغبة السلطان المملوكي المظفر قطز ومجمع الأمراء في فتح باب الإسهام الإجباري من قبل أفراد المجتمع بهدف دعم المجهود الحربي الذي يعزم القيام به للمواجهة المرتقبة مع العدو المغولي الذي قضى على الخلافة في بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م واكتسح بلاد الشام في صفر ٦٥٨هـ/١٢٦٠م وهوعازم على السيطرة على مقعد السلطنة المملوكية في القاهرة ، ورغم أهمية هذه الحملة المصيرية وقدسيتها إلا أن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام أصر من وجهة شرعية صائبة على أن يعيد الأمراء المماليك كل الأموال التي نهبوها الى بيت المال بما فيها ممتلكاتهم ومقتنياتهم الشخصية،وإذا لم تف تلك الأموال بالنفقات اللازمة بالحملة ،يصبح عندئذ من حق السلطان أن يطلب تلك المساهمات المالية اللازمة [٢] من المجتمع ، وكذلك تأتي مواقفه الصلبة والشجاعة القاضية ببيع الأمراء الأتراك [٣] بعد أن ثبت لديه انهم ليسوا أحراراً ولم يتنازل عن ذلك حتى تم بيعهم وتوريد ثمنهم الى خزينة المال العام. ومن هذا القبيل أيضا تأتى مواقف شيخ الإسلام محيي الدين النووي ، التي تجلت

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ٢١٥ .

[٢] ينظر، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص٧٢،٧٣ .

[٣] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، م٨ ، ص٢١٦ . وانظر أيضا مرتضى النقيب ، العز ابن عبد السلام ، مجلة كلية الاداب ، ص٥٢ .

من خلال مراسلاته مع السلطان الظاهر بيبرس [١] التي عبر من خلالها عن استعداده لتقديم أية تضحيات شخصية من طرفه مقابل إلزام السلطان باتباع قواعد الشرع الحنيف وتطبيق العدل على نفسه شخصياً ،ويتضح مما ذكره السيوطي أن النووي ظل يؤدي دوره في الدفاع عن قضايا المجتمع دون وجل أو خوف وذلك بقوله " أما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا غيره " [٢]، وهذا يشير الى حبه وتعلقه في الدفاع عن القضايا العامة . كذلك تجلى دور النووي بصورة أوضح في التصدي لرغبة الأمراء المماليك في السيطرة على بساتين عائدة الى أفراد من المجتمع الدمشقي [٣] ، فضلاً عن دفاعه عن علماء المسلمين الذين تلقوا تهديدات من قبل السلطان بيبرس بسبب وقوفهم الى جانب شيخ الإسلام النووي في دفاعه عن قضايا المجتمع الدمشقي حيث يقول النووي في رسالته للسلطان بيبرس " فليس هذا المرجو من عدل السلطان وحلمه ، وأي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ، وهم لا علم لهم به ؟ وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه [٤] " .

وتجلى دور مركز شيخ الإسلام في هذا الجانب أيضا من خلال شخصية شيخ الإسلام ابن دقيق العيد على الرغم من كونه أحد أهم العناصر في الهيكل الإداري للدولة المملوكية باعتباره يشغل منصب قاضي القضاة للبلاد إلا أن هذا لم يقوض دوره كأحد الشخصيات المهمة التي تحتل مرتبة شيخ الإسلام . وما وصل إلينا عن ابن دقيق العيد في هذا الأمر هو دفاعه و تصديه لرغبة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ومجمع الأمراء في جمع الأموال من أفراد المجتمع لغرض تجهيز تجريدة الى بلاد الشام لحرب المغول أيام حكم السلطان محمود غازان (٦٩٣-٧٠٢هـ/ ١٢٩٤ . ١٣٠٣ م) ، وهو الموقف نفسه الذي وقفه من قبل شيخ الإسلام العز بن عبد السلام من السلطان الظاهر بيبرس . حيث رفض ابن دقيق العيد الإفتاء بجواز اخذ الأموال من الرعية ، وعندما احتج عنده الأمراء المماليك بإفتاء شيخ الإسلام العز بن عبد السلام أجابهم بقوله أن ابن عبد السلام لم يصدر فتواه بالإذن إلا بعد أن احضر الأمراء كل ما عندهم وعند حريمهم من أموال ، فقط عند عدم كفاية هذه الأموال أفتى العز بن بجواز سد النقص في التكاليف عن طريق إسهام المجتمع المصري في المجهود الحربي، وفي الاتجاه

---

[١] عن مراسلات النووي للسلطان بيبرس ينظر الملاحق رقم ٥ . ٦ في الرسالة .
[٢] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٩٩ .
[٣] المصدر ذاته ، ص ص ١٠١. ١٠٣ . أو ينظر الملحق رقم " ٧ " .
[٤] المصدر ذاته ، ج٢ ، ص١٠٠.

نفسه أيضا سار موقف شيخ الإسلام ابن دقيق العيد في التصدي لرغبات الأمير منكوتمر نائب السلطان لاجين الرامية الى الاستحواذ على ارث رجل متوفى لصالح رجل آخر رغم عدم وجود شهود إثبات لأحقية هذا الوارث في التركة سوى منكوتمر وحده [1].

أما بالنسبة لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية فلا يقل إسهامه في هذا المجال عن غيره من مشايخ الإسلام إذ شكلت سيرته الذاتية مجموعة من الأحداث تصب معظمها في هذا الاتجاه ، وكما كان يؤدي دوره في التصدي لكثير من القضايا العامة كذلك كان ينبري دوما للدفاع عن الحنابلة باعتبارهم أفراد جماعته ومذهبه ، وتجلى هذا الموقف في أثناء الخلاف بين الحنابلة واميرِ دمشق ، حيث أدى تطور الخلاف الى اعتقال أمير دمشق لجماعة من عناصر الحنابلة النشطين الأمر الذي أزعج شيخ الإسلام ابن تيمية بحيث بادر من فوره الى التقائه بالحاكم قائلاً له " ماذا تريد من أصحابي ".

فهذه المواقف من قبل مركز شيخ الإسلام التي أوردناها تؤكد ان مركز شيخ الإسلام كان له تأثير قوي وإسهام واسع في الدفاع عن قضايا الأمة سواء منها العامة او الخاصة وهذا الدور نابع من إيمان ممثلي هذا المركز بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه مثل هذه القضايا .

أما المسألة الأخيرة في إطار الإجابة عن هذا السؤال فهي المتعلقة بدور مركز شيخ الإسلام تجاه ما تتعرض له البلاد من هجمات خارجية أو فتن وقلاقل داخلية تستهدف إضعاف المجتمع سواء عن طريق السيطرة الكاملة على جميع مقدراته ومقومات حياته او عن طريق الاكتساح العسكري وكذلك عن طريق بذر السموم و الأفكار الهدامة التي تظل تنخر في بنيان المجتمع حتى تجعل منه دمي و شخصيات متذبذبة تتحكم في تسييرها على وفق أهدافها ومصالحها .

فمن تحليلنا لشخصيات شيوخ الإسلام في الدولتين الأيوبية والمملوكية الاولى يتبين لنا أن مركز شيخ الإسلام قد وقف وقفة جادة في تعامله مع العدو الخارجي للإسلام انطلاقاً من إيمانه بقدسيتها ، وقد جندوا في سبيل ذلك كل قدراتهم وإمكاناتهم العلمية والروحية .

---

[1] محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، جـ١ ، ق٢ ، ص١٠٤ .

فقد تجلت هذه المواقف الدينية السياسية بصورة عامة بمصنفات شيوخ الإسلام التى تتضمن بين دفتيها آيات قرآنية وأحاديث نبوية (على صاحبها افضل الصلاة و أزكى التسليم) تدعو الى الجهاد وترغب فيه ، كما تتضمن مصنفاتهم أيضا كثيرا من التوجيهات بهذا الخصوص .

تنعكس مواقف شيوخ الإسلام في الجهاد ضد العدوان الخارجي عند جميع فئات المسلمين دون استثناء ، فمثلاً من الشافعية ألا شعرية تجاه هذه القضية تجلت في موقف شيخ الإسلام العز بن عبد السلام عندما استخدم كل الوسائل المتاحة أمامه لمواجهة هذه القضية ، منها موقفه من تواطؤ نائب السلطنة بدمشق الصالح إسماعيل مع القوى الصليبية حيث سمح لهم بالدخول الى دمشق لغرض شراء السلاح ، فما كان من العز بن عبد السلام إلا أن ندد به على المنبر بإبطال الدعاء للصالح إسماعيل وبإصدار فتوى تحرم على التجار الدمشقيين بيع السلاح للفرنج متحملاً النتيجة المترتبة على هذا التصرف سياسياً ووظيفياً [١] ، كذلك في القاهرة كان شيخ الإسلام العز بن عبد السلام قد اتخذ مواقف عظيمة في جهاد الأعداء وكثيراً ما كان المماليك يعولون على مواقفه عند اتخاذهم أي قرار يخص هذه المسألة، ومن ذلك كما أشرنا من قبل عندما عادوا إليه لغرض الحصول منه على فتوى يستطيعون عن طريقها جمع الأموال وتجهيز الحملة لحرب المغول [٢] في عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م . كما اسهم العز بن عبد السلام ايضاً بنفسه في الجهاد ، عندما حضر مع الجيش المصري أثناء الحملة الصليبية السابعة بقيادة الفرنسيين على مصر ، على الرغم من كبر سنه [٣] . وفي هذا الاتجاه تأتى مواقف شيخ الإسلام ابن دقيق العيد الإيجابية من قضية الدفاع عن المجتمع العربي الإسلامي ، سواء اسهاماته من خلال فتاويه التي تدفع بالناس الى الجهاد بالنفس والمال، او في قتال المغول أو التصدي لقوى المجتمع الداخلية التي تعلن تمردها بين وقت وآخر كما هي الحال مع مهاجمات العربان لقوافل التجارة والمدن الحضرية المصرية ، او اسهاماته بالاشتراك بنفسه في القتال ، ويأتي اصطحاب السلطان الناصر محمد بن قلاوون له أثناء حملته الى بلاد الشام تأكيدا على أهمية دوره و أثره في نفوس المجاهدين والعسكر.

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص٢٤٣ .

[٢] المصدر ذاته ،م٨ ، ص٢١٥ .

[٣] المصدر ذاته ، م٨ ، ص٢١٦ .

كذلك أدى مركز شيخ الإسلام من تيار أهل الحديث من الحنابلة دوراً كبيراً في التصدي للمغول والحث على قتالهم وتجسد هذه الدور بشكل واضح من خلال دور شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية في الدفاع عن الدين والبلاد وفي تبني مواقف مجيدة ، ففي مواجهاته للمغول كان دوره بارزاً في خدمة مجتمع الدولة العربية الإسلامية عامة ومجتمع دمشق خاصة تجلى في البداية في مقابلته [١] للسلطان الاليخائي غازان سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م، ليطلب منه الأمان لأهل دمشق باعتباره سلطاناً مسلماً ، بالرغم من علمه بوحشية التتار واحتمال تعرض حياته للخطر ، فضلاً عن أن هذا الأمر في الواقع يجسد عظم التضحية التي كان شيخ الإسلام ابن تيمية دائماً على استعداد لتقديمها في سبيل خدمة المجتمع الشامي . وتكرر هذا الموقف في إطار مواجهته للمغول سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م، وايضاً في مقابلته لنائب الشام الأمير الأفرم والرفع من معنوياته أثناء التصدي لجيش المغل وفي النهي عن الفرار ، كذلك في توجهه إلى مصر مع جمع من علماء دمشق بطلب من نائب الشام المذكور ومجمع الأمراء لغرض حث السلطان المملوكي والأمراء على الحضور إلى بلاد الشام ومحاربة المغول حيث قال لهم فيما قال "إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته ، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن " [٢] . فضلاً عن إسهامه في الجهاد بالكلمة وتحريض السلطان الملك الناصر محمد في مصر والأمراء وعامة المسلمين في مصر والشام ، نراه أيضا يسهم بالجهاد بالنفس وذلك باشتراكه في القتال في وقعة شقحب سنة ٧٠٢ هـ /١٣٠٢م ضد قطلع شاه نائب السلطان المغولي[٣].

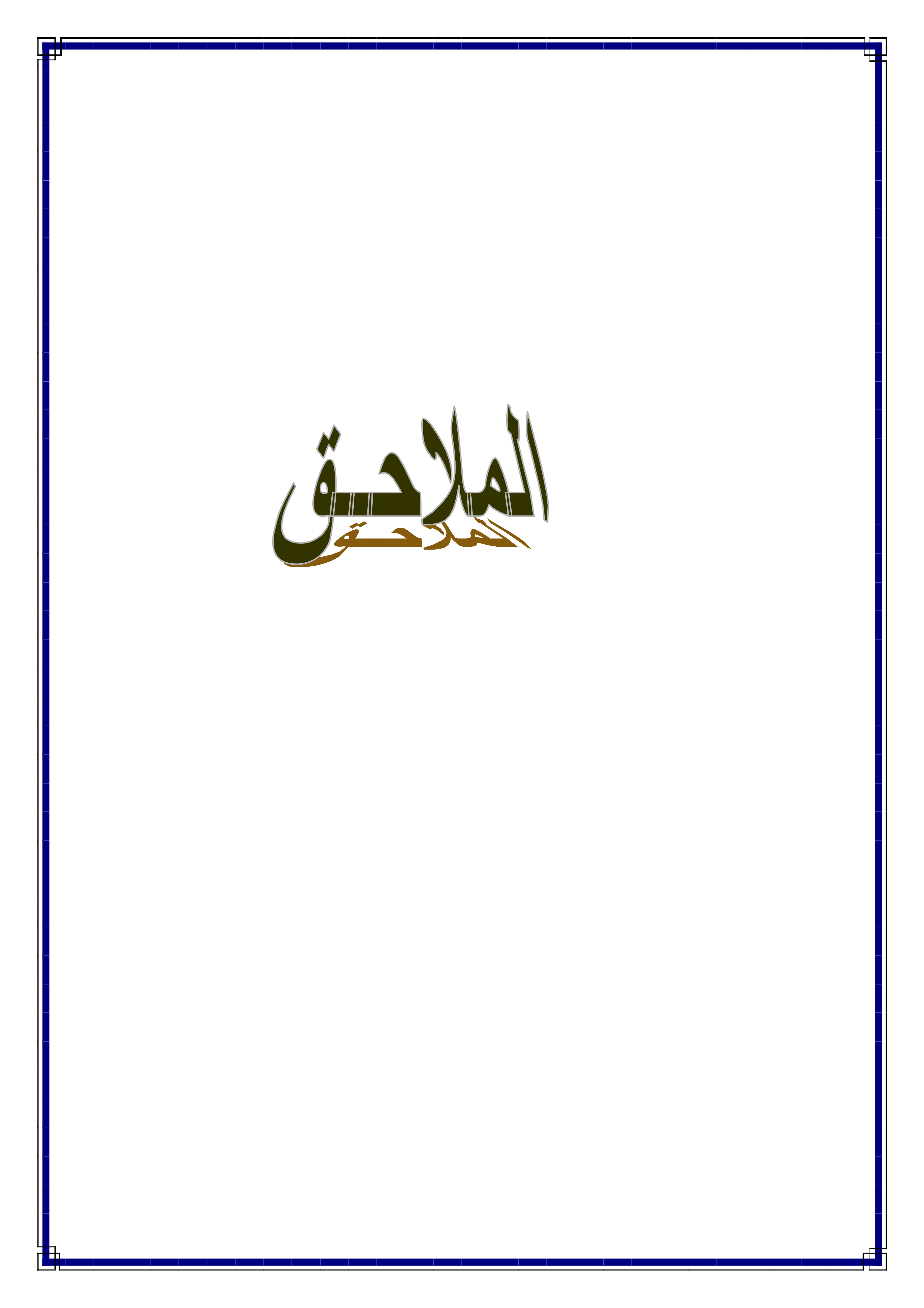
فإذا كانت هذه وظائف شيوخ الإسلام كانت التعددية في أشخاص هؤلاء الشيوخ أمراً محبذاً لدى الدولة ، لا تغفل عن تشجيعه والاستمرار في تشجيع تعددية المركز لما فيه خدمة الدين الحنيف والدولة معاً .

---

[١] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص ٧ .

[٢] المصدر ذاته ، جـ١٤ ، ص ١٥ .

[٣] فضلاً عن هذا الميدان كان لشيخ الإسلام ابن تيمية ميدان آخر للجهاد ذلك هو ميدان الجبهة الداخلية ، فقد كان له مواقف عديدة كغيره من شيوخ الإسلام قي مواجهة بعض السلوكيات الغريبة عن التعاليم والتقاليد الإسلامية .


الملاحق

# ملحق رقم (١)

# جداول بأسماء بعض الشخصيات الذين تنعتهم المصادر التاريخية بلقب شيخ الإسلام

## جدول رقم (١)

## أسماء بعض شيوخ الإسلام قبل حكم السلاجقة

| شيخ الإسلام | تخصصه | إقامته | ألقابه الأخرى |
|---|---|---|---|
| أبو سعيد الأنصار البخاري المدني [١] ( ت: ١٤٣هـ) . | محدث | المدينة المنورة | . |
| أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي (الاعمش) ( ت: ١٤٨هـ ) . | محدث | الكوفة | . |
| أبو عمرو عبدالرحمن بن عمروالاوزاعي ( ٨٨ -١٥٧ هـ ) . | محدث | دمشق | . |
| شعبة ابن الحجاج ابن الورد[٢] (٨٢- ١٦٠هـ) . | محدث | البصرة | . |
| سفيان بن سعيد الثوري [٣] ( ٩٧-١٦١هـ ) . | محدث/فقيه | الكوفة/البصرة | . |
| حماد بن سلمة بن دينار [٤] (ت:١٦٧هـ) . | محدث | البصرة | . |
| مالك بن انس بن مالك [٥] ( ت :١٧٩ هـ ) . | فقيه /محدث | المدينة | . |

---

[١] الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، ص١٣٧ .

[٢] المصدر ذاته ، جـ ١، ص١٩٣ .

[٣] المصدر ذاته ، جـ١ ، ص٢٠٣ .

[٤] المصدر ذاته ، جـ١ ، ص٢٠٢.

[٥] المصدر ذاته ، جـ١ ، ص٢٠٧.

| شيخ الإسلام | تخصصه | إقامته | ألقابه الأخرى |
|---|---|---|---|
| الامام أبو إسحاق الفزاري [١] ( ت :١٨٦هـ) . | محدث | الكوفة | . |
| الفضيل بن عياض [٢] ( ت :١٨٧هـ) . | محدث | الكوفة/مكة | . |
| سفيان بن عيينة بن ميمون [٣] (١٠٧ –١٩٨هـ) . | محدث | الكوفة /مكة | . |
| حسين الجعفي [٤] ( ت :٢٠٣هـ) . | المقري /محدث | الكوفة | . |
| أبو عاصم الضحاك [٥] ( ت :٢١٢ هـ) . | محدث | البصرة | . |
| أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد العمري [٦] (١٢٠ – ٢١٣هـ ) . | محدث | الكوفة / مكة | . |
| عبد الله بن مسلمة القعنبي [٧] ( ت :٢٢١هـ ) . | محدث | البصرة /مكة | . |
| محمد بن المبارك [٨] ( ت :٢٢٥هـ ) . | محدث | دمشق | . |
| احمد بن حنبل [٩] ( ١٦٤ –٢٤١هـ ) . | فقيه/ محدث | بغداد | . |

---

[١] الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، ص٢٧٣.
[٢] المصدر ذاته ، جـ١ ، ص٢٤٥.
[٣] المصدر ذاته ، جـ١ ،ص٢٦٢.
[٤] المصدر ذاته ، جـ١ ،ص٣٤٩.
[٥] المصدر ذاته ، جـ١ ،ص٣٦٦.
[٦] المصدر ذاته ، جـ١ ،ص٣٦٧.
[٧] المصدر ذاته ، جـ١ ،ص٣٨٣.
[٨] المصدر ذاته ، جـ١ ،ص٣٨٦.
[٩] المصدر ذاته ، جـ١ ،ص٤٣١.

| ألقابه الأخرى | إقامته | تخصصه | شيخ الإسلام |
| --- | --- | --- | --- |
| . | دمشق | مقري /محدث | هشام بن عمار [١] ( ١٥٣ –٢٤٥هـ ) . |
| . | سمرقند | محدث | أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي [٢] ( ١٨١–٢٥٥هـ ) |
| . | بخارى | محدث | أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري [٣] ( ١٩٤– ٢٥٦هـ ) |
| . | الكوفة | محدث | أبو سعيد عبد الله بن سعيد الاشج [٤] ( ت :٢٥٧هـ). |
| . | نيسابور | محدث | أبو عبد الله محمد بن يحي الذهلي[٥] (١٧٠–٢٥٨هـ). |
| . | قرطبة | محدث | أبوعبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي [٦] (٢٠٠–٢٧٦هـ ) . |
| . | بغداد | فقيه/ محدث | أبو إسحاق ابراهيم بن اسحاق الحربي [٧] ( ١٩٨–٢٨٥هـ ) . |
| . | الري | محدث | أبو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم الحنظلي [٨] ( ٢٤٠–٣٢٧هـ ) . |

[١] الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ،ص٤٥١.
[٢] المصدر ذاته ، جـ٢ ،ص٥٣٤.
[٣] المصدر ذاته ، جـ٢ ،ص٥٥٥.
[٤] المصدر ذاته ، جـ٢ ،ص٥٠١.
[٥] المصدر ذاته ، جـ٢ ،ص٥٣٠.
[٦] المصدر ذاته ، جـ٢ ، ص٦٢٩.
[٧] المصدر ذاته ، جـ٢ ، ص٥٨٤.
[٨] المصدر ذاته ، جـ٣ ، ص٨٢٩

## جدول رقم " ٢ "

## بأسماء بعض شيوخ الإسلام خلال حكم السلاجقة

| شيخ الإسلام | مدرسته الفقهية | تخصصه | إقامتـه | ألقابه الأخرى |
|---|---|---|---|---|
| إسماعيل بن عبد الرحمن أبو عثمان الصابوني[١] (٣٧٣ - ٤٤٩هـ). | شافعي | محدث/ فقيه | نيسابور | . |
| علي بن الحسين بن محمد السغدي أبو الحسين[٢] (ت :٤٦١هـ ) . | حنفي | فقيه | سمرقند / بخارى | . |
| أبو علي حسان بن سعيد بن حسان المنيعي [٣] ( ت: ٤٦٣ هـ ) . | شافعي | خطيب | مرو الروذ | . |
| أبو إسحاق الشيرازي [٤] (٣٩٣-٤٧٦هـ) . | شافعي | فقيه | شيراز/ بغداد | . |
| أبو عبد الله الانصاري الهروي [٥] (٤٨١.٣٩٥هـ ) . | حنبلي – صوفي | محدث | هراة | . |
| عبد الملك بن عبد الله بن حمويه الجويني [٦] (٤١٩ –٤٧٨هـ) . | شافعي | فقيه | خراسان | إمام الحرمين فخر الإسلام |
| احمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر الاستوائي الزيني [٧] (٤١٠-٤٨٢هـ) . | حنفي | فقيه | نيسابور | رئيس نيسابور |

[١] ينظر الصريفيني ، المنتخب من السياق ، الاوراق ٣٨ب . ٣٩ب ؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٤ ، ص ص ٢٧١ . ٢٩٢ .

[٢] ابن ابي الوفاء ، طبقات الحنفية ، جـ١ ، ص ص ٣٦١. ٣٦٢ .

[٣] عبد الغافر ، السياق على تاريخ نبسابور ، ورقة ١٤ب ؛ الصريفيني ، ورقة ٦٢ ١ . ب .

[٤] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، م٣ ، صص٨٨-١١١ ؛ الاسنوي ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص٧ .

[٥] ينظر ترجمته هامش ص في هذه الرسالة .

[٦] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص ص ١٦٥ – ٢٢٢ .

[٧] الصريفيني ، المنتخب من السياق على تاريخ نيسابور ،ورقة ٣٣ب . ٣٤ ب؛ ابن ابي الوفاء ، طبقات الحنفية ، جـ١ ،ص٢٣٤ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

| شيخ الإسلام | مدرسته الفقهية | تخصصه | إقامتـه | ألقابه الأخرى |
|---|---|---|---|---|
| علي بن عقيل البغداي [١]<br>(٤٣١-٥١٣هـ) . | حنبلي | فقيه / محدث | بغداد | شيخ الحنابلة |
| عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامه [٢]<br>(ت:٥٤١هـ) . | حنبلي | فقيه – مقرئ | دمشق | . |
| محمد بن محمد بن بكر الخلمي [٣]<br>(٤٧٥-٥٤٤هـ) . | حنفي | فقيه | بلخ | . |
| أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي [٤]<br>( ٤٧٦-٥٤٤هـ) . | مالكي | محدث / فقيه | مراكش | . |
| عمر بن عبد المؤمن بن يوسف الكجوادري أبو حفص [٥]<br>( ت: ٥٥٩هـ ) . | حنفي | محدث | بلخ | . |
| أبو العلاء الهمذاني [٦]<br>(٤٨٨-٥٦٩هـ) . | . | محدث/ مقرئ | همذان | . |
| برهان الدين علي بن ابي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المارغياني [٧]<br>( ت: ٥٦٣هـ ) . | حنفي | فقيه | فرغانة | . |

[١] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ١ ، ص ١٤٢ .

[٢] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص١٣٣ .

[٣] ابن ابي الوفاء ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، جـ٢ ، ص١٣٠ .

[٤] محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية ، جـ١ ، ص١٤٠ .

[٥] ابن ابي الوفاء ، طبقات الحنفية ،جـ١ ، ص٣٩٣ .

[٦] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٣٣٤ .

[٧] ابن ابي الوفاء ، الجواهر المضيئة ، جـ١ ، ص ص ٣٨٣ . ٣٨٤ .

## جدول رقم " ٣ "

## بأسماء بعض شيوخ الإسلام خلال حكم الأيوبيين

| شيخ الإسلام | مدرسته الفقهية | تخصصه | إقامتـه | ألقابه الأخرى |
|---|---|---|---|---|
| أبو طاهر عماد الدين احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن إبراهيم الاصبهاني السلفي الجرواءاني[1] ( ت: ٥٧٦هـ). | شافعي | محدث | اصبهان/ دمشق / القاهرة / الاسكندرية | . |
| محمد بن ابي بكر عمر بن ابي عيسى احمد بن عمر الاصبهاني (أبو موسى المديني ) [2] ( ٥٠١-٥٨١هـ ) . | شافعي | محدث | اصبهان | . |
| (ابن قدامه المقدسي) شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن احمد [3] ( ت: ٥٩٧هـ) . | حنبلي | فقيه / محدث | دمشق | شيخ الجبل |
| محمـود بـن عبيـد الله بـن احمـد بـن محمـد الطايكاني [4] (٥٤١-٦٠٦هـ) . | حنفي | فقيه | مرو | . |
| تقي الدين أبو عمر بن الصلاح [5] ( ٥٧٧ -٦٤٣هـ) . | شافعي | محدث | دمشق | . |
| عبد الله بن احمد بن محمد ابن قدامة المقدسي[6] ( ٥٤١ . ٦٢٠هـ ) . | حنبلي | فقيه | دمشق | . |

---

[1] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤، ص١٢٩٨ ؛ سير اعلام النبلاء ،جـ٢١ ، ص ص٥-٣٩.

[2] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٣٣٤ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ،جـ١ ،ص٤٧٧ .

[3] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص٣٠٤ .

[4] ابن ابي الوفاء : طبقات الحنفية ،جـ١ ،ص١٥٩

[5] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ،جـ٣ ، ص١٤٣٠ ؛ انظر ايضاً ص ص ٤٥-٥٦ من هذه الرسالة .

[6] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص ١٣٣ .ينظر ايضاً ص ص ٧٢-٧٩ من هذه الرسالة .

| شيخ الإسلام | مدرسته الفقهية | تخصصه | إقامتــه | ألقابه الأخرى |
|---|---|---|---|---|
| مجد الدين أبو البركات بن تيمية [١]<br>( ٥٩٠ –٦٥٢هـ ). | حنبلي | محدث / فقيه | دمشق | - |
| أبو محمد عبد الله بن محمد بن ابي الحسين بن عيسى اليونيني [٢]<br>( ٥٧٢ .٦٥٨هـ) . | حنبلي | فقيه | بعلبك | - |
| علي بن إبراهيم بن خشنام بن احمد الحلبي جمال الدين [٣]<br>(ت : ٦٥٨هـ) . | حنفي | فقيه | حلب | - |
| العز بن عبد السلام [٤]<br>(٥٧٧ او٥٧٨ – ٦٦٠هـ) . | شافعي | فقيه | دمشق / القاهرة | سلطان العلماء |

(١) ابن رجب ، الذيل على طبقات لحنابلة ، جـ٢ ، ص ص ٢٤٩ . ٢٥٤ ؛ انظر ايضاً ص ص ٨٠–٨٣ من هذه الرسالة .

(٢) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٥ ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن أبي الوفاء ، طبقات الحنفية ، جـ١ ،ص٣٤٩ .

(٤) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٢٠٩ . ٢٥٥ ؛ ينظر ايضاً ص ص ٥٧–٧١ من هذه الرسالة .

## جدول رقم " ٤ "

## بأسماء بعض شيوخ الإسلام خلال حكم المماليك البحرية

| شيخ الإسلام | مدرسته الفقهية | تخصصه | إقامتـه | ألقابه الأخرى |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| زكي الدين عبد العظيم المنذري [١] ( ٥٨١-٦٥٦هـ) . | شافعي | محدث | القاهرة | . |
| محي الدين النووي [٢] ( ٦٣١- ٦٧٦هـ ) . | شافعي | فقيه | دمشق | . |
| ابن رزين تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين العامري [٣] ( ٦٠٣ . ٦٨٠ هـ) . | شافعي | فقيه | حماه | . |
| شرف الدين هبة الله البارزي الجهني [٤] (٦٠٨ . ٦٨٣هـ) . | شافعي | فقيه | حماه | . |
| تـاج الـدين الفركـاح أبـو محمـد عبـد الـرحمن بـن ابراهيم بن سباع الفزاري [٥] (٦٤٢-٦٩٠هـ) . | شافعي | فقيه | دمشق | . |
| تقي الـدين أبـو اسحاق ابراهيم بـن علـي بـن احمـد بن فضل بن الواسطي [٦] ( ٦٠٢/٦٩٢هـ ) . | حنبلي | فقيه | دمشق | بركة الشام – قطب الوقت |

---

[١] ينظر ترجمته هامش رقم (١) ، ص ٦٣ من هذه الرسالة .

[٢] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٨ ، ص٣٥٩ ؛ لمزيد من التفاصيل ينظر ص ص ٩٣-١٠٣من هذه الرسالة .

[٣] الذهبي ، العبر ، جـ٥ ،ص ٣٣١ .

[٤] ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٤ ،ص١٨٢ .

[٥] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٣، ص٣٦٨ .

[٦] ابـن رجـب ، الـذيل علـى طبقـات الحنابلـة ، جـ٢ ، ص ٣٢٩ ؛ ابـن العمـاد ، شـذرات الـذهب ،م٦ ، ص ص٤١٩ –١٢٠.

| شيخ الإسلام | مدرسته الفقهية | تخصصه | إقامتــه | ألقابه الأخرى |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| ابن دقيق العيد [1]<br>( ٦٢٥-٧٠٢هـ ) . | مالكي / شافعي | فقيه | القاهرة | - |
| ابن الرفعة نجم الدين أبو العباس احمد بن محمد بن علي [2]<br>( ٦٤٥- ٧١٠هـ ). | شافعي | فقيه / محدث لقب بالفقيه لغلبة الفقه عليه | القاهرة | - |
| أبــو اســحاق ابــراهيم بــن محمــد بــن ابــراهيم الطبري [3]<br>( ت:٧٢٢هـ ) . | شافعي | محدث / فقيه | مكة | . |
| سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفري المعروف بخطيب داريا [4]<br>(٦٤٢-٧٢٥هـ) . | شافعي | فقيه/ محدث | دمشق | . |
| ابي عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله بن عيسى البعلبكي اليونيني [5] | حنبلي | فقيه | بعلبك / دمشق | . |
| تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية [6]<br>( ٦٦١-٧٢٨هـ) . | حنبلي | فقيه / محدث | دمشق | . |

---

[1] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٩ ، صص ٢٠٧ . ٢٤٩ . للمزيد من التفاصيل ينظر ص ص ٤-١١٢ من هذه الرسالة .

[2] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٩، ص ص٢٤-٢٨ ؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، جـ٣ ، ص ص٣٨-٣٩ .

[3] ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص٥٦ .

[4] ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢٦٢ .

[5] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص١٢٦ .

[6] ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، جـ٢ ، ص ص٣٨٦ . ٤٠٨ . للمزيد من التفاصيل ينظر ص ص ١١٣-١٢٥ من هذه الرسالة .

| شيخ الإسلام | مدرسته الفقهية | تخصصه | إقامتـه | ألقابه الأخرى |
|---|---|---|---|---|
| ابـراهيم بـن عبـد الـرحمن بـن ابـراهيم بـن سـباع الفزاري برهان الدين بن الفركاح [1] ( ٦٦٠-٧٢٩هـ) . | شافعي | فقيه / محدث | دمشق | . |
| البـدر بـن جماعـة بـدر الـدين محمـد بـن ابـراهيم الحموي [2] ( ٦٣٩-٧٣٣هـ) . | شافعي | محدث / فقيه | القدس . دمشق . القاهرة | - |
| علي بن عبد الكافي بن علي بن همام السبكي[3] ( ٦٨٣-٧٥٦هـ) . | شافعي | فقيه / محدث | القاهرة | حجة الإسلام شيخ الوقت |
| محمـد بـن مفلـح بـن محمـد بـن مفـرج المقدسـي الراماني [4] ( ت: ٧٦٣هـ ) . | حنبلي | فقيه / محدث | دمشق | . |
| العز بن جماعة [5] (٦٤٩. ٧٦٧ هـ). | شافعي | فقيه / محدث | دمشق / القاهرة | - |
| عمر بن رسلان بن نصير بن صالح أبو حفص الكناني [6] (٧٢٤-٨٠٥هـ) . | شافعي | فقيه / محدث | القاهرة | . |

---

[1] ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ، جـ٢، ص٢٤٠ .

[2] ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص١٠٥

[3] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م١٠ ، ص ص١٣٩-٣٣٨.

[4] برهان الدين ابراهيم ، المقصد الارشد ، جـ٢ ، ص٥١٨ .

[5] المصدر ذاته، جـ٢ : ص٤١ .

[6] ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ،جـ٤ ، ص ص ٣٦-٤٣.

## ملحق رقم (٢)

**رسالة السلطان الاشرف الى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام رداً على ما التمسه منه بخصوص إعادة النظر في موقفه من المحنة التي تعرض لها**[١].

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل إلي ما التمسه الفقيه ابن عبد السلام ، أصلحه الله ، من عقد مجلس وجمع المفتين والفقهاء ، وقد وقفنا على خطه وما أفتى به ، وعلمنا من عقيدته ما أغنى عن الاجتماع به ، ونحن فنتبع ما عليه الخلفاء الراشدون الذين قال في حقهم : (( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي )) وعقائد الأئمة الأربعة فيها كفاية لكل مسلم يغلب هواه ويتبع الحق ويتخلص من البدع ، اللهم إلا إن كنت تدعي الاجتهاد ، فعليك أن تثبت ، ليكون الجواب على قدر الدعوى ، لتكون صاحب مذهب خامس ، وأما ما ذكرته عن الذي جرى في أيام والدي تغمده الله برحمته ، فذلك الحال أنا أعلم به منك ، وما كان له سبب إلا فتح باب السلامة [ لا ] لأمر ديني ،

**وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جانيه العذاب**

ومع هذا فقد ورد في الحديث : (( الفتنة نائمة لعن الله مثيرها )) ومن تعرض إلى إثارتها قاتلناه بما يخلصنا من الله تعالى ، وما يعضد كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص٢٣٠-٢٣١

# ملحق رقم (٣)

**الرسالة التي بعث بها شيخ الإسلام العز بن عبد السلام الى السلطان الاشرف رداً على رسالته إليه[١] :**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٢] أما بعد حمد الله الذي جلت قدرته ، وعلت كلمته ، وعمت رحمته ، وسبغت نعمته ، فإن الله تعالى قال لأحب خلقه إليه وأكرمهم لديه : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [٣] وقد أنزل الله كتبه ، وأرسل رسله لنصائح خلقه ، فالسعيد من قبل نصائحه وحفظ وصاياه ، وكان فيما أوصى به خلقه أن قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [٤] وهو سبحانه أولى من قبلت نصيحته ، وحفظت وصيته.

وأما طلب المجلس وجمع العلماء ، فما حملني عليه إلا النصح للسلطان وعامة المسلمين، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين ، فقال : (( الدين النصيحة )) قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : (( لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم )) فالنصح لله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ولكتابه بالعمل بمواجبه ، ولرسوله باتباع سنته ، وللأئمة بإرشادهم إلى أحكامه والوقوف عند أوامره ونواهيه ، ولعامة المسلمين بدلالتهم على ما يقربهم إليه ويزلفهم لديه ، وقد أديت ما علي في ذلك .

والفتيا التي وقعت في هذه القضية يوافق عليها علماء المسلمين ، من الشافعية والمالكية والحنفية والفضلاء من الحنابلة ، وما يخالف في ذلك إلا رعاع لا يعبأ الله بهم، وهو الحق الذي لا يجوز دفعه ، والصواب الذي لا يمكن رفعه ، ولو حضر العلماء مجلس السلطان لعلم صحة ما أقول ، والسلطان أقدر [ الناس ] على تحقيق ذلك ، ولقد كتب الجماعة خطوطهم بمثل ما قلته ، وإنما سكت من سكت

---

[١] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٨ ، ص ص ٢٣١-٢٣٤ .

[٢] سورة الحجر : الآية ٩٢ ، ٩٣ .

[٣] سورة الانعام : الآية ١١٦ .

[٤] سورة الحجرات : الآية ٦ .

في أول الأمر لما رأى من غضب السلطان ، ولولا ما شاهدوه من غضب السلطان لما أفتوا أولا إلا بما رجعوا إليه آخر ، ومع ذلك فتكتب ما ذكرته في الفتيا ، وما ذكره الغير وتبعث [ به ] إلى بلاد الإسلام ؛ ليكتب فيها كل من يجب الرجوع إليه ويعتمد في الفتيا عليه ، ونحن نحضر كتب العلماء المعتبرين ليقف عليها السلطان .

وبلغني أنهم ألقوا إلى سمع السلطان أن الأشعري يستهين بالمصحف ، ولا خلاف بين الأشعرية وجميع علماء المسلمين أن تعظيم المصحف واجب ، وعندنا أن من استهان بالمصحف أو بشيء منه فقد كفر ، وانفسخ نكاحه ، وصار ماله فيئا للمسلمين ، ويضرب عنقه ، ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ، بل يترك بالقاع طعمة للسباع .

ومذهبنا أن كلام الله سبحانه قديم أزلي قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، كما لا يشبه ذاته ذات الخلق ، ولا يتصور في شيء من صفاته أن تفارق ذاته، إذ لو فارقته لصار ناقصا ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، وهو مع ذلك مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور ، مقروء بالألسنة ، وصفة الله القديمة ليست بمداد للكاتبين ، ولا ألفاظ اللافظين ، ومن اعتقد ذلك فقد فارق الدين ، وخرج عن عقائد المسلمين ، بل لا يعتقد ذلك إلا جاهل غبي ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَانُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [1].

وليس رد البدع وإبطالها من باب إثارة الفتن ، فإن الله سبحانه أمر العلماء بذلك، وأمرهم ببيان ما علموه ، ومن امتثل أمر الله ، ونصر دين الله ، لا يجوز أن يلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما ما ذكر من أمر الاجتهاد ، والمذهب الخامس ، فأصول الدين ليس فيها مذاهب ، فإن الأصل واحد ، والخلاف في الفروع ، ومثل هذا الكلام مما اعتمدتم فيه قول من لا يجوز أن يعتمد قوله ، والله أعلم بمن يعرف دينه ويقف عند حدوده ، وبعد ذلك ، فإنا نزعم أنا من جملة حزب الله ، وأنصار دينه وجنده ، وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي .

وأما ما ذكر من أمر باب السلامة ، فنحن تكلمنا فيه بما ظهر لنا ، من أن السلطان الملك العادل رحمه الله تعالى ، إنما فعل ذلك إعزازا لدين الله تعالى ونصرة للحق ، ونحن نحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

[1] الآية الأخيرة من سورة الأنبياء .

## ملحق رقم ( ٤ )

### رسالة الإمام النووي الى السلطان الظاهر بيبرس وهي ضمن رسالة وجهها الى ملك الأمراء بدر الدين [(١)]

بسم اله الرحمن الرحيم

من عبد الله يحيى النووي . سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين ، أدام الله الكريم له الخيرات ، وتولاه بالحسنات ، وبلغه من أقصى الآخرة والأولى كل آماله ، وبارك له في كل أحواله ، آمين . وننهي إلى العلوم الشريفة أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات ، وهلاك المواشي وغير ذلك . وانتم تعلمون انه تجب الشفقة على الرعية ، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم ، فإن الدين النصيحة ، وقد كتب خدمة الشرع الناصحون للسلطان ، المحبون له ، كتاباً يذكره النظر في أحوال رعيته والرفق بهم وليس فيه ضرر ، بل هو نصيحة محضة وشفقة وذكرى لاولي الألباب. والمسؤول من الأمير – أيده الله تعالى– تقديمه إلى السلطان – أدام الله له الخيرات – ويتكلم عنده من الإشارة بالرفق بالرعية ، مما يجده مدخراً له عند الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [(٢)] .

وهذا الكتاب أرسله العلماء أمانة ونصيحة للسلطان – اعز الله أنصاره – فيجب عليكم إيصاله للسلطان– اعز الله أنصاره – وانتم مسؤولون عن هذه الأمانة ، ولا عذر لكم في التأخر عنها ، ولا حجة لكم في التقصير عنها عند الله تعالى، وتسألون عنها يوم القيامة :﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [(٣)] . ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [(٤)].

---

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٩٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٠.

(٣) سورة الشعراء الآية ٨٨.

(٤) سورة عبس الآيات ٣٣– ٣٧.

وانتم بحمده تحبون الخير وتحرصون عليه وتسارعون إليه ، وهذا من أهم الخيرات وأفضل الطاعات ، وقد أهلتم له وساقه الله إليكم وهو فضل من الله ، ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدة إن لم يحصل النظر في الرفق بهم . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [1] . وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[2] . والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا . فإذا فعلتم هذا فأجركم على الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [3] . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[1] سورة الاعراف الآية ٢٠١.

[2] سورة البقرة الآية ٢١٥.

[3] سورة النحل الآية ١٢٨.

# ملحق رقم (٥)

**رسالة ثانية أرسلها الإمام النووي إلى الملك الظاهر بيبرس [١] :**

رد السلطان رداً عنيفاً على رسالة النووي ، وتكدرت خواطر العلماء فكتب له النووي رسالة جوابية هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد . من عبد الله يحيى النووي . ينهي إن خدمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان – أعز الله أنصاره – فجاء الجواب بالإنكار والتوبيخ والتهديد ، وفهمنا منه أن الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع ، وقد أوجب الله إيضاح الكلام عند الحكام عند الحاجة إليه ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [٢] . فوجب علينا حينئذ بيانه ، وحرم علينا السكوت ، وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٣].

وذكر في الجواب أن الجهاد ليس مختصاً بالأجناد ، وهذا أمر لم ندعه، وكان الجهاد، فرض كفاية، فإذا قرر السلطان له أجناداً مخصوصين، ولهم أخباز معلومة من بيت المال، كما هو الواقع، تفرغ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرهما، مما يحتاج الناس كلهم إليه : فجهاد الأجناد مقابلٌ بالأخباز المقررة لهم ، ولا يحل أن يؤخذ من الرعية شيء مادام في بيت المال شيء من نقدٍ أو متاع ، أو أرض أو ضياع تباع ، أو غير ذلك وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان– أعز الله أنصاره – متفقون على هذا ، وبيت المال – بحمد الله– معمور، زاده الله

---

[١] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، صص٩٩.١٠١

[٢] سورة آل عمران الآية ١٨٧.

[٣] سورة التوبة الآية ٩١.

عمارة وتوسعة وخيراً وبركة في حياة السلطان ، المقرونة بكمال السعادة والتوفيق والتسديد والظهور على أعداد الدين ، وما النصر إلا من عند الله .

وإنما يستعان في الجهاد وغيره بالافتقار إلى الله تعالى ، واتباع آثار النبي (ص) وما لزمه أحكام الشرع ، وجميع ما كتبناه أولاً وثانياً ، هو النصيحة التي نعتقدها وندين الله بها ، ونسأل الله الدوام عليها حتى نلقاه . والسلطان يعلم أنها نصيحة له وللرعية ، وليس فيها ما يلام عليه ولم نكتب هذا السلطان إلا لعلمنا أنه يحب الشرع ، ومتابعة أخلاق النبي (ص) في الرفق بالرعية والشفقة عليهم، وإكرامه لآثار النبي (ص) وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه .

و أما ما ذكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد ، فكيف يقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان والقرآن بطغاة الكفار ؟ وبأي شيء كنا نذكر طغاة الكفار، وهم لا يعتقدون شيئاً من ديننا ؟!.

وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء ، فليس هذا المرجو من عدل السلطان وحلمه ، وأي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ، وهم لا علم لهم به ؟ وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ؟

وأما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا اكثر منه ، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان؛ فإني أعتقد أن هذا واجب علي وعلى غيري وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [1]. ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [2]. وقد أمرنا رسول الله (ص) أن نقول الحق حيث ما كنا ، وألا نخاف في الله لومة لائم. ونحن نحب السلطان في كل الأحوال وما ينفعه في أخرته ودنياه ، ويكون سبباً لدوام الخيرات له ويبقي ذكره على مر الأيام ، ويخلد به في الجنة ويجد نفسه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ [3].

---

[1] سورة غافر الآية ٣٩.

[2] سورة غافر الآية ٤٤.

[3] سورة آل عمران الآية ٣٠.

و أما ما ذكر في تمهيد السلطان للبلاد وإدامته للجهاد و فتوح الحصون وقهر الأعداء ، فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة ، وطارت في أقطار الأرض. فلله الحمد وثواب ذلك مدّخر للسلطان إلى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ولا حجة لنا عند الله تعالى ، إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

# ملحق رقم (٦)

**رسالة ثالثة أرسلها النووي الى السلطان بيبرس لما احتيط على أملاك دمشق** [١]

بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [٣] . وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [٤] ، وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان – أعز الله أنصاره – ونصيحة عامة المسلمين ، ففي الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) انه قال : (( الدين النصيحة لله وكتابه وأئمة المسلمين و عامتهم )) . ومن نصيحة السلطان – وفقه الله تعالى لطاعته وأولاه كرامته – أن ننهي إليه الأحكام ، إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام ، وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية والاهتمام بالضعفة وإزالة الضرر عنهم . قال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ [٥] . وفي الحديث الصحيح : (( إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم )) . وقال (ص) : (( من كشف عن مسلم كربة من كرب الدنيا كشف الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه )) . وقال (ص) : (( من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم ، فارفق اللهم به ، ومن شق عليهم فاشقق اللهم عليه )) . وقال (ص) : (( كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته )) . وقال (ص) : (( إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا )) .

وقد أنعم الله علينا وعلى سائر المسلمين بالسلطان – أعز الله أنصاره – فقد أقامه لنصرة الدين والذب عن المسلمين وأذل له الأعداء من جميع الطوائف ، وفتح عليه الفتوحات المشهورة في المدة

---

[١] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ص ١٠١-١٠٣ .

[٢] سورة الذاريات الآية ٥٥ .

[٣] سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

[٤] سورة المائدة الآية ٢ .

[٥] سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

اليسيرة ، وأوقع الرعب منه في قلوب أعداء الدين وسائر الماردين ، ومهد له البلاد والعباد ، وقمع بسيفه أهل الزيغ والفساد ، وأمده بالإعانة واللطف والسداد ، فلله الحمد على هذه النعم المتظاهرة والخيرات المتكاثرة ونسأل الله الكريم دوامها علينا وللمسلمين ، وزيادتها في خير وعافية آمين . وقد أوجب الله شكر نعمه ووعد الزيادة للشاكرين فقال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [1]. وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها ، وطلب منهم إثبات ما لا يلزمهم ، فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين ، بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل الاعتراض عليه ، ولا يكلف بإثباته . وقد اشتهر من سيرة السلطان انه يجب العمل بالشرع فيوصي نوابه ، فهو أول من عمل به . والمسؤول : إطلاق الناس من هذه الحوطة والإفراج عن جميعهم .

فأطلقهم أطلقك الله من كل مكروه ، فهم ضعفة ، وفيهم الأيتام والأرامل والمساكين والضعفة والصالحون ،وبهم تُنصر وتغاث وترزق وهم سكان الشام المبارك ، جيران الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم وسكان ديارهم ، فلهم حرمات من جهات ، ولو رأى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد لاشتد حزنه عليهم وأطلقهم في الحال ولم يؤخرهم ولكن لاتنتهى إليه الأمور على جهتها .

فبالله أغث المسلمين يُغثك الله ، وارفق بهم يرفق الله بك ، وعجل لهم الإفراج قبل وقوع الأمطار وتلف غلاتهم ، فان غالبهم ورثوا هذه الإملاك عن أسلافهم ، ولا يمكنهم تحصيل كتب شراء وقد نهبت كتبهم . وإذا رفق السلطان بهم حصل له دعاء رسول الله (صلى عليه وسلم) لمن رفق بأمته ونصره على أعدائه ، فقد قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [2] ، ويتوفر له من رعيته الدعوات وتظهر في مملكته البركات ويبارك له في جميع ما يقصده من الخيرات . وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (( من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة )) . ونسأل الله الكريم أن يوفق السلطان للسنن الحسنة التي يذكر بها الى يوم القيامة ويحميه من السنن السيئة .

فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان ، ونرجو من فضل الله تعالى أن يلهمه فيها القبول ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

[1] سورة إبراهيم الآية ٧ .

[2] سورة محمد الآية ٧ .

# ملحق رقم ( ٧ )

## مرسوم السلطان محمد بن قلاوون بعث به الى الشام وهو يتعلق بعقيدة ابن تيمية وموقف السلطنة منها [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنزه عن الشبيه والنظير، وتعالى عن المثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٢] .

نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب ، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب . ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير. ونتنزه الخالق عن التحييز في جهة لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٣] .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نهج سبل النجاة لمن سلك طريق مرضاته، وأمر بالتفكر في آلاء الله ونهى عن التفكر في ذاته صلى الله عليه وعلى اله وصحبه ، الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع وشيد الله بهم قواعد الدين الحنيفي ما شرع ، فاخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع .

وبعد : فان العقائد الشرعية ، وقواعد الإسلام المرعية ، وأركان الإسلام العليا ، ومذاهب الدين المضية ، هي الأساس الذي يبنى الأيمان عليه ، والمؤمل الذي يرجع كل أحد أليه ، والطريق التي من سلكها فقد فاز فوزا عظيما ، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً . فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها ويؤكد زمامها ، وتصان عقائد هذه الأمة عن الاختلاف، وتزان قواعد الأئمة بالائتلاف، وتخمد ثوائر البدع ، ويفرق من قوتها ما جمع .

وكان النقي بن التيمية في هذه المدة قد سلط لسان قلمه ، ومد عنان كلمه ، وتحدث في مسائل الذات والصفات ، ونص في كلامه على أمور منكرات ، وتكلم فيما سكت عنه الصحابة و التابعون، وفاه

---

[١] الدوادوري ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، صص٤٢.٣٩ .

[٢] سورة الشورى الآية ١١ .

[٣] سورة الحديد الآية ٤ .

بما يخفيه السلف الصالحون ، واتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام ، وانعقد على خلافه اجتماع العلماء والحكام ، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخف به عقول العوام ، فخالف في ذلك علماء عصره، وأئمة شامه ومصره ، وبعث رسائله إلى كل مكان ، وسمى فتاويه أسماء ما انزل الله بهما من سلطان .

ولما اتصل بنا ذلك، وما سلكوا مريدوه من هذه المسالك ، وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه ، وعلمنا انه استخف قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا انهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم ، قمنا في الله تعالى مستعظمين لهذا النبأ العظيم . فأنكرنا هذه البدعة، وانفنا ان نسمع عن من تضمه ممالكنا هذه السمعة . وكرهنا ما فاه به المبطلون ، وتلونا قوله :﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [1] ، فانه جل جلاله تنزه عن العديل والنظير ،﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ [2].

وتقدمت مراسمنا باستدعاء التقي بن التيمية المذكور إلى أبوابنا عندما شاعت فتاواه شاما ومصرا ، و صرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ [3].

ولما وصل إلينا ، تجمع أولو الحل والعقد ، وذو التحقيق والنقد ، وحضر قضاة الإسلام ، وحكام الأنام ، وعلما الدين ، وفقهاء المسلمين ، وعقد له مجلس شرع ، في ملأ من الأئمة والجمع، فثبت عند ذلك عليه جميع ما نسب إليه ، بمقتضى خط يده الدال على معتقده ، وانفصل ذلك الجمع، وهم لعقيدته منكرون ، وأخذوه بما شهد به قلمه عليه : ﴿ ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [4].

وبلغنا انه كان استتيب فيما تقدم، وأخره الشرع الشريف لما تعرض إلى ذلك واقدم ، ثم عاد بعد ردعه ومنعه، ولم تدخل تلك النواهي في سمعه .

فلما ثبت ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكي، حكم الشرع الشريف بان يسجن هذا المذكور، يمنع من التصرف والظهور.

---

(1) سورة المؤمن الآية ٩١ .

(2) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

(3) سورة الكهف الآية ٧٤ .

(4) سورة الزخرف الآية ١٩ .

ومرسومنا هذا يأمر بان لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك ، وينهي عن التشبه به في اعتقاد مثل ذلك ، أو يغدو له في هذا القول متبعا أو لهذه الألفاظ مستمعا ، أو يسرى في التجسم مسراه ، أو أن يفوه بجهة للعلو ، مخصصا أحداً كما فاه ، إن يتحدث إنسان في صوت أو حرف، أو يوسع القول في ذات أو وصف ، أو يطلق لسانه بتجسيم ، أو يحيد عن طريق المستقيم ، أو يخرج عن رأي الأمة ، أو ينفرد عن علماء الأئمة ، أو يحيز الله تعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا غير السيف .

فليقف كل أحد عند هذا الحد فلله الأمر من قبل ومن بعد فليلزم كل من الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة ، والخروج من هذه المشتبهات الشديدة ، ولزوم ما أمر الله به من التمسك بمذاهب أهل الإيمان الحميدة ، فانه من خرج عن أمر الله تعالى ﴿ **فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ [1] وليس له منا غير السجن الطويل من مقيل .

ومتى أصروا على الامتناع ، وأبوا إلا الدفاع ، فليس لهم عندنا حكم ولا قضاء ولا إمامة، ولا نسنح لهم في بلادنا بشهادة ولا منصب ولا إقامة ، ونأمر بإسقاطهم من مراتبهم، وإخراجهم من مناصبهم وقد حذرنا واعذرنا ، وانصفنا حيث أنذرنا .

فليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ليكون اعظم زاجر واعدل ناهٍ وأمر . وليبلغ الغائب الحاضر .

والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

---

[1] سورة الممتحنة الآية ١ .

## ملحق رقم (٢)

**رسالة السلطان الاشرف الى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام رداً على ما التمسه منه بخصوص إعادة النظر في موقفه من المحنة التي تعرض لها.**

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل إلي ما التمسه الفقيه ابن عبد السلام ، أصلحه الله ، من عقد مجلس وجمع المفتين والفقهاء ، وقد وقفنا على خطه وما أفتى به ، وعلمنا من عقيدته ما أغنى عن الاجتماع به ، ونحن فنتبع ما عليه الخلفاء الراشدون الذين قال في حقهم : (( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي )) وعقائد الأئمة الأربعة فيها كفاية لكل مسلم يغلب هواه ويتبع الحق ويتخلص من البدع ، اللهم إلا إن كنت تدعي الاجتهاد ، فعليك أن تثبت ، ليكون الجواب على قدر الدعوى ، لتكون صاحب مذهب خامس ، وأما ما ذكرته عن الذي جرى في أيام والدي تغمده الله برحمته ، فذلك الحال أنا أعلم به منك ، وما كان له سبب إلا فتح باب السلامة [ لا ] لأمر ديني ،

**وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جانيه العذاب**

ومع هذا فقد ورد في الحديث : (( الفتنة نائمة لعن الله مثيرها )) ومن تعرض إلى إثارتها قاتلناه بما يخلصنا من الله تعالى ، وما يعضد كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

## ملحق رقم (٣)

**الرسالة التي بعث بها شيخ الإسلام العز بن عبد السلام الى السلطان الاشرف رداً على رسالته إليه :**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ [١] أما بعد حمد الله الذي جلت قدرته ، وعلت كلمته ، وعمت رحمته ، وسبغت نعمته ، فإن الله تعالى قال لأحب خلقه إليه وأكرمهم لديه : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ [٢] وقد أنزل الله كتبه ، وأرسل رسله لنصائح خلقه ، فالسعيد من قبل نصائحه وحفظ وصاياه ، وكان فيما أوصى به خلقه أن قال : ﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [٣] وهو سبحانه أولى من قبلت نصيحته ، وحفظت وصيته.

وأما طلب المجلس وجمع العلماء ، فما حملني عليه إلا النصح للسلطان وعامة المسلمين، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين ، فقال : (( الدين النصيحة )) قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : (( لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم )) فالنصح لله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ولكتابه بالعمل بمواجبه ، ولرسوله باتباع سنته ، وللأئمة بإرشادهم إلى أحكامه والوقوف عند أوامره ونواهيه ، ولعامة المسلمين بدلالتهم على ما يقربهم إليه ويزلفهم لديه ، وقد أديت ما علي في ذلك .

والفتيا التي وقعت في هذه القضية يوافق عليها علماء المسلمين ، من الشافعية والمالكية والحنفية والفضلاء من الحنابلة ، وما يخالف في ذلك إلا رعاع لا يعبأ الله بهم ، وهو الحق الذي لا يجوز دفعه ، والصواب الذي لا يمكن رفعه ، ولو حضر العلماء مجلس السلطان لعلم صحة ما أقول ، والسلطان أقدر [ الناس ] على تحقيق ذلك ، ولقد كتب الجماعة خطوطهم بمثل ما قلته ، وإنما سكت من سكت في أول الأمر لما رأى من غضب السلطان ، ولولا ما شاهدوه من غضب السلطان لما أفتوا أولا إلا بما رجعوا إليه آخر ، ومع ذلك فتكتب ما ذكرته في الفتيا ، وما

---

[١] سورة الحجر : الآية ٩٢ ، ٩٣ .

[٢] سورة الانعام : الآية ١١٦ .

[٣] سورة الحجرات : الآية ٦ .

ذكره الغير وتبعث [ به ] إلى بلاد الإسلام ؛ ليكتب فيها كل من يجب الرجوع إليه ويعتمد في الفتيا عليه ، ونحن نحضر كتب العلماء المعتبرين ليقف عليها السلطان .

وبلغني أنهم ألقوا إلى سمع السلطان أن الأشعري يستهين بالمصحف ، ولا خلاف بين الأشعرية وجميع علماء المسلمين أن تعظيم المصحف واجب ، وعندنا أن من استهان بالمصحف أو بشيء منه فقد كفر ، وانفسخ نكاحه ، وصار ماله فيئا للمسلمين ، ويضرب عنقه ، ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ، بل يترك بالقاع طعمة للسباع .

ومذهبنا أن كلام الله سبحانه قديم أزلي قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، كما لا يشبه ذاته ذات الخلق ، ولا يتصور في شيء من صفاته أن تفارق ذاته، إذ لو فارقته لصار ناقصا ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، وهو مع ذلك مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور ، مقروء بالألسنة ، وصفة الله القديمة ليست بمداد للكاتبين ، ولا ألفاظ اللافظين ، ومن اعتقد ذلك فقد فارق الدين ، وخرج عن عقائد المسلمين ، بل لا يعتقد ذلك إلا جاهل غبي ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ [١].

وليس رد البدع وإبطالها من باب إثارة الفتن ، فإن الله سبحانه أمر العلماء بذلك، وأمرهم ببيان ما علموه ، ومن امتثل أمر الله ، ونصر دين الله ، لا يجوز أن يلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما ما ذكر من أمر الاجتهاد ، والمذهب الخامس ، فأصول الدين ليس فيها مذاهب ، فإن الأصل واحد ، والخلاف في الفروع ، ومثل هذا الكلام مما اعتمدتم فيه قول من لا يجوز أن يعتمد قوله ، والله أعلم بمن يعرف دينه ويقف عند حدوده ، وبعد ذلك ، فإنا نزعم أنا من جملة حزب الله ، وأنصار دينه وجنده ، وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي .

وأما ما ذكر من أمر باب السلامة ، فنحن تكلمنا فيه بما ظهر لنا ، من أن السلطان الملك العادل رحمه الله تعالى ، إنما فعل ذلك إعزازا لدين الله تعالى ونصرة للحق ، ونحن نحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

[١] الآية الأخيرة من سورة الأنبياء .

# ملحق رقم ( ٤ )

## رسالة الإمام النووي السلطان الظاهر بيبرس وهي ضمن رسالة وجهها الى ملك الأمراء بدر الدين[١]

بسم اله الرحمن الرحيم

من عبد الله يحيى النووي . سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين ، أدام الله الكريم له الخيرات ، وتولاه بالحسنات ، وبلغه من أقصى الآخرة والأولى كل آماله ، وبارك له في كل أحواله ، آمين . وننهي إلى العلوم الشريفة أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات ، وهلاك المواشي وغير ذلك . وانتم تعلمون انه تجب الشفقة على الرعية ، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم ، فإن الدين النصيحة ، وقد كتب خدمة الشرع الناصحون للسلطان ، المحبوبون له ، كتاباً يذكره النظر في أحوال رعيته والرفق بهم وليس فيه ضرر ، بل هو نصيحة محضة وشفقة وذكرى لاولي الألباب. والمسؤول من الأمير – أيده الله تعالى – تقديمه إلى السلطان – أدام الله له الخيرات – ويتكلم عنده من الإشارة بالرفق بالرعية ، مما يجده مدخراً له عند الله تعالى : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه﴾ [٢] .

وهذا الكتاب أرسله العلماء أمانة ونصيحة للسلطان – اعز الله أنصاره – فيجب عليكم إيصاله للسلطان – اعز الله أنصاره – وانتم مسؤولون عن هذه الأمانة ، ولا عذر لكم في التأخر عنها ، ولا حجة لكم في التقصير عنها عند الله تعالى ، وتسألون عنها يوم القيامة :﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾ [٣] . ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾ [٤].

---

[١] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٩٩ .

[٢] سورة آل عمران الآية ٣٠.

[٣] سورة الشعراء الآية ٨٨.

[٤] سورة عبس الآيات ٣٣– ٣٧.

وانتم بحمده تحبون الخير وتحرصون عليه وتسارعون إليه ، وهذا من أهم الخيرات وأفضل الطاعات ، وقد أهلتم له وساقه الله إليكم وهو فضل من الله ، ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدة إن لم يحصل النظر في الرفق بهم . قال الله تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ [1] . وقال الله تعالى : ﴿ وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾[2] . والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا . فإذا فعلتم هذا فأجركم على الله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [3] . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[1] سورة الاعراف الآية ٢٠١.

[2] سورة البقرة الآية ٢١٥.

[3] سورة النحل الآية ١٢٨.

## ملحق رقم (٥)

**رسالة ثانية أرسلها الإمام النووي إلى الملك الظاهر بيبرس[1] :**

رد السلطان رداً عنيفاً على رسالة النووي ، وتكدرت خواطر العلماء فكتب له النووي رسالة جوابية هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد . من عبد الله يحيى النووي . ينهي إن خدمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان – أعز الله أنصاره – فجاء الجواب بالإنكار والتوبيخ والتهديد ، وفهمنا منه أن الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع ، وقد أوجب الله إيضاح الكلام عند الحكام عند الحاجة إليه ، فقال تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننا للناس ولا تكتمونه﴾ [2] . فوجب علينا حينئذ بيانه ، وحرم علينا السكوت ، وقال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم﴾ [3].

وذكر في الجواب أن الجهاد ليس مختصاً بالأجناد ، وهذا أمر لم ندعه، وكان الجهاد، فرض كفاية، فإذا قرر السلطان له أجناداً مخصوصين، ولهم أخباز معلومة من بيت المال، كما هو الواقع، تفرغ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرهما، مما يحتاج الناس كلهم إليه : فجهاد الأجناد مقابلٌ بالأخباز المقررة لهم ، ولا يحل أن يؤخذ من الرعية شيء مادام في بيت المال شيء من نقدٍ أو متاع ، أو أرض أو ضياع تباع ، أو غير ذلك وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان– أعز الله أنصاره – متفقون على هذا ، وبيت المال – بحمد الله– معمور، زاده الله عمارة وتوسعة وخيراً وبركة في حياة السلطان ، المقرونة بكمال السعادة والتوفيق والتسديد والظهور على أعداد الدين ، وما النصر إلا من عند الله .

وإنما يستعان في الجهاد وغيره بالافتقار إلى الله تعالى ، واتباع آثار النبي (ص) وما لزمه أحكام الشرع ، وجميع ما كتبناه أولاً وثانياً ، هو النصيحة التي نعتقدها وندين الله بها ، ونسأل الله الدوام عليها

---

[1] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، صص١٠١.٩٩

[2] سورة آل عمران الآية ١٨٧.

[3] سورة التوبة الآية ٩١.

حتى نلقاه . والسلطان يعلم أنها نصيحة له وللرعية ، وليس فيها ما يلام عليه ولم نكتب هذا السلطان إلا لعلمنا أنه يحب الشرع ، ومتابعة أخلاق النبي (ص) في الرفق بالرعية والشفقة عليهم، وإكرامه لآثار النبي (ص) وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه .

و أما ما ذكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد ، فكيف يقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان والقرآن بطغاة الكفار ؟ وبأي شيء كنا نذكر طغاة الكفار، وهم لا يعتقدون شيئاً من ديننا ؟!.

وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء ، فليس هذا المرجو من عدل السلطان وحلمه ، وأي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ، وهم لا علم لهم به ؟ وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ؟

وأما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا اكثر منه ، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان؛ فإني أعتقد أن هذا واجب علي وعلى غيري وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى: ﴿ إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ [1]. ﴿ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ [2]. وقد أمرنا رسول الله (ص) أن نقول الحق حيث ما كنا ، وألا نخاف في الله لومة لائم. ونحن نحب السلطان في كل الأحوال وما ينفعه في أخرته ودنياه ، ويكون سبباً لدوام الخيرات له ويبقي ذكره على مر الأيام ، ويخلد به في الجنة ويجد نفسه : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾ [3].

و أما ما ذكر في تمهيد السلطان للبلاد وإدامته للجهاد و فتوح الحصون وقهر الأعداء ، فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة ، وطارت في أقطار الأرض. فلله الحمد وثواب ذلك مدّخر للسلطان إلى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ولا حجة لنا عند الله تعالى ، إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

## ملحق رقم (٦)

---

[1] سورة غافر الآية ٣٩.

[2] سورة غافر الآية ٤٤.

[3] سورة آل عمران الآية ٣٠.

**رسالة ثالثة أرسلها النووي الى السلطان بيبرس لما احتيط على أملاك دمشق** [١]

بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله تعالى : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ [٢] وقال الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ [٣] . وقال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [٤] ، وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان – أعز الله أنصاره – ونصيحة عامة المسلمين ، ففي الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) انه قال : (( الدين النصيحة لله وكتابه وأئمة المسلمين و عامتهم )) . ومن نصيحة السلطان – وفقه الله تعالى لطاعته وأولاه كرامته – أن ننهي إليه الأحكام ، إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام ، وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية والاهتمام بالضعفة وإزالة الضرر عنهم . قال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ [٥] . وفي الحديث الصحيح : (( إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم )) . وقال (ص) : (( من كشف عن مسلم كربة من كرب الدنيا كشف الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه )) . وقال (ص) : (( من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم ، فارفق اللهم به ، ومن شق عليهم فاشقق اللهم عليه )) . وقال (ص) : (( كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته )) . وقال (ص) : (( إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا )) .

وقد أنعم الله علينا وعلى سائر المسلمين بالسلطان – أعز الله أنصاره – فقد أقامه لنصرة الدين والذب عن المسلمين ن وأذل له الأعداء من جميع الطوائف ، وفتح عليه الفتوحات المشهورة في المدة اليسيرة ، وأوقع الرعب منه في قلوب أعداء الدين وسائر الماردين ، ومهد له البلاد والعباد ، وقمع بسيفه أهل الزيغ والفساد ، وأمده بالإعانة واللطف والسداد ، فلله الحمد على هذه النعم المتظاهرة والخيرات المتكاثرة ونسأل الله الكريم دوامها علينا وللمسلمين ، وزيادتها في خير وعافية آمين . وقد أوجب الله شكر

---

[١] السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ص ١٠١–١٠٣ .

[٢] سورة الذاريات الآية ٥٥ .

[٣] سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

[٤] سورة المائدة الآية ٢ .

[٥] سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

نعمه ووعد الزيادة للشاكرين فقال تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ [1]. وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها ، وطلب منهم إثبات ما لا يلزمهم ، فهذه الحوطة لا تحل عند أحد من علماء المسلمين ، بل من في يده شيء فهو ملكه لا يجل الاعتراض عليه ، ولا يكلف بإثباته . وقد اشتهر من سيرة السلطان انه يجب العمل بالشرع فيوصي نوابه ، فهو أول من عمل به . والمسؤول : إطلاق الناس من هذه الحوطة والإفراج عن جميعهم .

فأطلقهم أطلقك الله من كل مكروه ، فهم ضعفة ، وفيهم الأيتام والأرامل والمساكين والضعفة والصالحون ، وبهم تُنصر وتغاث وترزق وهم سكان الشام المبارك ، جيران الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم وسكان ديارهم ، فلهم حرمات من جهات ، ولو رأى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد لاشتد حزنه عليهم وأطلقهم في الحال ولم يؤخرهم ولكن لاتنتهى إليه الأمور على جهتها .

فبالله أغث المسلمين يُغثك الله ، وارفق بهم يرفق الله بك ، وعجل لهم الإفراج قبل وقوع الأمطار وتلف غلاتهم ، فان غالبهم ورثوا هذه الإهلاك عن أسلافهم ، ولا يمكنهم تحصيل كتب شراء وقد نهبت كتبهم . وإذا رفق السلطان بهم حصل له دعاء رسول الله (صلى عليه وسلم) لمن رفق بأمته ونصره على أعدائه ، فقد قال تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ [2] ، ويتوفر له من رعيته الدعوات وتظهر في مملكته البركات ويبارك له في جميع ما يقصده من الخيرات . وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (( من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة )) . ونسأل الله الكريم أن يوفق السلطان للسنن الحسنة التي يذكر بها الى يوم القيامة ويحميه من السنن السيئة .

فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان ، ونرجو من فضل الله تعالى أن يلهمه فيها القبول ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

[1] سورة إبراهيم الآية ٧ .

[2] سورة محمد الآية ٧ .

# ملحق رقم ( ٧ )

## مرسوم السلطان محمد بن قلاوون بعث به الى الشام وهو يتعلق بعقيدة ابن تيمية وموقف السلطنة منها[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنزه عن الشبيه والنظير، وتعالى عن المثيل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [٢] .

نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب ، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب . ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير. ونتنزه الخالق عن التحييز في جهة لقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ [٣] .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نهج سبل النجاة لمن سلك طريق مرضاته، وأمر بالتفكر في آلاء الله ونهى عن التفكر في ذاته صلى الله عليه وعلى اله وصحبه ، الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع وشيد الله بهم قواعد الدين الحنفي ما شرع ، فاخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع .

وبعد : فان العقائد الشرعية ، وقواعد الإسلام المرعية ، وأركان الإسلام العليا ، ومذاهب الدين المضية ، هي الأساس الذي يبنى الأيمان عليه ، والمؤمل الذي يرجع كل أحد أليه ، والطريق التي من سلكها فقد فاز فوزا عظيما ، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً . فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها ويؤكد زمامها ، وتصان عقائد هذه الأمة عن الاختلاف، وتزان قواعد الأئمة بالائتلاف، وتخمد ثوائر البدع ، ويفرق من قوتها ما جمع .

---

[١] الدوادوري ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، صص٤٢،٣٩ .

[٢] سورة الشورى الآية ١١ .

[٣] سورة الحديد الآية ٤ .

وكان التقي بن التيمية في هذه المدة قد سلط لسان قلمه ، ومد عنان كلمه ، وتحدث في مسائل الذات والصفات ، ونص في كلامه على أمور منكرات ، وتكلم فيما سكت عنه الصحابة و التابعون، وفاه بما يخفيه السلف الصالحون ، واتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام ، وانعقد على خلافه اجتماع العلماء والحكام ، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخف به عقول العوام ، فخالف في ذلك علماء عصره، وأئمة شامه ومصره ، وبعث رسائله إلى كل مكان ، وسمى فتاويه أسماء ما انزل الله بهما من سلطان .

ولما اتصل بنا ذلك، وما سلكوا مريدوه من هذه المسالك ، وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه ، وعلمنا انه استخف قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا انهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم ، قمنا في الله تعالى مستعظمين لهذا النبأ العظيم . فأنكرنا هذه البدعة، وانفنا ان نسمع عن من تضمه ممالكنا هذه السمعة . وكرهنا ما فاه به المبطلون ، وتلونا قوله :﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ [١] ، فانه جل جلاله تنزه عن العديل والنظير ،﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ) [٢].

وتقدمت مراسمنا باستدعاء التقي بن التيمية المذكور إلى أبوابنا عندما شاعت فتاواه شاما ومصرا ، و صرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا : ﴿لقد جئت شيئا نكراً ﴾ [٣].

ولما وصل إلينا ، تجمع أولو الحل والعقد ، وذو التحقيق والنقد ، وحضر قضاة الإسلام ، وحكام الأنام ، وعلما الدين ، وفقهاء المسلمين ، وعقد له مجلس شرع ، في ملأ من الأئمة والجمع، فثبت عند ذلك عليه جميع ما نسب إليه ، بمقتضى خط يده الدال على معتقداه ، وانفصل ذلك الجمع، وهم لعقيدته منكرون ، وأخذوه بما شهد به قلمه عليه : ﴿ ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [٤].

وبلغنا انه كان استتيب فيما تقدم، وأخره الشرع الشريف لما تعرض إلى ذلك واقدم ، ثم عاد بعد ردعه ومنعه، ولم تدخل تلك النواهي في سمعه .

فلما ثبت ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكي، حكم الشرع الشريف بان يسجن هذا المذكور، يمنع من التصرف والظهور.

---

[١] سورة المؤمن الآية ٩١ .

[٢] سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

[٣] سورة الكهف الآية ٧٤ .

[٤] سورة الزخرف الآية ١٩ .

ومرسومنا هذا يأمر بان لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك ، وينهي عن التشبه به في اعتقاد مثل ذلك ، أو يغدو له في هذا القول متبعا أو لهذه الألفاظ مستمعا ، أو يسرى في التجسم مسراه ، أو أن يفوه بجهة للعلو ، مخصصا أحداً كما فاه ، إن يتحدث إنسان في صوت أو حرف، أو يوسع القول في ذات أو وصف ، أو يطلق لسانه بتجسيم ، أو يحيد عن طريق المستقيم ، أو يخرج عن رأي الأمة ، أو ينفرد عن علماء الأئمة ، أو يحيز الله تعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا غير السيف .

فليقف كل أحد عند هذا الحد فلله الأمر من قبل ومن بعد فليلزم كل من الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة ، والخروج من هذه المشتبهات الشديدة ، ولزوم ما أمر الله به من التمسك بمذاهب أهل الإيمان الحميدة ، فانه من خرج عن أمر الله تعالى ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ [1] وليس له منا غير السجن الطويل من مقيل .

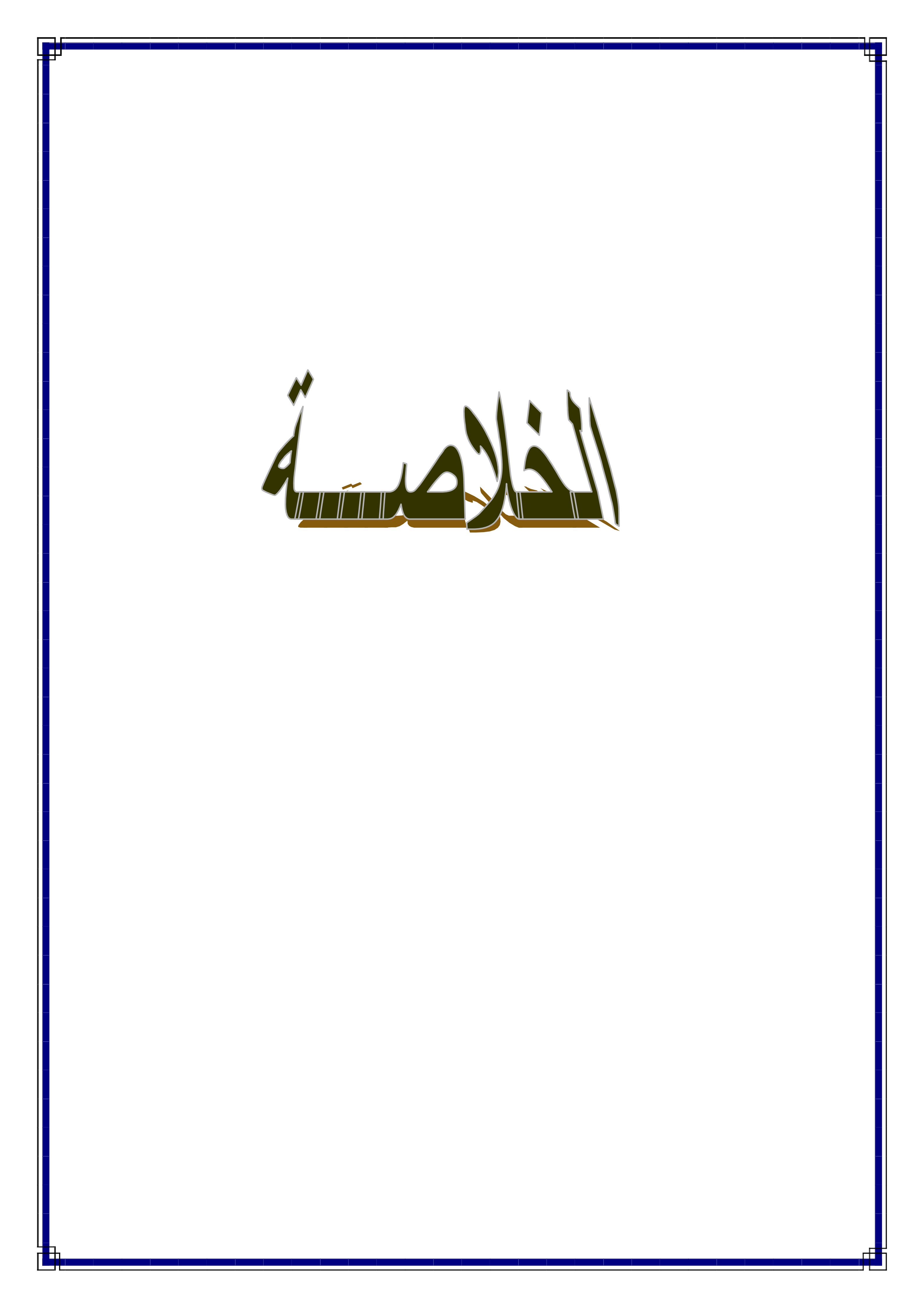
ومتى أصروا على الامتناع ، وأبوا إلا الدفاع ، فليس لهم عندنا حكم ولا قضاء ولا إمامة، ولا نسنح لهم في بلادنا بشهادة ولا منصب ولا إقامة ، ونأمر بإسقاطهم من مراتبهم، وإخراجهم من مناصبهم وقد حذرنا واعذرنا ، وانصفنا حيث أنذرنا .

فليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ليكون اعظم زاجر واعدل ناهٍ وأمر . وليبلغ الغائب الحاضر .

والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

---

[1] سورة الممتحنة الآية ١ .


الخلاصة

استعرضنا في الفصول السابقة ظهور مصطلح شيخ الإسلام ثم تطوره في عهد كل من دولة الأيوبيين (٥٦٩ .٦٤٨هـ / ١١٧١ . ١٢٥١م) ووريثتها دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤ هـ / ١٢٥١ . ١٣٨٢م ) . وتابعنا بشكل خاص ظهور المصطلح في المشرق من خلال تحليلنا للمصادر التي استخدمت هذا المصطلح في المشرق عن طريق مقارنة المصادر المتأخرة بالمصادر المتقدمة ، كما قمنا بتحليل لقب شيخ الإسلام سعياً وراء معرفة دلالاته الوظيفية والتعليمية ، وذلك من خلال دراسة و تحليل بعض الشخصيات التي حملت لقب شيخ الإسلام في الدولة الأيوبية وهم كل من شيخ الإسلام تقي الدين بن الصلاح ( ٥٧٧ . ٦٤٣هـ / ١١٨١ـ١٢٤٥م ) ، وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام ( ٥٧٧أو ٥٧٨ . ٦٦٠ هـ / . ١٢٦١م ) ، وشيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة ( ٥٤١ . ٦٢٠ هـ / ١١٤٦ . ١٢٢٣م ) ، و شيخ الإسلام مجد الدين بن تيمية ( ٥٩٠هـ . ٦٥٢هـ/ ١١٩٢ .١٢٥٤م ) ، وكذلك دراسة وتحليل بعض الشخصيات التي حملت لقب شيخ الإسلام في دولة المماليك البحرية وهم كل من شيخ الإسلام محيي الدين النووي ( ٦٣١ . ٦٧٦ هـ /١٢٣٣ . ١٢٧٧م ) ، وشيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد (٦٢٥ . ٧٠٢ هـ / ١٢٣١ . ١٣٠٢م ) ، وشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية (٦٦١ـ ٧٢٨هـ/١٢٦٣ .١٣٢٧م ) .

ولقد توصلنا من خلال تحليلنا للمعلومات الواردة في المصادر عن كل شخصية من شخصيات شيوخ الإسلام من جهة وظائفهم وعلاقاتهم من خلال هذه الوظائف مع أفراد المجتمع من جهة ومع السلطان ومجمع العلماء والفقهاء من جهة أخرى ، الى الملاحظات التالية :

١-بدايةً نستطيع القول أن جميع المصادر التاريخية تعاملت مع لقب شيخ الإسلام باعتبار أن حامله شخصية تحتل منزلة مهمة في المجتمع الذي يحتل فيه مكان الصدارة ،فضلاً عن كونه المتقدم على أقرانه ويحظى باحترامهم واعترافهم بتقدمه .

٢- من الصعب على المؤرخ المبتدئ أن يذكر على وجه التحديد أول ظهور للقب شيخ الإسلام ، وذلك نظراً لأن المصادر التاريخية المتأخرة تضفي لقب شيخ الإسلام على شخصيات متقدمة هي في الحقيقة لا تحمل اللقب لان المصادر المعاصرة لم تستخدمه في تراجمهم كليةً مع انها تستحق هذا اللقب لتوفر شروطه في هذه الشخصيات .وقد توصل الباحث في ضوء تحليل المادة العلمية المتوفرة في المصادر الى أن النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، يمثل

البداية التقريبية لظهور مصطلح شيخ الإسلام ، حيث كان أول ظهور لهذا المصطلح في خرا سان عندما لقب شافعية نيسابور الشيخ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ( ٣٧٣ . ٤٤٩ هـ ) بشيخ الإسلام ، ثم تلاه تلقيب الحنابلة في هراة للإمام أبو إسماعيل الأنصاري ( ٣٩٥ . ٤٨١ هـ ) بشيخ الإسلام ، وكذلك أبو نصر بن صاعد الاستوائي ( ٤١٠ . ٤٨٢ هـ) وغيرهم .

٣- نجد أن مصنفي كتب التراجم والطبقات عادة ما يحرصون على إضفاء لقب شيخ الإسلام فقط على الشخصيات التي تنتظم معهم في إطار جماعة واحدة ، في حين لا تسمي الشخصيات التي لا تنتمي إليهم بشيخ الإسلام أي التي هي خارج اطار هذه الجماعة . وهذا الأمر يوجد على سبيل المثال لدى تاج الدين السبكي في تسميته للعز بن عبد السلام الذي ينتمي الى جماعته الأشعرية. في حين لا يسمي ابن الصلاح الذي ينتمي الى جماعة المحدثين بلقب شيخ الإسلام ، رغم استحقاقه لهذه التسمية .

٤- لم يكن هناك شيخ إسلام واحد فقط في عهد الأيوبيين أو المماليك بل على العكس من ذلك كانت كل فئة من فئات المجتمع تخرج شيخاً للإسلام خاصاً بها ، وغالباً لا تعترف أي من الفئات الدينية في المجتمع إلا بشيخ الإسلام الذي ينتمي إليها من المدارس الفقهية الأربعة .

٥- لا يوجد في كتب الطبقات والتراجم ، وكذلك في الوثائق الرسمية لدولتي الأيوبيين والمماليك ، ما يشير الى وجود أي صفة رسمية للقب شيخ الإسلام أو أي إشارة الى سعي أي من سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية الى جعله ذو طابع رسمي ، والسبب يعود من وجهة نظر الباحث المتواضعة الى ما ذكرناه أعلاه من أن المجتمع كان يفرز اكثر من شيخ إسلام واحد في آن واحد فيوجد شيخ إسلام يتبع المحدثين من الشافعية و آخر يتبع جماعة الشافعية- الاشاعرة ، وثالث يتبع جماعة الحنابلة وهكذا ، والاهم في الأمر ، أن أي من الدولتين سواء الأيوبية أو المملوكية كانت تظل دوماً بحاجة دائمة إلى تعاون هؤلاء الشيوخ جميعاً ودعاويهم ومشاركتهم خصوصاً أن سياسة أي من الدولتين كانت قائمة على مسألة الجهاد الأمر الذي يستوجب على الدولة إبقائهم جميعاً ، كما أن هناك أمر أخر في الاتجاه نفسه وهو أن أي من الدولتين الأيوبية والمملوكية لم تقم على أساس المذهب الواحد بل كان الاعتراف بالمذاهب الرسمية الأربعة أمراً قائماً دوماً .وهذا ما لمسناه في الدولة

الأيوبية التي وان كان المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي لجل السلاطين إلا أن بقية المذاهب خصوصاً مذهب الإمام احمد بن حنبل رضي الله عنه حظي باحترام وتقدير وتقريب الكثير من أمراء البيت الأيوبي خصوصاً في بلاد الشام ، وبصفة أخص بين نواب السلطنة في دمشق كلاً من السلطان المعظم عيسى (ت:٦٢٤هـ/١٢٢٧م) ، والسلطان الأشراف موسى (ت: ٦٣٥هـ/١٢٣٧م) ، ثم الصالح إسماعيل ، حيث كانت دمشق تمثل مركزاً مهماً من مراكز الحنابلة . كذلك عمد سلاطين دولة المماليك البحرية الى فتح الباب أمام المذاهب المختلفة للاستفادة من دورها بشكل كامل وقد خطى سلاطين المماليك بشخص السلطان الظاهر بيبرس خطوة عملية في هذا الاتجاه بجعل القضاء قائم على اجتهادات المذاهب الأربعة بعد أن كان قائماً في عهد الأيوبيين وبداية عهد المماليك على المذهب الشافعي فقط ، وكان توجه سلاطين المماليك نحو هذا الأمر على الرغم من انتمائهم جميعاً الى المذهب الشافعي إذا استثنينا السلطان المظفر قطز الذي كان من اتباع المذهب الحنفي .

٦-كان شيخ الإسلام يؤدي دوراً مهماً في خدمة المجتمع والدولة على السواء ، فبالنسبة لدوره في خدمة المجتمع الذي ينتمي إليه فنجده يودي ذلك الدور من خلال جملة الوظائف المناطه به ، وكذلك من خلال تبني المواقف الصلبة والشجاعة تجاه تجاوزات بعض السلاطين و الأمراء على المال العام أوعلى بعض الممتلكات الخاصة العائدة لبعض أفراد المجتمع ، وكذلك التجاوز في حالات نادرة على المقدسات الإسلامية كما هو الأمر في الحالة الأخيرة في موقف شيخ الإسلام العز بن عبد السلام من محاولة الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بناء طبلخانة على ظهر أحد المساجد في القاهرة .

أما ما يخص جانب السلطة فلا شك أن الدولة كانت تعول على دور شيخ الإسلام كثيرا في القضايا السياسية والمصالح العامة خصوصاً فيما يتعلق بمسائل الجهاد حيث يعتمد عليه في الدفع بعامة المسلمين لمناصرة ومؤازرة قضية الجهاد ودعم المجهود الحربي والرفع من معنويات عامة العرب . المسلمين وخاصتهم على السواء . كما كان يؤدي دوراً آخر مهماً من خلال الفتاوي الشرعية التي عادة ما تجد آذانا صاغية لدى جميع المسلمين ، وهذه الفتاوي تصب في النهاية في خدمة الدولة وذلك لكونها تدعو الى تنفيذ أوامر الشرع الحنيف واجتناب ما نهى عنه وما يترتب على هذا

الأمر من استقرار لأوضاع المجتمع إجمالا، وان كانت هذه الفتاوي كثيراً ما تخلق أزمات مختلفة تستدعي من الدولة وقفة جادة للتصدي لها . كما تمثل ذلك في فتاوي شيخ الإسلام العز بن عبد السلام بخصوص تحريم بيع السلاح للصليبيين الذين كانوا قد حصلوا على ترخيص من قبل الملك الصالح إسماعيل بشراء السلاح من أسواق دمشق مقابل وقوفهم الى جانبه في قتاله مع السلطان الأيوبي في مصر الصالح نجم الدين أيوب . كذلك أيضا فتواه القاضية ببيع الأمراء المماليك الذين لم يثبت لديه انهم أحرار مع انهم رمز السلطة وأساس قوتها العسكرية، وقد كان دور شيخ الإسلام العز بن عبد السلام في هذا الجانب قوياً الى الحد الذي دفع بالسلطان الظاهر بيبرس عندما رأى جنازة العز الى القول الآن استقر ملكي ، ومن ذلك أيضا فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يخص قضايا العقيدة والطلاق وشد الرحال والتي تسببت بالكثير من الإشكالات لنيابة السلطنة بدمشق ، الى غير ذلك من الفتاوي التي تؤكد الدور المهم الذي كان يضطلع به شيخ الإسلام .

٧- ليس هناك من شك في أن الدولة قد لوحت ببعض الاعتراف . وان كان غير رسمي . بمركز شيخ الإسلام وذلك من خلال وضع جملة من الوظائف الرسمية بين يدي شيخ الإسلام وتحميله مسئوليتها العامة كتابع للدولة ، و بهذه الطريقة تمكنة من جعله حلقة وصل بينها وبين المجتمع عن طريقها تستطيع من تحريك المجتمع والدفع به للتفاعل مع القضايا العامة .

أخيراً يمكن القول ان ظهور مركز شيخ الإسلام بين رجال مجتمع الدولة العربية الإسلامية يعد بحد ذاته إحدى أهم السمات الحضارية التي تعبر عن تقدم هذا المجتمع وقدرته على الدفاع عن دينه ونفسه . كما تشير في الوقت نفسه الى ما تميزت به الدولتين الأيوبية والمملوكية من انتشار المؤسسات التعليمية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه المؤسسات ، فضلاً عن الدور المتميز الذي اضطلعت به في نشر العلم وتثبيت الأحكام وعلوم الشرع الحنيف ، وهذا الأمر يظهر بجلاء من خلال تميز هذا العصر بالعدد الهائل من كبار الأعلام في تخصصات الفقه والحديث والاقراء وغيرها ، وكذلك من خلال الكثير من المصنفات التي تميز بها هذا العصر والتي تزخر بها المكتبة العربية الإسلامية .

# *ABSTRACT*

This is a thesis about the evolution of shaykh aL- Islam ander the Ayyubids and the Bahri Mamluks . It aims at underlining the origin of the concept prior to the Ayyubids , and then at analyzing its gradual developments , under the Ayyubids and the Bahri Mamluks , from the standpoint of its relations with the state and the syro-Egyptian society , in order to establish its nature and characterization .

This has been done through the carrers of those fuquaha and ulama who assumed the title of shaykh al-Islam during the specified era . Hence the importance of this piece of research for the fields of Ayyubi and Mamluk intitutions and society .

The thesis consists of four chapters , plus an introduction and conclusion . The introduction designates the problem and its nature , and the historiographical characters and sources relating to it . In chapter one , we traced the origin of the concept and its occurence in biographical notes of deceased fuqaha and ulamo as applied to the Mashriq (i.e. Al- Mashriq Al-Islami or Kharasan) . We examined its two terms combination of shaykh and Islam , its implication and the usage it takes among the fuguha the muhaddithun , the sufis and the secrearial kuttab .

Chapter two covers the personalities and carrers of four distinguished Ayyubi shaykh Al-Islam , namely, the shafi is Ibn Al-Salah (d. 643 / ) , and Ibn Abd Al-Salam (d.660 / 1261) and the Hanbalis Ibn Qudama (d.620 / 1223 ) and Majd Al-Din Ibn Taymiyya (d.652 / 1245) , where as chapter three has been devoted to similar instances relating to the Bahri period , namely , the to shafi is Muhyi Al- Din alNawawi (d.676 / 1277 ) and Ibn Daqio al-Id

(d. 702 / 1302) , and the famous Hanbali Ibn Taymiyya (d.728/ 1327) , grandson of the earlier figure . In chapter four we looked into the interrelation between the state and society , in so far as the careers of those personalities are concerned .

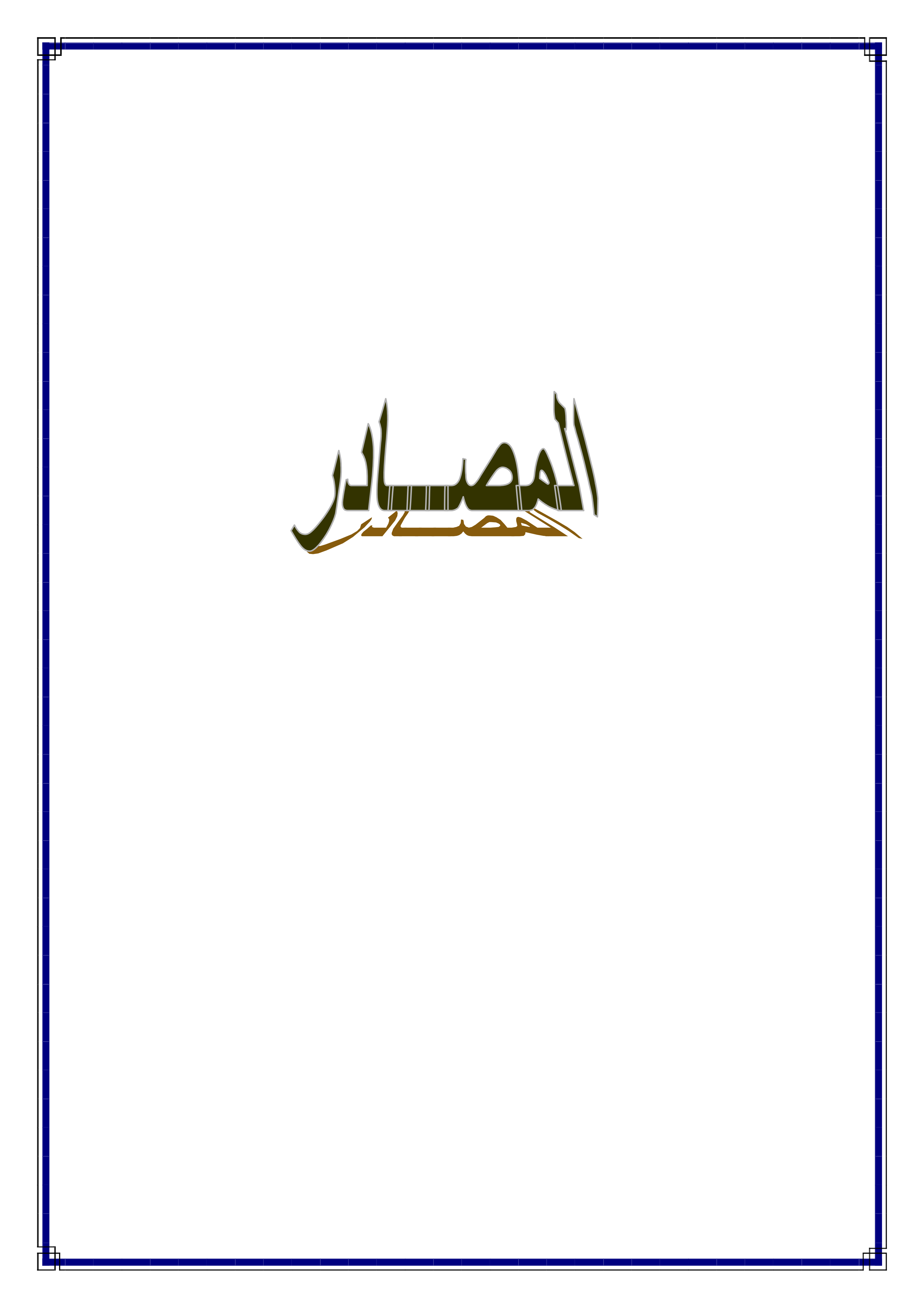
We found out that it is difficult for the researcher to say exactly when the concept of shaykh al-Islam has appeared in Islam although one can say for certain that it was in usage as far as the second half of the fourth century era (A.H.) . It was not an official post , and never become , but it was not a ceremonial position either .

Further more , all shyukh al-Islam who had borne the title were important intellectual figures . Some sources attribute the position to earlier Islamic shaykh preceding the specified given data , all of whom were not themselves bearer of the title , althoug they deserve , on later criteria , to be classified as such .

The position represent a gift of the Muslim community , rather the group to whom the shaykh al-Islam belonged . With regard to multiplicity , there were several shaykhs at a time within the community , belonging to different religions groupings , either to represent the shafi'i muhaddithun , the shafi'i fuqaha , or say the Hanbalis and so on . It was the policy of the Ayyubids and the Mamluk – Bahri to recognize all the four sunni schools to whom a given shaykh – Islam belonget , and both did not believe in one madhhab policy . Ayyubi and Mamluk sources and documents show no official status for those shaykhs , and the state made no attempt to make them so .

The shaykh al-Islam was performing important duties within the community and the state together , through the principles of jihad , the fulfillment of acts relating to Muslim welfare and the issuing of legal opinions that aims at resolving complicated problems .

The state gave no official status to shaykh al-Islam , this was to wait until the time of the Ottomans . But what the state gave to him as some kind of official status was to come through the various religious posts they had occupied and performed , such as the posts of khitaba , imama , nazara and tadris .


المصادر

## * القرآن الكريم

## أولاً : المخطوطات

* عبد الغافر ، أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي ( ٤٥١-٥٢٩هـ )

- السياق على تاريخ نيسابور .

* الصريفيني ، ابراهيم بن محمد

- المنتخب من كتاب السياق على تاريخ نيسابور .

## ثانياً : كتب عربية مطبوعة

* الادفوي ، أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي ( ت:٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) :

- الطالع السعيد الجامع نجباء الصعيد ،تح :سعيد محمد حسن ،( القاهرة : مط الدار المصرية للتأليف والترجمة ،١٩٦٦م ).

* ألا سنوي ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين ( ت: ٧٧٢هـ )

- طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط١ (جزءان ، بغداد : مط الإرشاد ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م ) .

* ابن اياس ، محمد بن احمد بن اياس الحنفي المصري ( ت : ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط١( ٥أجزاء ، القاهرة : مط الكبرى الاميرية ، ١٣١١هـ ) .

* ابن ايبك ، أبو بكر عبد الله بن ايبك الدواداري ( ت:٧٣٢هـ/١٣٣٥م )

- كنز الدرر وجامع الغرر الأجزاء الأربعة من السادس الى التاسع وتعرف باسم ( الدرر المطلوب في اخبار ملوك بنى ايوب) تح : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : د. مط ،١٣٩١هـ/١٩٧٢م) .

- كنز الدرر وجامع الغرر الجزء التاسع و يعرف باسم ( الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ) تح :هانس روبرت رويمز ( القاهرة : مط سامي الخنجي ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).

* الباخرزي ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت: ٤٦٧هـ)

– دمية القصر وعصرة أهل العصر ، ، (٣ أجزاء ، دمشق ، مؤسسة ذو الحياة، بلا .ت)

* أبو البركات الحنبلي ، احمد بن ابراهيم ( ت: ٨٧٦هـ )

– شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح : ناظم رشيد ( بغداد : مط دار الحرية ، ١٩٧٨ ).

* ابن بطوطة ، محمد بن محمد بن عبد الله الطنجي ( ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ) :

– رحلة ابن بطوطة المسماة ( تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار )، تح : علي المنتصر الكتاني ، ط ٤ (جزءان ، بيروت : مط مؤسسة الرسالة ،١٤٠٥هـ).

* البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد

- إيضاح المكنون ( طهران : مط المكتبة الإسلامية ، ١٣٧٨هـ ) .

– هدية العارفين " أسماء المؤلفين وآثار المصنفين " ( استامبول : مط وكالة المعارف ، ١٩٥١م ) .

* ابن تغري بردي ، جمال الدين ابى المحاسن يوسف الاتابكي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

– النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ( القاهرة : مط دار الكتب المصرية ، ١٩٣٦م ) .

* التميمي ،عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي ( ت : ٣٢٧ )

– الجرح والتعديل ، ط١( ٩ أجزاء، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٥٢م ).

* ابن تيمية ،احمد بن عبد الحليم الحراني ( ت:٧٢٨هـ/١٣٢٧م)

– اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تح : محمد حامد الفقي ، ط ٢ (القاهرة : مط الست المحمدية ،١٣٦٩ هـ ) .

– الطلاق ، ط٢ ( د.مط ، بلا. ت) .

– العقيدة الواسطية : تح : محمد بن عبد العزيز بن مانع ،ط ٢ ،( الرياض :مط الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء ،١٤١٢هـ ) .

– كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ،تح :عبد الرحمن محمد قاسم ( مط مكتبة ابن تيمية ، بلا . ت).

* الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ( ت : ٤٢٩هـ )
– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ( ٤ أجزاء، القاهرة : د. مط ، ١٩٥٦م)

* الجبرتي ،عبد الرحمن بن حسن (١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م )
– تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (٣ أجزاء ، بيروت : مط دار الجيل ، بلا .ت ).

* ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ( ت: ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م )
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط١ ( ١٠ أجزاء ، بيروت : مط دار صادر، ١٣٥٨هـ) .

* حاجي خليفة ، مصطفي بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠١٧ . ١٠٦٧ هـ)
– كشف الظنون ،(جزءان ، بيروت : مط دار الكتب العلمية ،١٤١٣هـ/١٩٩٢م ) .

* ابن حجر ، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، ( ٧٧٣_ ٨٥٢هـ )
– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تح : محمد عبد المعيد خان ، ط٢ (٦ أجزاء الهند ، حيدر اباد : مط مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٢م ).
– رفع الاصر عن قضاة مصر، تح : حامد عبد المجيد واخرين ( القاهرة : مط الاميرية، ١٩٦١م ) .

* ابن حجر ، الهيثمي ( ت: ٩٤٧هـ)
– الفتاوي الحديثيه ( القاهرة : مط مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٧م) .

* الحسيني ، صدر الدين علي بن ناصر بن علي
– أخبار الدولة السلجوقية ، تح : محمد إقبال ، ( لاهور : د. مط ، ١٩٣٣م) .

* الحنبلي ، ابي اليمن مجير الدين (ت:٩٢٨هـ)
– انس الجليل بتاريخ القدس والخليل ( النجف : مط الحيدرية ، ١٣٨٨هـ/١٩٨٦م ) .

* ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد المغربي (٨٠٨هـ/١٤٠٦م )

– العبر وديوان المبتدأ والخبر ،(٧ أجزاء، بيروت : مط مؤسسة الإعلامي ،١٩٧١م )

* ابن خلكان ،أبى العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر ، (ت:٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : احسان عباس (٨ أجزاء ، بيروت :مط دار الثقافة ، ١٩٦٨م ).

* ابن خياط ، خليفة (ت: ٢٤٠ هـ )

– طبقات خليفة بن خياط ، تح : سهيل زكار ( بيروت : مط دار الفكر ، ١٤١٤ هـ ) .

* الدمشقي ، أبو بكر الحصن ( ت: ٨٢٩هـ)

– دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك الى السيد الجليل الإمام احمد ، تح :محمد زاهر ابن الحسن الكوثري ، ( القاهرة: د . ط ، بلا . ت ) .

* الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد ابن عثمان ابن قايماز التركماني ، (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

– تذكرة الحفاظ ، ط٤ ( ٤أجزاء ، الدكن : مط مجلس دائرة المعارف الإسلامية ، بلا.ت).

– دول الإسلام ، ( جزءان ، الهند : مط جمعية دائرة المعارف العثمانية ،١٣٦٤-١٣٦٥هـ ) .

– سير اعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرناؤوط ،محمد نعيم العرقسوسي ،ط٩ ( ٢٣جزءاً ، بيروت :مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ) .

– العبر في خبر من غبر ، تح :صلاح الدين المنجد، ط ٢ "مصورة"( الكويت :مطبعة حكومة الكويت ،١٩٤٨م) .

– المعجم المختص بالمحدثين تح : محمد الحبيب الحنبلي ، ط١ ( الطائف : مكتبة الصديق ، ١٩٨٨م ).

– معرفة القراء الكبار ،تح : بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط ،صالح مهدي عباس ، ط١ (بيروت : مط مؤسسة الرسالة ،١٤٠٤هـ).

– معجم الشيوخ ، تح : محمد الحبيب الهيلة ( الطائف : مكتبة الصديق ، بلا.ت ) .

– المعين في طبقات المحدثين ، تح: همام عبد الرحيم سعد، ط١ ( عمان : مط دار الفرقان ، ١٤٠٤هـ) .

* ابن رجب ، زين الدين ابي ألفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ،( ت : ٧٩٥هـ) .

– الذيل على طبقات الحنابلة ، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقيه (جزءان ، القاهرة : مط السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م ) .

* الزبيدي ،السيد محمد مرتضى (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م )

– ترويح القلوب في أخبار بنى أيوب ،تح :صلاح الدين المنجد ( بيروت : مط دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٣م ).

* سبط بن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت :٦٥٤هـ /١٢٥٧م)

– مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، (٨ أجزاء.الهند :حيدر أباد ،١٣٧٠هـ /١٩٥١م)

* السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب علي بن عبد الكافي ، ( ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م)

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي ، ط٢ (١٠ مجلدات ، الجيزة :مط هجر للطباعة والنشر ،١٩٩٢ م ) .

* السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ( ت: ٩٠٢هـ)

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (القاهرة: مط السعادة ، ١٣٢٦هـ) .

– الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ( بيروت : دارمكتبة الحياة ، بلا .ت ) .

* ابن سعد ، ابي عبد الله محمد بن سعد بن منيع ( ت : ٢٣٠ هـ )

– الطبقات الكبرى ( بيروت : مط دار صادر ، ١٣٥٨ هـ ) .

* السلامي ، ابن رافع ( ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

– تاريخ علماء بغداد المسمى المنتخب المختار ، تحقيق : عباس العزاوي ( بغداد : مط الأهالي ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٨٧م ) .

* السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم التميمي ( ت : ٥٦٢ هـ )

– انساب الاشراف ، ط١ ( دار الجنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م )

* السيوطي ، أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبى بكر ، (ت : ٩١١هـ)

– تاريخ الخلفاء ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ١ ( القاهرة : مط السعادة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ).

– حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط١ (جزءان، داراحياء الكتب العربية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م ) .

– طبقات الحفاظ ، ط ١ ، (بيروت :مط دار الكتب العلمية ،١٤٠٣هـ) .

* أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المقدسي ، ( ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)

– الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنيين السادس والسابع ) ،نشرت باعتناء عزت العطار ، ط ٢ (بيروت :مط دارالجيل الجديد ،١٩٧٤م ) .

* ابن شداد، أبو المحاسن ابي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي( ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م)

– الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : سامي الدهان : ( جزءان ، بيروت :مط الكاثوليكية ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م ).

* ابن شداد ، أبو المحاسن يوسف بن رافع الاسدي ، ( ت : ٦٣٢هـ/١٢٣٤م )

– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تح : جمال الدين الشيال ،ط١(القاهرة : د.مط ، ١٩٦٢م) .

* الشوكاني ،محمد بن علي ، ( ت : ١٢٥٠هـ )

– البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (القاهرة : مط السعادة ،١٣٤٨هـ) .

* ابن صصري ، محمد بن احمد

– الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية ،تر: وليم ، برينز (اكسفورد : مط مكتبة بودليان، بلا . ت ) .

* الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

– نكت الهميان في نكت العميان (القاهرة: مط الجمالية، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) .

– الوافي بالوفيات ، ط٢ ( طهران : د.مط ،١٩٦١م) .

* الصقاعي ، فضل الله بن أبي الفخر( ٧٥٢هـ / ١٣٥٢م )

– تالي كتاب وفيات الأعيان ، تح : جاكلين سوبلة ( دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٧٤ ) .

* ابن الصلاح (ت:٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

– أدب المفتي والمستفتي ، تح : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ( مط عالم الكتب ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م ) .

– فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والاصول والفقه ، تح : عبد المعطي امين قلعجي ، ط١ ( بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ) .

* الطبري ، محمد بن جرير ( ت: ٣١٠ هـ )

تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق نخبة من العلماء الأفاضل (٨ أجزاء ، بيروت، مط مؤسسة الإعلمي، بلا . ت ) .

* ابن عبد الظاهر ، محي الدين عبد الظاهر ، (٦٩٢هـ/١٢٩٢م)

– تشريف الأيام والشهور في سيرة الملك المنصور ( مط الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦١م ) .

* ابن عبد الهادي ،محمد بن احمد ، (ت:٧٤٤هـ)

– العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام احمد بن تيمية ، تح : محمد حامد الفقي ، ( بيروت :مط دار الكتاب العربي ، بلا . ت ) .

* ابن عساكر ، أبو القسم

– تبين كذب المفتري فيما نسب الى ابي الحسن الاشعري( دمشق : مط التوفيق ، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) .

* ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن احمد العكري الدمشقي ( ت: ١٠٨٩هـ)

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط٢ ( ٨ مجلدات، بيروت : دار المسيرة، ١٣٩١هـ /١٩٧٩م ) .

* العماد الاصفهاني ، عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد الاصفهاني ، ( ت: ٥٩٧/١٢٠٠م)

– الفتح القسي بالفتح القدسي (القاهرة :د. مط ، ١٣٢١م) .

* ابن العميد ، المكيين جرجيس بن العميد بن اياس (ت: ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)

- أخبار الايوبيين ، ( دمشق : المعهد الفرنسي ،١٩٥٨م) .

* العيني ، بدر الدين محمود (ت :٨٥٥هـ/١٤٥١م)

- الروض الزاهرة في سيرة الملك الظاهر( القاهرة :مط دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م).

* الغساني ، أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت: ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق : شاكر محمود عبد المنعم ، ( بغداد :مط جامعة بغداد ، ١٩٧٠م ) .

* ابن الفوطي ،كمال الدين عبد الرزاق ،(ت : ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)

- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تح جـ٤:مصطفى جواد (١٩٦٢-١٩٦٥م) ، تح: جـ٥: محمد عبد القدوس القاسمي ( د.مط ،١٩٤٠م) .

- الحوداث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تص: مصطفى جواد (بغداد : د. مط ، ١٣٥١هـ) .

* الفاسي ، أبو عبد الله محمد بن عمر

- ملئ العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ،( مط الدار التونيسة للنشر، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

* ابن قاضى شهبه ،أبو بكر بن احمد بن محمد بن عمر (٧٧٩.٨٥١هـ)

- طبقات الشافعية ، تح : الحافظ عبد الحليم خان ، ط١ ( ٤ أجزاء ، بيروت :مط عالم الكتب ،١٤٠٧هـ ) .

* القشيري ، أبو القاسم (ت: ٤٦٥هـ)

- الرسالة القشيرية في علم التصوف ، ( بغداد :مط دار التربية ، بلا.ت ) .

* القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي ، (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)

- صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، (القاهرة :مط كوستا توماس ،١٩٦٣م) .

- مآثر الانافة في معالم الخلافة ،تحقيق :عبد الستار احمد فراج ،ط٢ ، (٣ أجزاء ، الكويت ، مط حكومة الكويت ،١٩٨٥م ) .

* ابن قنفذ ، ابي العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب

- وفيات ( بيروت : مط المكتبة التجارية ، ١٩٧١م ) .

* الكتبي ، محمد بن شاكر احمد (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م ) .

- فوات الوفيات، تح: احسان عباس ، (٤ أجزاء، بيروت : مط دار صادر ، ١٩٧٣م ) .

* ابن كثير ،اسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي أبو الفداء ، (ت: ٧٧٤هـ )

- البداية والنهاية ، (١٤ جزءاً ، بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ م ) .

- تفسير ابن كثير ،( بيروت :مط دار الفكر ،١٤٠١هـ ) .

* الكرمي ، مرعي بن يوسف ، ( ت:١٠٣٣هـ)

- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، تح :نجم عبد الرحمن خلف ، ( مط مؤسسة الرسالة ، بلا .ت ) .

* محمد ، برهان الدين إبراهيم ( ت : ٨٨٤هـ )

- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام احمد ، تح : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، ط ١ (٣ أجزاء ، الرياض : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع / ١٩٩٠ م) .

* المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م)

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح : محمد مصطفي زيادة ،ط ٢ ( ٦ أجزاء ، القاهرة: مط لجنة التأليف والترجمة ،١٩٥٧م) .

* المنذري ، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم ، (ت:٦٥٦هـ)

- التكملة لوفيات النقلة ، تح : بشار عواد معروف ،ط٢ (جزءان ، بيروت : مط مؤسسة الرسالة ،١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

* ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٦٣٠-٧١١هـ)

- لسان العرب ، (٢٠جزءاً ،القاهرة : المؤسسة المصرية ، بلا . ت) .

* ابن ناصر الدين ، محمد بن ابي بكر ابن ناصر الدين الدمشقي ( ت: ٨٤٢م )

- الرد الوافر ، تح : زهير الشاويش، ط١ ( بيروت : مط المكتب الإسلامي، ١٣٩٣هـ) .

* نظام الملك ، أبو الحسن علي بن اسحاق ( ٤٠٨.٤٨٥هـ)

– سياست نامه المسماة ( سير الملوك ) ، تر : يوسف حسين بكار ( بيروت : دارالقدس ، بلا . ت ) .

* النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي ( ت : ٩٧٨ هـ)

– الدراس في تاريخ المدارس ، تح: ابراهيم شمس الدين ، ط١ (جزءان، بيروت : مط دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ)

* النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت:٦٧٦هـ)

– تهذيب الأسماء واللغات ، ط١ ( ٣ أجزاء ،بيروت :مط دار الفكر ، ١٩٩٦م ) .

– رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تح: علي عبد الحميد أبو الخير ( دمشق : مط دار الخير ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م ) ٠

* ابن واصل ، جمال الدين عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله ، (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)

– مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ، تح : حسنبن محمد ربيع ، مراجعة : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : مط دار الكتب، ١٩٧٧م) .

* ابن الوردي ، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر ، (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

– تاريخ ابن الوردي وهو تتمة المختصر في أخبار البشر ، ط٢ ، (جزءان،النجف : مط الحيدرية ،١٩٦٩م ) .

* بن أبى الوفاء ، عبد القادر بن أبى الوفاء محمد القرشي ( ت: ٧٧٥هـ)

– الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : (جزءان، كراتشي : مير محمد كتب خانة ، بلا.ت ) .

* اليافعي ، أبى محمد عبد الله بن اسعد (ت:٧٦٨هـ/١٣٦٧م )

– مرآة الجنان ، ط٢ ( بيروت : مط مؤسسة الإعلامي،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ) .

* ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

– معجم البلدان ، (٥ أجزاء ، بيروت : مط دار صادر ، ١٩٥٧م) .

* ابن يحيى ، الأمير صالح بن يحيى ( ت: ٨٢٦هـ )

– تاريخ بيروت واخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب ، نشر وتعليق :الأب لويس شيخو اليصوغي، ط٢( بيروت : مط الكاثولوكية ،١٩٢٢م ) .

* اليزار ، أبو حفص عمر بن علي (ت : ٧٤٩هـ )

– الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ،ط١ ( بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٦م ) .

* أبو يعلى : الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني ( ت:٤٤٦هـ)

– الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح : محمد سعيد عمر إدريس، ط١ ( ٣ مجلدات ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٩ هـ)

* أبو يعلى ، محمد أبو الحسن ( ت: ٥٢١هـ)

– طبقات الحنابلة، تح : محمد حامد الفقي ( جزءان ، بيروت ، مط دار المعرفة ، بلا.ت)

## ثالثاً : كتب حديثة

* ادريس ، محمد محمود

– دارسة التاريخ والحضارة الإسلامية "الخلافة العباسية في عهدي نفوذ الأتراك والبويهيين " (القاهرة : مط دار الثقافة ، ١٩٨٤م ) .

* باركر ، ارنست

– الحروب الصليبية ، تر: السيد الباز العريني ،ط٢ ( بيروت : مط دار النهضة ، ١٩٦٧م ).

* الباشا ، حسن

– الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ( القاهرة : مط مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م) .

* بروكلمان ، كارل

– تاريخ الأدب العربي ، تر : عبد الحليم النجار ( ٣ أجزاء ، القاهرة : مط دار المعارف ، ١٩٦٢ م) .

* بيومي ، علي

قيام الدولة الايوبية في مصر ( القاهرة : د. مط ، ١٩٥٢م ) .

* الجزائري ، محمد

– المندائيون الصابئة ، ط١ ( المعهد الملكي للدراسات الحديثة ، ٢٠٠٠) .

* الحبشي ، عبد الله محمد

– الصوفية والفقهاء في اليمن ، ( صنعاء : مكتبة الجيل الجديد ، ١٩٧٦م ) .

* الحديثي ، قحطان عبد الستار

– أرباع خراسان الشهيرة ، دراسة في أحوالها الجغرافية والإدارية والاقتصادية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ( البصرة : دار الحكمة ، ١٩٩٠م) .

* حربي ، محمد

– ابن تيمية ومواقفه من اهم الفرق والديانات في عصره ، ط١ ( بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٧م ) .

* حسن ، علي ابراهيم

– تاريخ المماليك البحرية ، ط٣ ، ( القاهرة : مط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م ) .

– دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر بوجه خاص ، ط٢ ( القاهرة : مط مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م) .

* حسين ، امين

– تاريخ العراق في العصر السلجوقي ( بغداد : المكتبة الاهلية ، ١٩٦٥م ) .

* حكمي ، حافظ بن احمد ، ( ت: ١٣٧٧ هـ )

– معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول ،تحقيق : عمر بن محمود ( ٣ أجزاء ، الدمام :مط دار ابن القيم ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ) .

* حمادة ، فاروق

- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دراسة منهجية في علوم الحديث ( مط المعارف ، ١٩٨٢ ) .

* حماده ، محمد ماهر

- سلسلة وثائق الإسلام (٦) الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي ( ٦٥٦-٩٢٢هـ/ ١٢٥٢- ١٥١٦م ) دراسة ونصوص ، ط٢ ( بيروت : مط مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣- ١٩٨٣م ) .

* حمزة ،عبد اللطيف

- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، ط٨ ( القاهرة : د.مط ، ١٩٦٨م ) .

* الحنبلي مرعي بن يوسف الكرمي ( ت ١٠٣٣ )

- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيميه ، تح : نجم عبد الحمن خلف ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، بلا. ت ) .

- الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تح :نجم عبد الرحمن خلف ، ط١ ( بيروت : دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٦م ) .

* دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية احمد الشناوي وآخرون ( ١٥ جزء ، بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٣٣م ) .

* دراوور ، ليدي

- الصابئة المندائيون ، ترجمة نعيم بدوي ، ط٢ ( بغداد : د. مط ، ١٩٨٧م ) .

* رامس ، تامرا تاليوت

- السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، تر: لطفي الخوري و إبراهيم الداقوقي ( الإرشاد ، ١٩٨٦م ).

* رانسيمان ، ستيفن

- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، ( ٣ مجلدات ، بيروت : د. مط ، ١٩٦٧م ) .

* رزق ، عاصم محمد

– خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي ( ٥٦٧-٩٢٣هـ / ١١٧١ – ١٥١٧م )، ط١ (٣ أجزاء ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ) .

* الزركلي ، خير الدين

– الأعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط٥ ( ٨ مجلدات، بيروت : مط دار العلم للملايين ، بلا.ت ) .

* زياده ، نيقولا

– دمشق في عصر المماليك ( بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٦٦م ) .

* الزين ، سمح عاطف

– الصوفية في نظر الإسلام ( بيروت : دار الكتاب البناني ، بلا . ت ) .

* الزبيدي ، محمد حسين

– العراق في العصر البويهي ، التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية ٣٣٤-٤٤٧هـ (دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م ) .

* السامرائي ، يونس ابراهيم

– تاريخ الطرق الصوفية ( بغداد : مط الامة ، ١٩٧٧م ) .

* سليم ، محمود رزق

– عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ( ٨مجلدات ، القاهرة : مط التوكل ، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م) .

* سيد ، احمد فؤاد

– تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب (٥٦٧-٦٤٨هـ) ط١ ( القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٠م ) .

* الشرقاوي ، عبد الرحمن

- ابن تيمية الفقيه المعذب ( القاهرة : دار الموقف العربي ، ١٩٨٣م ) .

* الشيباني ، محمد بن ابراهيم

- أوراق من حياة شخ الإسلام ابن تيمية ( الكويت : مكتبة ابن تيمية ، ١٩٨٩م ) .

* صبحي ، احمد محمود

- في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ( مؤسسة الثقافة الجامعة ، ١٩٧٨م ) .

* الصراف ، احمد حامد

- عمر الخيام " الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري " ، ط٣ ( بغداد : مط المعارف ، ١٩٦٠م ) .

* الصياد ، فؤاد عبد المعطي

- المغول في التاريخ من جنكيز خان الى هولاكو خان ( القاهرة : مط دار العلم ، ١٩٦٠م ).

* ضومظ ، انطوان خليل

- الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ١٢٩٠ – ١٤٢٢ م . ( القاهرة : مط دار الحداثة ، ١٩٨٠م) .

* عاشور ، سعيد عبد الفتاح

- العصر المماليكي في مصر والشام ، أربعة أجزاء ( القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٩٧٦م )

- الحركة الصليبية ، ط١ ( القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٦٣م ) جزئين .

* عاشور ، فايد حماد محمد

- الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي ، ط١ ( القاهرة : جروس برس ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٧٥م ) .

* العبادي ، احمد مختار

– قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ( بيروت : دار النهضة ، ١٩٦٩م) .

* العبود ، نافع توفيق

– الدولة الخوارزمية نشأتها ، علاقاتها مع الدول الإسلامية ، نظمها العسكرية والإدارية "٤٩٠–٦٢٨هـ / ١٠٩٧– ١٢٣١م " ( بغداد : مط جامعة بغداد ، ١٩٧٨م ) .

* العريني ، السيد الباز

– المماليك ( القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٧م ) .

* عمار ، علي سالم

– حقائق في التصوف ( القاهرة : دار النصر ، ١٩٣٧م ) .

* عنان ، محمد عبد الله

– مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ط٤ ( القاهرة : مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ م) .

– مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ، ط١ ( القاهرة : مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ،١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م ) .

* ابن عيسى ، احمد بن ابراهيم ، (ت: ١٣٢٩هـ)

– توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، تحقيق زهير الشاويش ، ط ٣ ، (جزءان ، بيروت : مط المكتب الإسلامي ،١٤٠٦هـ ).

* عيسى ، عبد القادر

– حقائق عن التصوف ، ط٥ ( مط النواعير ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ) .

* غنيم ، اسمت

– الدولة الأيوبية والصليبيين ( الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨م ).

* فاروق ، عمر

– الخلافة العباسية في العصور المتأخرة ( الشارقة : دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر ، بلا.ت ) .

* القادري ، ابراهيم حلمي

– مدارج الحقيقة في الرابطة عند اهل الطريقة ( الاسكندرية : مط عادل البهي وعبد السلام سعيد ، ١٩٦٢م ) .

* القمي ، عباس

– الكنى والالقاب (٣ مجلدات، النجف : مط الحيدرية ، ١٩٥٦م) .

* القنوجي ، أبو الطيب الحسين البخاري ( ت: ١٣٠٧هـ)

– التاج المكلل من جواهر ماثر الطراز الاخر والاول ،تح : عبد الحكيم شرف الدين ، ( بيروت ، دار اقراء ، ١٩٨٣م ) .

* كاهن ، كلود

– الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة احمد الشيخ ، ط١ ( القاهرة : سيما للنشر ، ١٩٩٥م ) .

* كحالة ، عمر رضى

– معجم المؤلفيين تراجم مصنفي الكتب العربية ( بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا. ت) .

* كرد ، محمد علي

– خطط الشام ،(بيروت : د . مط ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) .

* ماجد ، عبد المنعم

– نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ( القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٣م) .

* المحامي، محمد فريد بك

– تاريخ الدولة العثمانية ، تح : إحسان حقي ( بيروت : مط دار النفائس ، ١٤٠٣هـ ).

* محمود ، عبد المجيد

– المدرسة الفقهية للمحدثين " مدخل لدراسة الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث ( بغداد : مكتبة الشباب ، بلا . ت ) .

* المدخل ، محمد بن ربيع هادي

- حقيقة التصوف في ضوء الكتاب والسنة (مكة المكرمة: وزارة الاعلام، ١٤٠٤ هـ ).

* المراغي ، عبد العزيز

- ابن تيمية ( القاهرة : دار احياء الكتاب العربي ، مط عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بلا.ت ) .

* مصطفى ، شاكر

- التاريخ العربي والمؤرخون " دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام " ، ط١ (بيروت : مط دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م) .

* المنجد ، صلاح الدين

- شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته واخباره عند المؤرخيين ( بيروت : دار الكتاب الجديد ، بلا . ت) .

* موسى ، محمد يوسف

- سلسلة اعلام العرب " ٢ " ابن تيمية ( بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم ، بلا.ت ).

* موير ، السير وليم

- تاريخ دولة المماليك في مصر ، ط١ ( القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٤١٥-١٩٩٥م ).

* الندوي ، أبو الحسن علي الحسني

- رجال الفكر والدعوة في الاسلام الجزء الثاني خاص بحياة شيخ الاسلام الحافظ احمد بن تيمية ، تر: سعيد الاعظمي الندوي ، ط١ ( الكويت : دار القلم ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م ) .

* نيكلسون

- ا لصوفية في الإسلام ، تر: نور الدين شريبه ( القاهرة : مكتبة الخانجي ،١٣٧١ هـ / ١٩٥١م ).

- في التصوف الإسلامي وتاريخه ، تر: أبو العلاء عفيفي ( القاهرة : مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦م).

## رابعاً: الرسائل الجامعية

* جاسم ،عبد الرزاق ذنون

- العلاقات السياسية والاقتصادية بين المماليك وبلاد النوبة ( جامعة الموصل، كلية الآداب ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ) رسالة ماجستير غير منشورة .

* حسين ، جميل حرب محمود

- المنصور سيف الدين قلاوون (سيرته،حروبه،علاقاته الخارجية " دراسة تاريخية ") (جامعة بغداد،كلية الآداب ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .

* الحمداني ، فاطمه زبارعنيزان

- الملك الصالح ايوب وإنجازاته السياسية والعسكر يه (جامعة بغداد،كلية الاداب ١٩٩٥م) رسالة ماجستير غير منشوره .

* خلف ، كاظم ستر

- محاولات البويهيين في العراق في هدم الاقتصاد العربي الإسلامي (٣٣٤-٤٤٧هـ ) ( الجامعة المستنصرية: ١٩٩١م) رسالة ماجستير غير منشورة .

* الزقه ، عبد الرحيم احمد

- العز بن عبد السلام والمصالح المرسلة من خلال كتابه "قواعد الأحكام في مصالح الأنام " (جامعة بغداد ،كلية الآداب ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) رسالة ماجستير غير منشوره .

* زيدان ، سعدي احمد

- منهج ابن تيميه في التفسير(جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية ١٩٩٨م) اطروحة دكتوراه غير منشوره .

* السامرائي ، فراس سليم حياوي

- الحياة الاجتماعية في دمشق (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) (جامعة بغداد : كلية التربية "ابن رشد" ،١٩٩٨م ) اطروحة دكتوراه غير منشورة .

* شريمص ،عبد الجبار محمود

- محي الدين بن عربي مؤرخاً ( بغداد : مكتبة كلية الاداب ، ١٩٩٩م ) اطروحة دكتوراه غير منشورة .

* محمد ، إبراهيم سلمان

– علي بن بويه ودوره في تاسيس الدوله البويهية (جامعة الاسكندريه ، ١٩٧١م) اطروحة دكتوراه .

* محي الدين ، رعد شمس الدين

– علم الكلام بين الاشاعره والمحدثين (جامعة بغداد ،كلية العلوم الاسلاميه ٢٠٠٠م ) رسالة ماجستير غير منشوره .

* معروف ، بشار عواد

– أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام ( جامعة بغداد : كلية الأدب ، ١٩٧٥م) اطروحة دكتوراه .

* ملاوي ، خالد

– اراء ابن تيميه الفقهيه المخالفه لجمهور الحنابله (جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) رسالة ماجستير غير منشوره .

* يحيي ، فوزي امين

– نظام السلطنه في الدولة العباسية (جامعة الموصل :١٩٨٤م) رسالة ماجستير غير منشوره .

## خامساً: الدوريات

* حسين ، محمد حسن

– جيش صلاح الدين الايوبي ، مجلة المورد ، المجلد السادس عشر ، عدد ٤ ، ( بغداد ، ١٩٨٧م ) .

* زياده ، مصطفى

– بعض ملاحظات في تاريخ المماليك البحرية ، مجلة كلية الاداب ، مج ٤ ، الجزء الأول ( القاهرة :١٩٣٦م ) .

* العمدة في الفقه الحنبلي لابن قدامة ، مجلة المجمع العلمي العربي ( دمشق : ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م ) .

* الغزالي ، حرب

– الإمام النووي ، مجلة العربي ، العدد ٤٥ ( القاهرة : ) .

* النقيب ، مرتضى حسن

– عز الدين بن عبد السلام " دراسة في سيرته الذاتية " مجلة كلية الاداب ، العدد ٤٩ ( بغداد : ٢٠٠٠م) .

– عز الدين بن عبد السلام ومواقف من السياسة الأيوبية والمملوكية (القسم الثاني) مجلة كلية الآداب ، العدد٥٥ ( بغداد : ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

– عز الدين بن عبد السلام ومواقف من السياسة الأيوبية والمملوكية (بقايا القسم الثاني) ، مجلة كلية الآداب ، العدد٥٦ ( بغداد : ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

– لمحات عن انجازات صلاح الدين مع الفرنج، مجلة الدراسات الإسلامية، بيت الحكمة ، العدد الرابع ( بغداد : ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ) .

* هراس ، خليل

– ابن تيمية ، مجلة الفكر الاسلامي ، ١٩٧١م .

* يوسف ، قمر الزمان

– السلطان المملوكي في مصر ، قلاوون " ٦٧٨-٦٨٩هـ " تحليل بليوغرافي ، ترجمة مفيد الزيدي ، مجلة دراسات تاريخية ، بيت الحكمة ، العدد الثاني ( بغداد: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ) .

## سادساً : مصادر انترنت

* WWWKhayma. Com. /Almunccr /ibntacmcah . nim- HK .-

– ابن تيمية جزء من النظام الايديولوجي للسلطة المملوكية .

* WWW . ansar . org /arabic / articals .htm- 11 k –

محمد الخضر لقب شيخ الاسلام بين السنة والشيعة ، رد اً على ما أ ثاره علي الكوراني حول ابن تيمية الحراني .

* WWW .al –cman . com / monwal / IslamIcplaccs / Qalawoon asp- 69k. –

مجموعة السلطان قلاوون ( البيمارستان – القبة – المدرسة ) .

* WWW. Islamoncine . net /Arabic / history / 1422 / 07 / article21.SHTMR–66K

المنصور قلاوون عند المؤرخيين


## سابعاً : المصادر الأجنبية


* Bullet, Richard, " The Shaikh Al-Islam and The Evolution of Islamic Society ", in Studia Islamica , XXXU (1972), 53-67 .
* -------------------, The Patricans of Nishaput : A Study in Medieval Islamic Social History , ( Cambridge , Mass : Harverd University Press , 1972 ) .
* Boyle , J. A., " Dynastic and Political History of the Il-Khans ", in The Cambridge History of Iran , ( Cambridge : The University Press , 1968 ) , Vol. 5 , PP. 303-417 .
* Frye, Richard, The Historians of Nishapur, ( Cambridge : The University Press , 1972 ) .
* Hodgson, Marshall G. S., The Venture of Islam , ( Chicago : The University Press , 1974 ) , Vol. II .
* Islam Ansiklopedi 11. C. Istanbul 1979 , S. 485-489 .
* Larousse, Meydan , Buyuk Lugat ve Ansiklopedi , Il, C.
* Lewis, Bernard, " Egypt and Syria " in The Cambridge History of Islam , ( London : Cambridge University Press , 1970 ) , Vol. IA, 175-230 .
* Little , Donald P. , An Introduction to Mamluk Historiography ( Wiesbaden : Franz Steiner Verlag , 1970 ) .
* -------------------- , " Religion Under the Mamluks ", in History and Historiography Under the Mamluks ( ) , PP. 165-181 .
* Makdisi , George , Ibn cAqil et al Resurgence de L'Islam Traditionalist au Xie Siecle ( Damas : Institut Francais de Damas , 1963 ) .